الكتاب: كشف الحقائق
المؤلف: الشيخ علي آل محسن
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة: الثالثة منقحة ومزيدة
سنة الطبع: ١٤١٩ - ١٩٩٩ م
المطبعة:
الناشر: دار الميزان للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان
ردمك:
ملاحظات:

كشف الحقائق
رد على
هذه نصيحتي إلى كل شيعي
تأليف
الشيخ علي آل محسن
دار الميزان
بيروت – لبنان

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثالثة
منقحة ومزيدة
١٤١٩ ه - ١٩٩٩ م
دار الميزان للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان - بيروت - حارة حريك - ص. ب ١٢٤٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم
(هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق)
صدق الله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم
تقاريض
تفضل الأديب الشاعر البارع السيد عبد الستار الحسني
مشكورا بهذه القصيدة
أبا حسن (١) للدين لا زلت ناصرا * تناضل عنه كل باغ مضلل
وتدمغ بالحق الصراح مبادرا * أباطيل حاكتها أنامل مبطل
فكم لك من برهان صدق على العدا * صدعت به بالنص غير مؤول
فكان على أعداء آل محمد * (كجلمود صخر حطه السيل من عل)
جدعت به أنف الكذوب وسمته * هوانا بتقرير الدليل المكمل
وحسبك ما أظهرت من بهت (جابر) * وطبقت من (إلزامه) كل مفصل (٢)
فعاد (أبو بكر) بصفقة خاسر * غداة ب (كشف الحق) أفلجه (علي) (٣)
غدا حيث قد سمى الخداع (نصيحة) * شبيها بمن يعزى لدين السموأل
وما ضر من والى عليا ونسله * كلام جهول ناصبي مغفل
كما نسبوا للمصطفى الطهر ضلة * من (الهجر) ما شانوا به كل محفل

---

(١) كنية المؤلف.
(٢) يريد بجابر: أبا بكر جابر الجزائري.
(٣) يريد بأبي بكر: أبا بكر الجزائري، وبعلي: المؤلف، وفي البيت من الإشارة اللطيفة ما لا يخفى.

وفي رده (ما ينطق) الدهر شاهد * وتقرير هذا في (المساند) فاسأل
فلله در الفذ من (آل محسن) * قريع المعالي والفخار المؤثل
بما ذب عن نهج الهدى بيراعه * وذاد عن الآل الكرام بمقول
بآثاره لاحت شواهد فضله * فدونكها من مجمل ومفصل
وتلك أياديه على (حوزة الهدى) * كغيث توالى بالمكارم مسبل
(سبوح لها منها عليها شواهد) * فما شئت من أقباسها الزهر فاجتل
وقال في تأريخ عام صدور الطبعة الثانية من الكتاب:
لاح (كشف الحق) كالشمس سنا * عم منه الكون نور ثاقب
سر أبناء الهدى في نشره * وبه غيظ الكذوب الناصب
جل من ذي صولة أرخ: بها * (لأبي بكر) (علي) غالب
٨ - ٢٦٥ ١١٠ - ١٠٣٣
١٤١٦ ه
* * *

وسمح بهذه الأبيات الأديب الشاعر البارع الأستاذ محمد سعيد عبد الحسين الكاظمي، في ذي الحجة الحرام سنة ١٤١٦ ه، فشكرا له على ما جاد به:
أجب يا (أبا بكر) (عليا) فإنه * دعاك لمفروض على كل مؤمن
أتيت بدلو فاحذر البحر مائجا * وبع ماء هذا الدلو في غير موطن
فدونك أخطار ودون المنى ضبى * وأرباب أقلام وأفذاذ ألسن
أنصحا وقد سطرت غيا وفرية * أسأت وكل النصح في (آل محسن)

وأتحفنا ولدنا العزيز الشيخ أحمد بن الشيخ عباس كاشف الغطاء دام توفيقه بهذه الأبيات:

أبا (كشف الحقائق) دمت فينا * منارا تستضئ به الحيارى
وترفع للشريعة بند عز * يلاذ به إذا ما النقع ثارا
بكشفك للحقائق غضت قوما * غدوا في طيش جهلهم سكارى
سللت لنصرة الكرار عضبا * يمانيا لك ادخر ادخارا
ومن بالنصر أولى من علي * ومنهجه لمن رام انتصارا
لقد أوليتني يا عم فضلا * شأى الأحوال واستبق النضارا
فدونك شكر أحمد مثل غيث * على الأرضين ينهمر انهمارا
فأنت لكل محمدة جدير * ففضلك في البرية لا يوارى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل خلقه، وأشرف بريته محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى قيام يوم الدين، وبعد:

فقد صدر منذ مدة في البلاد السعودية كتيب صغير، أسماه مؤلفه:

هذه نصيحتي إلى كل شيعي

ولقي هذا الكتيب قبولا عظيما في أوساط أهل السنة في هذه البلاد، إذ رأى فيه كثير منهم أنه قد حقق نصرا عظيما وفتحا كبيرا لمذهب أهل السنة على مذهب شيعة أهل البيت عليهم السلام. كما لقي رواجا كبيرا، فطبع عدة طبعات، ووزع مجانا على نطاق واسع، وضويق به كثير من الشيعة في في أماكن كثيرة من هذه البلاد.

والسبب في كل هذه العناية يرجع إلى أمرين:
الأمر الأول: أن المؤلف زعم أنه قد اعتمد فيما وصل إليه من نتائج على كتاب الكافي، الذي يعتبر من أهم مصادر استنباط الأحكام الفرعية عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية.
والأمر الثاني: أن المؤلف ظهر في زي الناصح المشفق على الشيعة، الذي يريد لهم الهداية والخير والسعادة في الدين والدنيا.
إلا أني لما تأملت هذا الكتيب وجدته ركيك الأسلوب، واهي المعاني، متداعي المباني، مملوءا بالحجج الضعيفة، والمغالطات المكشوفة، والتهم المفضوحة، والأكاذيب الملفقة. قد سمى المؤلف الفرية حقيقة، والخديعة نصيحة، والضلال هداية، وتلبس بالنصيحة وهو بعيد عنها، وتظاهر بالمحبة وهو بمنأى منها.
ووجدته قد بادر إلى تكفير الشيعة بلا حجة صحيحة، وسارع إلى تضليلهم بلا بينة معتمدة، فوقع في خطأ فاحش، وأقدم على ظلم عظيم بتكفير طائفة كبيرة من طوائف المسلمين، مخالفا بذلك ما نص عليه المنصفون من علماء أهل السنة من حرمة تكفير أحد من أهل القبلة بذنب.
هذا مع أن هذا الكتيب لا يعدو أن يكون واحدا من كثير من الكتب والكراسات والنشرات التي ظهرت في السنين الأخيرة ضد الشيعة، بسبب الأوضاع السياسية المعاصرة في المنطقة.
ومع كل هذا فقد رأيت أن أكتب في رده ما يرفع الشبهة، ويدفع الفرية، ويكشف الباطل من الحق، والكذب من الصدق، نظرا للاهتمام الكبير الذي حظي به هذا الكتيب عند كثير من الناس.
سائلا المولى جل شأنه أن ينفع به إخواني المؤمنين، وينفعني به يوم

فقري وفاقتي، إنه سميع قريب مجيب، وهو الهادي إلى الحق والصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين الأطياب.
السبت ١ / ٩ / ١٤١٤ ه
علي آل محسن

رد
ما جاء في المقدمة

مخالفة المؤلف لمنهج البحث العلمي

اعتمد المؤلف في كل ما أورده في هذا الكتيب على أحاديث وردت في كتاب الكافي، الذي يعتبر من مصادر استنباط الأحكام الفرعية عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، لمؤلفه ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى سنة ٣٢٩ ه.

ووصف المؤلف كتاب الكافي بأنه عمدة القوم - يعني الشيعة - في إثبات مذهبهم (١)، وأنه أهم كتاب يعتمد عليه الشيعة في إثبات مذهبهم (٢)، وأنه عمدة مذهب الشيعة ومصدر تشيعهم (٣).

كما وصف ما ذكره في كتيبه بأنها حقائق علمية، وكرر ذلك كثيرا، وزعم أنه استخلصها من كتاب الكافي (٤)، وأن هذه الحقائق هي أصل مذهب كل شيعي، وهي قواعد نحلته (٥) التي تأسس عليها مذهبه، وتوطد بها.

ووصل المؤلف في خاتمة بحثه إلى نتائج كثيرة، منها:

---

(١) ص ٤.
(٢) ص ٥.
(٣) ص ٦.
(٤) ص ٤، ٥.
(٥) ص ٦.

– أن المذهب الشيعي دين مستقل عن دين المسلمين، له أصوله ومبادؤه وكتابه وسنته وعلومه ومعارفه (١).
– وأن مذهب الشيعة مذهب هدام مظلم، وأن عقيدتهم عقيدة باطلة (٢).
– وأن الشيعة يكفرون المسلمين ويلعنونهم ويعادونهم (٣)، وأنهم يحيكون المؤامرات ببدعة الإمامة ضد خلافة المسلمين، ويثيرون الحروب الطاحنة بين المسلمين (٤)، وأن غرضهم هو هدم الإسلام وتمزيق شمل المسلمين (٥)، والقضاء على الإسلام خصم اليهودية والمجوسية، وإعادة دولة المجوس الكسروية التي هدم الإسلام أركانها وقوض عروشها (٦).
إلى غير ذلك من الأمور العظيمة التي أودعها في ثنايا كلامه.
إلا أن المؤلف لم يثبت لقارئه أن كتاب الكافي هو من كتب الشيعة المعتمدة في إثبات المذهب، فضلا عن كونه أهم كتاب يعتمدون عليه في ذلك.
كما أنه لم يثبت أن الشيعة يصححون كل أحاديث الكافي أو أكثرها، أو على الأقل يصححون الأحاديث التي احتج بها في حقائقه السبع، أو يعتقدون بمضمون ما دلت عليه تلك الأحاديث.
فالمؤلف لم يثبت ذلك ولم يبينه ولم يحم حوله مع أنه أمر مهم ينبغي

---

(١) ص ٣٥.
(٢) ص ٣٦.
(٣) ص ٣٥.
(٤) ص ٣٤.
(٥) ص ٣٦.
(٦) ص ٣٣.

إثباته وإيضاحه، لأن كل نتائجه التي استخلصها من حقائقه السبع كانت معتمدة على هذا الإثبات.

ومن الواضح أن كل تلك النتائج تسقط عن الاعتبار لو ثبت أن الشيعة لا يرون كتاب الكافي بهذه المنزلة، ولا يعتمدون عليه في إثبات مذهبهم، ولا يعولون على كل حديث فيه، ولا سيما ما يرتبط منها بالأصول الاعتقادية، بل يضعفون كثيرا من رواياته ويسقطونها عن الحجية والاعتبار كما سيأتي بيانه.

وعليه، فاللازم على المؤلف قبل كل شئ أن يبرهن على ما اعتمد عليه في إثبات حقائقه، بنقل ما قاله علماء الشيعة في كتاب الكافي وما اشتمل عليه من أحاديث، ولا سيما الأحاديث التي احتج بها في حقائقه السبع.

ونحن إن شاء الله تعالى سنذكر فيما يأتي من الكلام منزلة كتاب الكافي عند الشيعة الإمامية، وما قاله أعلام الطائفة في هذا الشأن، ليتضح أن المؤلف لم يتبع الأسلوب الصحيح للبحث العلمي، وأنه أسس بنيانه على شفا جرف هار، فأخطأ المرمى، وابتعد عن القصد.

كتاب الكافي
منزلته عند الشيعة ومزاياه
كتاب الكافي لثقة الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي من أجل كتب الحديث المعتمدة التي دارت عليها رحى استنباط الأحكام الفقهية عند الشيعة الإمامية، يحتوي على ما لا يحويه غيره، جليل القدر عظيم المنزلة، جامع لكثير من الأحاديث المنقولة عن آل الرسول عليهم السلام في الفروع والأصول، حسن التبويب والترتيب، ألفه الكليني في عشرين سنة في زمن السفارة في الغيبة الصغرى.
يشتمل على أربعة وثلاثين كتابا، وثلاثمائة وستة وعشرين بابا، وأحاديثه حصرت في ١٦١٩٩ حديثا، فتكون أحاديثه أكثر من أحاديث الصحاح الستة عند أهل السنة.
ومن خصائصه أن مؤلفه كان حيا في زمن سفراء المهدي عليه السلام، وأنه حاو لكثير من العلوم الإلهية التي لم يحوها غيره في الأصول والفروع.
وقد طبع طبعات كثيرة، وكثرت عليه الشروح والحواشي، وتعاهده الشيعة على ممر العصور بالعناية والضبط.
من أجل شروحه وأشهرها كتاب مرآة العقول في شرح أخبار

الرسول في ستة وعشرين مجلدا، لصاحب موسوعة بحار الأنوار المولى محمد باقر المجلسي أعلى الله مقامه، المتوفى سنة ١١١٠ ه، وشرح المولى محمد صالح المازندراني المتوفى سنة ١٠٨٠ ه وغيرهما.

ثناء العلماء عليه

١ - قال الشيخ المفيد (ت ٤١٣ ه): كتاب الكافي وهو من أجل كتب الشيعة وأكثرها فائدة (١).

٢ - وقال الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي (ت ٧٨٦ ه) في إجازته لابن الخازن: كتاب الكافي في الحديث الذي لم يعمل للإمامية مثله، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (٢).

٣ - وقال المحقق الشيخ علي الكركي (ت ٩٤٠ ه) في إجازته للقاضي صفي الدين عيسى: ومنها جميع مصنفات ومرويات الشيخ الإمام السعيد الحافظ المحدث الثقة جامع أحاديث أهل البيت عليهم السلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني صاحب الكتاب الكبير في الحديث المسمى بالكافي الذي لم يعمل مثله... وقد جمع هذا الكتاب من الأحاديث الشرعية والأسرار الدينية ما لا يوجد في غيره (٣).

٤ - وقال الشيخ إبراهيم القطيفي (ت ٩٥٠ ه) في إجازته للشيخ شمس الدين الإسترابادي: وكتاب محمد بن يعقوب الكليني، فإنه كاسمه كاف شاف واف (٤).

٥ - وقال الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ ه): أما الكافي فهو... أشرفها -

---

(١) تصحيح الاعتقاد، ص ٥٥.
(٢) بحار الأنوار ١٠٧ / ١٩٠.
(٣) المصدر السابق ١٠٨ / ٧٥.
(٤) المصدر السابق ١٠٨ / ١١٤.

يعني الكتب الأربعة – وأوثقها وأتمها وأجمعها، لاشتماله على الأصول من بينها، وخلوه من الفضول وشينها (١).
٦ – وقال المولى محمد باقر المجلسي: كتاب الكافي للشيخ الصدوق ثقة الإسلام، مقبول طوائف الأنام، ممدوح الخاص والعام، محمد بن يعقوب الكليني... كان أضبط الأصول وأجمعها، وأحسن مؤلفات الفرقة الناجية وأعظمها (٢).
٧ – وقال السيد بحر العلوم (ت ١٢١٢ ه): كتاب الكافي الذي صنفه هذا الإمام طاب ثراه كتاب جليل عظيم النفع، عديم النظير، فائق على جميع كتب الحديث بحسن الترتيب، وزيادة الضبط والتهذيب، وجمعه للأصول والفروع، واشتماله على أكثر الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام (٣).

أسباب شهرة الكافي وسمو مكانته

لقد نص غير واحد من الأعلام على أن من الأسباب التي جعلت هذا الكتاب يتبوأ هذه المكانة بين كتب الحديث المعروفة عند الشيعة الإمامية هي أن الكافي حوى ما لم يحوه غيره من أحاديث الأصول والفروع والأخلاق والمواعظ وغيرها من فنون الدين.

قال الميرزا حسين النوري قدس سره (ت ١٣٣٠ ه) بعد أن أورد كلمة الشيخ المفيد المتقدمة: إنما كان أكثر فائدة من غيره من حيث إنه جامع للأصول والأخلاق والفروع والمواعظ والآداب وغير ذلك من المواضيع (٤).

---

(١) الوافي ١ / ٦.
(٢) مرآة العقول ١ / ٣.
(٣) رجال بحر العلوم ٣ / ٣٣٠.
(٤) مستدرك الوسائل ج ٣.

وقال السيد هاشم معروف:
ويؤيد ذلك ما جاء في أسباب تأليف الكافي من أنه ألفه إجابة لمن طلب منه كتابا يجمع من جميع فنون الدين ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام، والسنن القائمة التي عليها العمل، وبها يؤدى فرض الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله (١). فاستجاب لطلبهم وألفه في تلك المدة الطويلة التي حددها كل من ترجمه وتعرض لتاريخه بعشرين عاما، فجاء جامعا لما يحتاج إليه المحدث والفقيه والمتكلم والواعظ والمجادل والمتعلم. والكتاب الذي يحتوي على هذه المواضيع لا بد وأن يلفت الأنظار، ويصادف تقدير الباحثين من العلماء، لأنه يوفر عليهم عناء البحث عن الروايات، ويسد حاجة الفقيه والمحدث والمتكلم وغيرهم في آن واحد.
هذا بالإضافة إلى ما كان يتمتع به مؤلفه من ثقة عالية، وشهرة واسعة، ومكانة في العلم والدين تؤهله لأن يحتل المكانة التي تليق به في النفوس (٢).
ومن أسباب شهرة هذا الكتاب أيضا وسمو مكانته أنه امتاز بحسن الترتيب، وزيادة الضبط والإتقان كما مر، وذلك لأن الكليني رحمه الله قد تأنى في تأليفه ، فصرف في جمعه من عمره الشريف عشرين سنة، بذل فيها جهده، وسافر فيها إلى البلدان الكثيرة لمصاحبة شيوخ الإجازات، وملاقاة المهرة في معرفة الأحاديث.
هذا مع أنه عاش في زمن سفراء الإمام المهدي عليه السلام حيث كانت الأصول الأربعمائة التي حوت آثار الصادقين عليهم السلام متداولة ومتوافرة،

---

(١) الكافي ١ / ٨.
(٢) دراسات في الحديث والمحدثين ص ١٣١.

وهذان الأمران ربما يسرا له السبيل للتحقق من صحة رواياته.

كتاب الكافي فيه الصحيح والضعيف

إن علماء الشيعة الإمامية لم يعطوا كتاب الكافي ولا غيره من كتب الحديث تلك المنزلة التي أعطاها علماء أهل السنة إلى صحيحي البخاري ومسلم، الذين أجمعوا على صحة كل ما فيهما من أحاديث، وحكموا بأنها صادرة من النبي صلى الله عليه وآله قطعا. وإنما حكم علماء الإمامية بأن ما في الكافي من الأحاديث، منه الصحيح المعتبر، ومنه الضعيف الذي لا يحتج به ولا يعول عليه.

قال المحقق السيد الخوئي أعلى الله مقامه: لم تثبت صحة جميع روايات الكافي، بل لا شك في أن بعضها ضعيفة، بل إن بعضها يطمأن بعدم صدورها من المعصوم عليه السلام (١).

وقال السيد محمد المجاهد قدس سره (ت ١٢٤٢ ه): الذي عليه محققو أصحابنا عدم حجية ما ذكره الكليني، ولهذا لم يعتمدوا على كل رواية مروية في الكافي، بل شاع بين المتأخرين تضعيف كثير من الأخبار المروية فيه سندا... وقد اتفق لجماعة من القدماء كالمفيد وابن زهرة وابن إدريس والشيخ والصدوق الطعن في بعض أخبار الكافي... وقد ذكرت عباراتهم في الوسائل (٢).

وبهذا يتضح أن علماء الإمامية وقفوا من كتاب الكافي موقفا معتدلا، لم يجنحوا فيه إلى طرف الإفراط بتصحيح كل أحاديثه، فيساووه بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولم يميلوا إلى جانب التفريط بإسقاطه عن الحجية والاعتبار فيبخسوه حقه.

---

(١) معجم رجال الحديث ١ / ٩٢.

(٢) مفاتيح الأصول، ص ٣٣٤.

قال السيد هاشم معروف: ومع أنه نال إعجاب الجميع وتقديرهم لم يغال به أحد غلو محدثي السنة في البخاري، ولم يدع أحد بأنه صحيح بجميع مروياته لا يقبل المراجعة والمناقشة، سوى جماعة من المتقدمين تعرضوا للنقد اللاذع من بعض من تأخر عنهم من الفقهاء والمحدثين، ولم يقل أحد بأن من روى عنه الكليني فقد جاز القنطرة كما قال الكثيرون من محدثي السنة في البخاري، بل وقف منه بعضهم موقف الناقد لمروياته من ناحية ضعف رجالها، وإرسال بعضها ، وتقطيعها، وغير ذلك من الطعون التي تخفف من حدة الحماس له والتعصب لمروياته (١).

فأحاديث الكافي إذن فيها الصحيح وفيها الضعيف، بل إن الضعيف منها أكثر من الصحيح كما نص عليه كثير من الأعلام، مثل فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ ه) (٢)، والشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦ ه) عن بعض مشائخه المتأخرين (٣)، والسيد بحر العلوم (٤)، والميرزا محمد بن سليمان التنكابني (ت ١٣١٠ ه) (٥)، وآغا بزرك الطهراني (٦)، وغيرهم.

قال الطريحي قدس سره: أما الكافي فجميع أحاديثه حصرت في [١٦١٩٩] ستة عشر ألف حديث ومائة وتسعة وتسعين حديثا، الصحيح منها باصطلاح من تأخر [٥٠٧٢] خمسة آلاف واثنان وسبعون، [والحسن مائة وأربعة وأربعون حديثا]، والموثق [١١١٨] ألف ومائة وثمانية عشر حديثا، والقوي منها [٣٠٢] اثنان وثلاثمائة، والضعيف منها [٩٤٨٥]

---

(١) دراسات في الحديث والمحدثين ص ١٣٢.
(٢) جامع المقال، ص ١٩٣.
(٣) لؤلؤة البحرين، ص ٣٩٤.
(٤) رجال السيد بحر العلوم ٣ / ٣٣١.
(٥) قصص العلماء، ص ٤٢٠.
(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٧ / ٢٤٥.

أربعمائة وتسعة آلاف وخمسة وثمانون حديثا، والله أعلم.
والحاصل أن الكليني رضوان الله عليه مع أنه حاول أن يجمع في كتابه الكافي الأحاديث الصحيحة التي يكون بنظره عليها المعول، وبها يؤدى فرض الله عز وجل كما أوضح في مقدمة الكتاب، إلا أن علماء الإمامية لم يتابعوه في تصحيح كل الأحاديث التي رواها في كتابه، وفي جواز العمل بها، بل ضعفوا كثيرا من أحاديثه كما تقدم، مع أنه من أجل الكتب عندهم وأكثرها فائدة، من حيث إنه حوى أكثر من ستة آلاف وسبعمائة حديث معتبر.
وبذلك يتضح الفارق بين نظر أهل السنة إلى صحيح البخاري، ونظر الشيعة إلى كتاب الكافي، فإن مكانة صحيح البخاري التي تبوأها عند أهل السنة إنما حصلت بسبب إجماع علماء أهل السنة على صحة أحاديثه كلها (١)، بخلاف الكافي وغيره من كتب الحديث عند الشيعة الإمامية، فإنها لم تنل هذه المنزلة عندهم.
ولهذا نرى جمعا من حفاظ الحديث من أهل السنة مع أنهم صنفوا

---

(١) قال الحافظ أبو نصر الوايلي السجزي: أجمع أهل العلم - الفقهاء وغيرهم - على أن رجلا لو حلف بالطلاق أن جميع ما في كتاب البخاري مما روي عن النبي قد صح عنه، ورسول الله (ص) قاله، لا شك أنه لا يحنث، والمرأة بحالها في حبالته (مقدمة ابن الصلاح، ص ١٣). وقال أبو المعالي الجويني: لو حلف إنسان بطلاق امرأته ان ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي (ص) لما ألزمته الصلاق ولا حنثته، لإجماع علماء المسلمين على صحتهما (صحيح مسلم بشرح النووي ١ / ٢٠، تدريب الراوي ١ / ١٣١).
وقال ابن تيمية في كتابه علوم الحديث، ص ٧٢: ومن الصحيح ما تلقاه بالقبول والتصديق أهل العلم بالحديث، كجمهور أحاديث البخاري ومسلم، فإن جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة جمهور أحاديث الكتابين، وسائر الناس تبع لهم في معرفة الحديث.

كتبا التزموا فيها جمع الصحيح من الحديث بنظرهم (١)، إلا أن كتبهم تلك لم تنل مكانة صحيح البخاري عند أهل السنة، فإن العلماء لم يجمعوا على صحة كل ما روي فيها من أحاديث، كما كان الحال في أحاديث صحيح البخاري.

ومن ذلك يتضح أن حال كتاب الكافي عند الشيعة الإمامية حال المستدرك على الصحيحين أو صحيح ابن حبان وغيرهما من المصنفات التي حاول مؤلفوها جمع الصحيح فيها فقط، ولم يتحقق إجماع على قبول كل ما فيها من أحاديث.

وحينئذ فلا مناص من عرض أحاديث هذه المجاميع على قواعد علم الدراية، لتمييز الصحيح من غيره، فيحكم بصحة ما كان مستجمعا لشرائط الصحة، وبضعف ما لم يستجمع تلك الشرائط وإن حكم مؤلف ما بصحة هذا الحديث أو ذاك، لأن اجتهاد مجتهد لا يكون حجة على غيره من المجتهدين.

لا يحتج بكتاب الكافي في إثبات المذهب

وهذه المسألة تتضح بأمور:

١ – أن كتاب الكافي – كما أوضحنا – فيه الأحاديث الصحيحة المعتبرة ، وفيه الأحاديث الضعيفة، وعليه فلا يصح الاستناد في إثبات شئ من الأحكام الشرعية الفقهية، فضلا عن إثبات المذاهب الكلامية والأصول الاعتقادية على أي حديث مروي في كتاب الكافي ما لم يستجمع شرائط الاعتبار والحجية.

---

(١) مثل كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، والمسند الصحيح على التقاسيم والأنواع، المعروف بصحيح ابن حبان، وكذلك صحيح ابن خزيمة.

٢ – أن أصول الدين لا يصح إثباتها بأخبار الآحاد (١) وإن كانت تلك الأخبار صحيحة، وذلك لأن المسائل الاعتقادية يشترط فيها أن تكون قطعية، وأخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن الذي لا يجوز التعويل عليه في هذه المسائل.

قال السيد المرتضى أعلى الله مقامه (ت ٤٣٦ ه) في معرض الجواب عن جواز الرجوع في تعرف الأحكام إلى رسالة المقنعة للمفيد، أو رسالة ابن بابويه، أو كتاب الكافي للكليني، أو غيرها: إن الرجوع في الأصول إلى هذه الكتب خطأ وجهل (٢).

وقال في النكير على من يعمل بأخبار الآحاد مطلقا: ألا ترى أن هؤلاء بأعيانهم قد يحتجون في أصول الدين من التوحيد والعدل والنبوة والإمامة بأخبار الآحاد، ومعلوم عند كل عاقل أنها ليست بحجة في ذلك (٣).

وقال الشيخ الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري أعلى الله مقامه (ت ١٢٨١ ه) : ظاهر الشيخ [الطوسي] في العدة أن عدم جواز التعويل في أصول الدين على أخبار الآحاد اتفاقي، إلا عن بعض غفلة أصحاب الحديث. وظاهر المحكي في السرائر عن السيد المرتضى عدم الخلاف فيه أصلا (٤).

وقال شيخنا الشهيد الثاني أعلى الله مقامه (ت ٩٦٦ ه) في المقاصد العلية بعد أن ذكر أن المعرفة بتفاصيل البرزخ والمعاد غير

---

(١) وهي الأحاديث غير المتواترة. وكون أكثر أحاديث الكافي من أخبار الآحاد مما لا نزاع فيه.

(٢) رسائل الشريف المرتضى ٢ / ٣٣٣.

(٣) المصدر السابق ١ / ٢١١.

(٤) فرائد الأصول ١ / ٣٧٢.

لازمة: وأما ما ورد عنه صلى الله عليه وآله في ذلك من طريق الآحاد فلا يجب التصديق به مطلقا وإن كان طريقه صحيحا، لأن الخبر الواحد ظني، وقد اختلف في جواز العمل به في الأحكام الشرعية الظنية، فكيف بالأحكام الاعتقادية العلمية؟! (١).

وعليه، فالذي يجب اعتقاده هو ما دل عليه ظاهر كتاب الله المجيد، وما علم بالتواتر من أقوال النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام وأفعالهم وتقريرهم، وما علم بالضرورة أنه من دين الإسلام.

وأما ما عدا ذلك فهو موضوع عن الناس، لا يجب عليهم الاعتقاد به إلا إذا حصل لهم العلم به.

قال الشيخ الأنصاري قدس سره: المستفاد من الأخبار المصرحة بعدم اعتبار معرفة أزيد مما ذكر فيها - وهو الظاهر من جماعة من علمائنا الأخيار، كالشهيدين في الألفية وشرحها، والمحقق الثاني في الجعفرية وشارحها وغيرهم - هو أنه يكفي في معرفة الرب التصديق بكونه موجودا، وواجب الوجود لذاته، والتصديق بصفاته الثبوتية الراجعة إلى صفتي العلم والقدرة، ونفي الصفات الراجعة إلى الحاجة والحدوث، وأنه لا يصدر منه القبيح فعلا أو تركا...

ويكفي في معرفة النبي صلى الله عليه وآله معرفة شخصه بالنسب المعروف المختص به، والتصديق بنبوته وصدقه، فلا يعتبر في ذلك الاعتقاد بعصمته - أعني كونه معصوما بالملكة - من أول عمره إلى آخره...

إلى أن قال: ويكفي في معرفة الأئمة صلوات الله عليهم معرفتهم بنسبهم المعروف، والتصديق بأنهم أئمة يهدون بالحق، ويجب الانقياد إليهم والأخذ منهم، وفي وجوب الزائد على ما ذكر من عصمتهم الوجهان...

---

(١) المصدر السابق ١ / ٣٧١.

ويكفي في التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله التصديق بما علم مجيئه به متواترا من أحوال المبدأ والمعاد، كالتكليف بالعبادات، والسؤال في القبر وعذابه، والمعاد الجسماني، والحساب والصراط والميزان والجنة والنار إجمالا...
ثم قال: وما استقربناه فيما يعتبر في الإيمان وجدته بعد ذلك في كلام محكي عن المحقق الورع الأردبيلي في شرح إرشاد الأذهان (١).

الخلاصة

أن أبا بكر الجزائري لم يتبع في نصيحته إلى كل شيعي المنهج الصحيح للبحث العلمي، إذ وصف كتاب الكافي بأنه عمدة الشيعة في إثبات مذهبهم، وأنه أهم كتاب يعتمدون عليه في إثبات المذهب، وأنه عمدة مذهب الشيعة، ومصدر تشيعهم.

وهذا كله لم يثبت، بل الثابت خلافه، فإن كتاب الكافي وإن كان من أجل الكتب المعتمدة عند الشيعة الإمامية في استنباط الأحكام الشرعية، إلا أن فيه أحاديث ضعيفة لا يجوز الاستناد إليها في فروع الدين فضلا عن أصوله، كما لا يصح الاستناد إلى أحاديث الكافي وغيره - وإن كانت صحيحة - في إثبات المذهب، أو إثبات شئ من أصوله وعقائده التي لا بد أن تكون معلومة بالقطع واليقين، اللهم إلا ما كان منها متواترا قد علم صدوره من النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام.

ثم إن علماء المذهب قدس الله أسرارهم قد أثبتوا صحة مذهب الإمامية وسلامة عقائده بالأدلة القطعية، العقلية منها والنقلية، واحتجوا على خصومهم بما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله مما رواه الخصوم في كتبهم المعتمدة ، ولم يلزموا مخالفيهم بما رووه هم في كتبهم من الأحاديث التي لا يسلم بها غيرهم.

---

(١) فرائد الأصول ١ / ٣٧٧ - ٣٨٠.

وهذا معلوم من حالهم، يعرفه كل من اطلع على ما حرروه في كتبهم الكلامية ، وما كتبوه في إثبات المذهب وإبطال مذاهب أهل الخلاف، فراجع إن شئت كتاب الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد للشيخ محمد بن الحسن الطوسي ، وكتاب كشف المراد ونهج المسترشدين والباب الحادي عشر و نهج الحق وكشف الصدق وكشف اليقين كلها للعلامة الحلي، وكتاب الغدير للشيخ عبد الحسين الأميني، وكتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين... وغيرها من الكتب التي لا تحصى كثرة.

ولهذا كله لم يحاول الجزائري أن يثبت شيئا مما ادعاه، بالنقل عن جهابذة علماء الشيعة وأساطين المذهب الذين حرروا هذه المسألة في مصنفاتهم المعروفة.

كما أنه لم يحاول أن يثبت لقارئه أيضا أن حقائقه التي ذكرها في كتيبه قد استخلصها من أحاديث صحيحة، وأن الشيعة يعتقدون بمفادها، ويعدونها من أسس تشيعهم وأصول مذهبهم.

وهذا كله لو حاول إثباته فلن يتأتى له، لأن علماءنا الأبرار قد أثبتوا في مصنفاتهم أن كتاب الكافي – كما تقدم – فيه جملة وافرة من الأحاديث الضعيفة التي لا يجوز العمل بها، ولا يصح الاحتجاج بها في فروع الدين وأصوله ، وصرحوا أنه لا يلزم الشيعي حتى يكون شيعيا أن يعتقد بتفاصيل التوحيد والنبوة والإمامة وغيرها، بل يجب عليه أن يعتقد بالأسس العامة للمذهب كما أوضحناه مفصلا.

ومن الغريب أن هذا الرجل قد اختار أحاديث ضعيفة زعم أن الشيعة تعتقد بمفادها، وزعم أنه توصل بها إلى حقائق ثابتة هي أصل مذهب التشيع، مع أن تلك الأحاديث – مضافا إلى ضعف سندها – لا تدل على ما ادعى أنها تدل عليه ، فإنه حملها ما لا تحتمل من الوجوه الضعيفة

والمعاني الباطلة.
هذا مضافا إلى أنه جاء ببعض الأحاديث التي حرفها بأبشع تحريف، ونسبها إلى الكافي كما سيتضح في كشف الحقيقة السابعة إن شاء الله تعالى. وهذا مما يؤسف له، ويدل على أن الرجل لم يكن مخلصا في نصيحته، ولا صادقا في دعوته، ولا أمينا في نقله، ولا ثقة في قوله، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
(وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

كشف
الحقيقة الأولى

قال الجزائري:
الحقيقة الأولى
استغناء آل البيت وشيعتهم عن القرآن الكريم بما عند آل البيت
من الكتب الإلهية الأولى التي هي التوراة والزبور والإنجيل
إن الذي يثبت هذه الحقيقة ويؤكدها، ويلزمك أيها الشيعي بها: هو ما جاء في كتاب الكافي من قول المؤلف: باب أن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من الله عز وجل، وأنهم يعرفونها كلها على اختلاف ألسنتها مستدلا على ذلك بحديثين يرفعهما إلى أبي عبد الله، وأنه كان يقرأ الإنجيل والتوراة والزبور بالسريانية.
وأقول:
الحديث الأول: أخرجه الكليني رحمه الله بسنده عن هشام بن الحكم في حديث بريه، أنه لما جاء معه إلى أبي عبد الله عليه السلام فلقي أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، فحكى له هشام الحكاية، فلما فرغ قال أبو الحسن عليه السلام لبريه: يا بريه، كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا به عالم. ثم قال: كيف ثقتك بتأويله؟ قال: ما أوثقني بعلمي فيه. قال: فابتدأ أبو الحسن عليه السلام يقرأ الإنجيل، فقال بريه: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك. قال: فآمن بريه، وحسن إيمانه، وآمنت المرأة التي كانت معه.
فدخل هشام وبريه والمرأة على أبي عبد الله عليه السلام، فحكى له هشام الكلام الذي جرى بين أبي الحسن موسى عليه السلام وبين بريه، فقال أبو

عبد الله عليه السلام: (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم). فقال بريه: أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟ قال: هي عندنا وراثة من عندهم، نقرأها كما قرأوها، ونقولها كما قالوا، إن الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شئ فيقول: لا أدري (١).

سند الحديث

هذا الحديث ضعيف السند، لجهالة أحد رواته، وهو الحسن بن إبراهيم.

قال المولى محمد باقر المجلسي قدس سره: [في سنده] مجهول (٢).

وقال المامقاني قدس سره في ترجمة الراوي المذكور: الحسن بن إبراهيم الكوفي، عده الشيخ في رجاله من أصحاب الرضا عليهم السلام... وظاهره كونه إماميا إلا أن حاله مجهول (٣).

والحديث الثاني: رواه الكليني أيضا عن مفضل بن عمر، قال: أتينا باب أبي عبد الله ونحن نريد الإذن عليه، فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم خرج إلينا الغلام، فأذن لنا فدخلنا عليه، فقلت: أصلحك الله، أتيناك نريد الإذن عليك، فسمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكيت فبكينا لبكائك. فقال: نعم، ذكرت إلياس النبي، وكان من عباد أنبياء بني إسرائيل، فقلت كما كان يقول في سجوده. ثم اندفع فيه بالسريانية، فلا والله ما رأينا قسا ولا جاثليقا أفصح لهجة منه به، ثم فسره

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٢٧. والحديث بطوله مذكور في مرآة العقول ٣ / ٢٥، وكتاب التوحيد، ص ٢٧٠.

(٢) مرآة العقول ٣ / ٢٤.

(٣) تنقيح المقال ١ / ٢٦٥.

لنا بالعربية، فقال: كان يقول في سجوده: أتراك معذبي وقد أظمأت لك هواجري؟ أتراك معذبي وقد عفرت لك في التراب وجهي؟ أتراك معذبي وقد اجتنبت لك المعاصي؟ أتراك معذبي وقد أسهرت لك ليلي؟. قال: فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك، فإني غير معذبك، قال: فقال: إن قلت: لا أعذبك ثم عذبتني ماذا؟ ألست عبدك، وأنت ربي؟! قال: فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك، فإني غير معذبك، إني إذا وعدت وعدا وفيت به (١).

سند الحديث

هذا الحديث أيضا ضعيف السند.

قال المولى المجلسي قدس سره: الحديث الثاني ضعيف (٢).

وحسبك أن من جملة رواته سهل بن زياد، وبكر بن صالح، ومحمد بن سنان.

أما سهل بن زياد فذهب المشهور إلى أنه ضعيف.

قال المامقاني قدس سره: إن علماء الرجال قد اختلفوا في الرجل على قولين:

أحدهما: أنه ضعيف، وهو خيرة النجاشي وابن الغضائري والشيخ في الفهرست، والعلامة في الخلاصة وجملة من كتبه الفقهية كالمنتهى والمختلف وغيرهما، وابن داود في رجاله، والمحقق في الشرائع ومواضع من نكت النهاية والمعتبر، والآبي في محكي كشف الرموز، والسيوري في التنقيح، والشهيد الثاني والشيخ البهائي وصاحب المدارك والمولى الصالح المازندراني والمحقق الأردبيلي

والسبزواري وغيرهم، بل هو المشهور بين

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٢٧.

(٢) مرآة العقول ٣ / ٢٨.

الفقهاء وأصحاب الحديث وعلماء الرجال (١).
وقال المحقق الخوئي قدس سره: وكيف كان فسهل بن زياد الآدمي ضعيف جزما، أو لم تثبت وثاقته (٢).
وأما بكر بن صالح فقد ضعفه النجاشي (٣).
وقال ابن الغضائري: بكر بن صالح الرازي ضعيف جدا، كثير التفرد بالغرائب (٤).
وضعفه العلامة في الخلاصة بنحو ما قاله ابن الغضائري (٥).
وذكره ابن داود في القسم الثاني وضعفه، ونقل كلام ابن الغضائري، كما ضعفه الشيخ البهائي في الوجيزة (٦).
قال المامقاني قدس سره: ضعف بكر بن صالح الضبي الرازي الراوي عن الكاظم عليه السلام مما لا ينبغي الريب فيه، واشتراك غيره معه من دون تمييز صحيح يسقط كل رواية لبكر بن صالح - أي بكر كان - عن الاعتبار (٧).
وأما محمد بن سنان فالمشهور أيضا أنه ضعيف.
قال المامقاني بعد أن ذكر أنه اختلف فيه على قولين: أحدهما: أنه ضعيف، وهو المشهور بين الفقهاء وعلماء الرجال.
ثم نقل تضعيفه عن الشيخ الطوسي في رجاله وفهرسته، والنجاشي وابن عقدة أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد وابن الغضائري والمفيد

---

(١) تنقيح المقال ٢ / ٧٥.
(٢) معجم رجال الحديث ٨ / ٣٤٠.
(٣) رجال النجاشي ١ / ٢٧٠.
(٤) تنقيح المقال ١ / ١٧٨.
(٥) رجال العلامة الحلي، ص ٢٠٧.
(٦) تنقيح المقال ١ / ١٧٨.
(٧) المصدر السابق ١ / ١٧٩.

الذي قال فيه: محمد بن سنان وهو مطعون فيه، لا تختلف العصابة في تهمته وضعفه، ومن كان هذا سبيله لا يعتمد عليه في الدين (١).
قال المامقاني: وممن ضعفه المحقق رحمه الله في مواضع من المعتبر، والعلامة في موضع من المختلف، وكاشف الرموز والشهيد الثاني في باب المهور من المسالك ، وصاحب المدارك، والمحقق الأردبيلي في مجمع الفائدة، وصاحب الذخيرة ، وهو المحكي عن المعتصم والمنتقى ومشرق الشمسين والحبل المتين وحاشية المولى صالح والتنقيح والفخري في مرتب مشيخة الصدوق والذكرى والروضة وغيرها (٢).
قال السيد الخوئي قدس سره: تضعيف هؤلاء الأعلام يصدنا عن الاعتماد عليه والعمل برواياته (٣).
مناقشة الجزائري في دلالة الحديثين:
قال الجزائري: وقصد المؤلف من وراء هذا معروف، وهو أن آل البيت – وشيعتهم تبع لهم – يمكنهم الاستغناء عن القرآن الكريم بما يعلمون من كتب الأولين.
وهذه خطوة عظيمة في فصل الشيعة عن الإسلام والمسلمين، إذ ما من شك في أن من اعتقد الاستغناء عن القرآن الكريم بأي وجه من الوجوه فقد خرج من الإسلام، وانسلخ من جماعة المسلمين.
ثم قال: إن اعتقاد امرئ الاستغناء عنه أو عن بعضه بأي حال من الأحوال، هو ردة عن الإسلام ومروق منه، لا يبقيان لصاحبها نسبة إلى الإسلام ولا إلى المسلمين.

---

(١) المصدر السابق ٣ / ١٢٤.
(٢) المصدر السابق ٣ / ١٢٥.
(٣) معجم رجال الحديث ١٦ / ١٦٠.

أقول:
لو سلمنا بصحة الحديثين جدلا فهما مع ذلك لا يدلان على شئ مما قاله.
أما الحديث الأول:
فهو لا يدل على أن أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم قد استغنوا بكتب الأولين عن القرآن الكريم، وإنما يدل بوضوح على أن أهل البيت عليهم السلام عندهم تلك الكتب غير محرفة ولا مبدلة، ورثوها من النبي صلى الله عليه وآله، وهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها كما عنون الكليني رحمه الله الباب بذلك.
وظاهر الحديث أن أبا الحسن موسى عليه السلام قرأ على بريه من الإنجيل ما يلزمه ويأخذ بعنقه للدخول في الإسلام، بدليل أنه أسلم في الحال، ولعله قرأ عليه من الإنجيل ما يدل على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله، فإن ذلك مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل كما أخبر سبحانه وتعالى في محكم كتابه إذ قال: (والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم...) (١).
قال ابن كثير: هذه - يعني قوله تعالى (يأمرهم بالمعروف...) الآية - صفة محمد صلى الله عليه وآله في كتب الأنبياء، بشروا أممهم ببعثه، وأمروهم بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم، يعرفها علماؤهم وأحبارهم (٢).
وقال: إن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها،

---

(١) سورة الأعراف، الآتيان ١٥٦ - ١٥٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٥١.

وتأمرهم باتباعه ونصره ومؤازرته إذا بعث (١).
وقال البيهقي: إن الله تعالى أمر عيسى عليه السلام فبشر به قومه، فعرفه بنو إسرائيل قبل أن يخلق (٢).
قلت:
يدل على ذلك قوله تعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) (٣).
والاحتجاج بالتوراة والإنجيل على أهل تلك الملل جائز لا ضير فيه، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر (رض) أن اليهود جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله برجل منهم وامرأة قد زنيا، فقال لهم: كيف تفعلون بمن زنى منكم؟ قالوا: نحممهما (٤) ونضربهما. فقال: لا تجدون في التوراة الرجم؟ فقالوا: لا نجد فيها شيئا. فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين. فوضع مدراسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم. فأمر بهما فرجما قريبا من حيث موضع الجنائز عند المسجد، فرأيت صاحبها يجنأ عليها (٥)، يقيها الحجارة (٦).
ولهذا أفتى من وقفنا على فتاواه من العلماء بجواز اقتناء التوراة

---

(١) المصدر السابق ٤ / ٣٦٠.
(٢) دلائل النبوة ١ / ٨١.
(٣) سورة الصف، الآية ٦.
(٤) أي نسكب عليهما الماء الحميم، وقيل: نجعل في وجوههما الحمة، أي السواد.
(٥) أي يحني ظهره عليها.
(٦) صحيح البخاري ٦ / ٤٦ كتاب التفسير، سورة آل عمران، ٩ / ٢٠٥ كتاب المحاربين من أهل الردة والكفر، باب الرجم في البلاط، وصفحة ٢١٤ باب أحكام أهل الذمة. وراجع صحيح مسلم ٣ / ١٣٢٦ كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا.

والإنجيل، بل كتب الضلال كلها لنقضها أو للاحتجاج بها على من يعتقد بها.
وعليه، فلعل اقتناء أهل البيت عليهم السلام لهذه الكتب كان لأجل هذه الغاية، فلا يستخرجون شيئا منها إلا وقت الحاجة إليه، كما صنع الإمام عليه السلام مع بريه.
وقد ورد ما يشهد لذلك في كتبهم، فقد قال الشيخ محمد بن علي الصبان: إن المهدي يستخرج تابوت السكينة من غار أنطاكية، وأسفار التوراة من جبل بالشام، يحاج بها اليهود، فيسلم كثير منهم (١).
ومما ينبغي بيانه ههنا أن الكتب السماوية التي في أيدي الناس لا ريب في كونها من كتب الضلال، بسبب ما دخلها من التحريف، وأما ما عند أهل البيت عليهم السلام من كتب الأنبياء السابقين فهي وإن كانت منسوخة قد انتهى أمد العمل بها ، إلا أنها لا تشتمل على ضلال، لأن الله سبحانه لا يقول إلا الحق، ولا ينزل إلى الناس باطلا.
قال صاحب الجواهر أعلى الله مقامه: ليس من كتب الضلال كتب الأنبياء السابقين، ما لم يكن فيها تحريف، إذ النسخ لا يصيرها ضلالا، ولذا كان بعضها عند أئمتنا عليهم السلام، وربما أخرجوها لبعض أصحابهم، بل ما كان منها مثل الزبور ونحوه من أحسن كتب الرشاد، لأنها ليست إلا مواعظ ونحوها على حسب ما رأينا، والله أعلم (٢).
ولهذا قال الإمام عليه السلام في حديث الكافي الذي نحن بصدد الكلام فيه:

---

(١) إسعاف الراغبين ص ١٥٠، وأخرج السيوطي في كتابه العرف الوردي في أخبار المهدي المطبوع ضمن الحاوي للفتاوي ٢ / ٨١ نقلا عن أبي عمرو الداني في سننه، عن ابن شورب قال: إنما سمي المهدي لأنه يهدى إلى جبل من جبال الشام، يستخرج منه أسفار التوراة، يحاج بها اليهود فيسلم على يديه جماعة من اليهود.
(٢) جواهر الكلام ٢٢ / ٦٠.

نقرؤها كما قرأوها، ونقولها كما قالوا: أي أن ما نقرؤه منها هو عين ما كان يقرؤه الأنبياء عليهم السلام من هذه الكتب، لا تحريف فيه ولا تغيير، وأن ما نقوله للناس في تفسيرها وتأويلها هو عين ما يقولونه عليهم السلام من التفسير والتأويل.

وبهذا يتضح مما تقدم أن أئمة أهل البيت عليهم السلام وإن كانت كتب الأنبياء السابقين عندهم، إلا أن ما يخصون شيعتهم به من العلوم الإلهية والمعارف الدينية هو مما أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله، فعلمه لباب مدينة العلم، الأذن الواعية لعلمه، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي أفاض علومه على من جاء بعده من أئمة العترة النبوية الطاهرة، ثم أفاض كل إمام ما عنده من العلوم على الإمام الذي يأتي من بعده.

وما أحسن قول الشاعر:

إذا شئت أن تبغي لنفسك مذهبا * وتعلم أن الناس في نقل أخبار
فدع عنك قول الشافعي ومالك * وأحمد والمروي عن كعب أحبار
ووال أناسا قولهم وحديثهم * روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

* * *

وأما الحديث الثاني: فهو لا يدل أيضا على ما قاله، بل إن أقصى ما يدل عليه الحديث أن أبا عبد الله عليه السلام كان يدعو بدعاء النبي إلياس عليه السلام. أما أن هذا الدعاء كان مذكورا في أحد الكتب السماوية، أو مما رواه الصادق عليه السلام عن آبائه الطاهرين عن النبي صلى الله عليه وآله أو غير ذلك، فهذا لم يتضح من الحديث.

وعلى كل الاحتمالات فلا دلالة في ذلك على الاستغناء عن كتاب الله العزيز، فإن مجرد الدعاء بمثل ما دعا به أحد الأنبياء عليهم السلام لا يدل على

الرغبة عما جاء به النبي صلى الله عليه وآله كما هو واضح.
ولو سلمنا أن ما دعا به أبو عبد الله عليه السلام كان قد أخذه من أحد الكتب السماوية، فإن التحديث عن تلك الكتب التي لم تصل إليها يد التحريف ولا سيما في الدعاء وما شابهه جائز، وهو أولى من التحديث عن اليهود والنصارى الذي جوزه علماء أهل السنة.
فقد أخرج البخاري والترمذي وأحمد بن حنبل – واللفظ لهم – وأبو داود وغيرهم عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وآله قال: بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (١).
قال ابن حجر العسقلاني في شرح الحديث: أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم ، لأنه كان قد تقدم منه صلى الله عليه وآله الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك. وكأن النهي قد وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار.
وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله لا يجيز التحدث بالكذب ، فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم (٢).
وقال المناوي: حدثوا عن بني إسرائيل أي بلغوا عنهم قصصهم

---

(١) صحيح البخاري ٤ / ٢٠٧ كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل. سنن أبي داود ٣ / ٣٢٢. مسند أحمد بن حنبل ٢ / ١٥٩، ٢٠٢، ٤٧٤، ٥٠٢ ، ٣ / ٤٦. سنن الدارمي ١ / ١٣٦. سنن الترمذي ٥ / ٤٠. صحيح سنن أبي داود ٢ / ٦٩٧. صحيح الجامع الصغير ٢ / ٦٠٠. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨ / ٥٠ – ٥١. الجامع الصغير ١ / ٥٧٠.
(٢) فتح الباري ٦ / ٣٨٨.

ومواعظهم ونحو ذلك مما اتضح معناه، فإن في ذلك عبرة لأولي الأبصار، ولا حرج عليكم في التحديث عنهم ولو بغير سند، لتعذره بطول الأمد، فيكفي غلبة الظن بأنه عنهم، إنما الحرج فيما لم يتضح معناه (١).

وقول الجزائري: وكيف تجوز قراءة تلك الكتب المنسوخة المحرفة والرسول صلى الله عليه وآله يرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي يده ورقة من التوراة فينتهره قائلا: ألم آتيكم بها بيضاء نقية؟!

جوابه: أن ما عند أئمة أهل البيت عليهم السلام من كتب الأنبياء السابقين لم تصل إليها يد التحريف كما مر، وحينئذ يجوز التحديث عنها وإن كانت منسوخة، ولا سيما فيما يتعلق بالدعاء والمواعظ ونحوهما.

وأما نهر النبي صلى الله عليه وآله لعمر فلعله كان في بداية الدعوة، ثم رفع المنع منه لما استقرت الأحكام كما تقدم في كلام ابن حجر.

أو لعل النبي صلى الله عليه وآله علم أن عمر أراد أن يأخذ بما حوته تلك الورقة من عقائد فاسدة وأحكام باطلة أو منسوخة لا يجوز العمل بها، لا مثل الدعاء والمواعظ التي لا بأس بالنظر فيها.

أو أن النبي صلى الله عليه وآله خشي أن يعنى المسلمون بما يجدونه بأيدي أهل الكتاب من التوراة والإنجيل، فيأخذون ما لا يصح، ويعملون بما لا يجوز، فنهى عمر عن ذلك سدا لهذا الباب الذي يأتي منه الفساد.

وقوله: إن اعتقاد امرئ الاستغناء عن القرآن أو عن بعضه بأي حال من الأحوال هو ردة عن الإسلام ومروق منه.

جوابه: أنه لا نزاع بيننا في أنه لا يجوز لمسلم أن يهجر كتاب الله العزيز أو يعتقد الاستغناء عنه بغيره، وإنما الكلام في أن الشيعة الإمامية هل يعتقدون جواز الاستغناء عن القرآن بالتوراة والإنجيل كما زعم الجزائري أم لا؟

---

(١) فيض القدير ٣ / ٣٧٧.

والذي أقوله: إن عقيدة الشيعة الإمامية في كتاب الله العزيز أشهر من أن نتكلف بيانها، أو نتجشم إيضاحها، إلا أنا نذكر شيئا مما قاله بعض علمائنا الأعلام في بيان عقيدة الإمامية في القرآن، قطعا لشغب المشاغبين، وتشويش المشوشين، فنقول:

١ - قال أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق (ت ٣٨١ ه) : اعتقادنا في القرآن أنه كلام الله ووحيه وتنزيله وقوله وكتابه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم، وأنه القصص الحق، وأنه لقول فصل وما هو بالهزل، وأن الله تبارك وتعالى محدثه ومنزله وربه وحافظه والمتكلم به (١).

٢ - وقال الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء قدس سره: يعتقد الشيعة الإمامية... أن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه - يعني النبي صلى الله عليه وآله - للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم (٢).

٣ - وقال الشيخ محمد رضا المظفر قدس سره: نعتقد أن القرآن هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم، فيه تبيان لكل شئ، وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة وفيما حوى من حقائق ومعارف عالية، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه، وكلهم على غير هدى، فإنه كلام الله الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

---

(١) عقائد الصدوق، ص ٣٠.

(٢) أصل الشيعة وأصولها، ص ١٣٢.

خلفه) (١).
ومن الغريب أن الجزائري قد اختار هذين الحديثين، وزعم أنهما يدلان على أن أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم قد استغنوا عن القرآن الكريم بالتوراة والإنجيل المحرفين، ليصل إلى النتيجة التي يريدها، وهي أن كل من اعتقد الاستغناء عن كتاب الله فهو كافر، والشيعة يعتقدون ذلك، فهم كفار مارقون من الدين، مرتدون عن الإسلام.
فأقدم على تكفير الشيعة بهذين الحديثين الضعيفين، اللذين حملهما من المعاني ما لا يحتملانه، وأعرض عن الأحاديث الكثيرة الصحيحة التي أخرجها الكليني في الكافي في فضل القرآن، وفضل قراءته والعمل به.
ومن راجع كتاب الكافي يجد أن الكليني رحمه الله جعل للقرآن كتابا كاملا، أسماه كتاب فضل القرآن، وذكر فيه ١٢٤ حديثا، رتبها في أبواب مختلفة، منها:
- باب فضل حامل القرآن.
- باب من يتعلم القرآن بمشقة.
- باب من حفظ القرآن ثم نسيه.
- باب في قراءته.
- باب البيوت التي يقرأ فيها القرآن.
- باب ثواب قراءة القرآن.
- باب قراءة القرآن في المصحف.
- باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.
- باب فيمن يظهر الغشية عند قراءة القرآن.

---

(١) عقائد الإمامية، ص ٩٥.

- باب في كم يقرأ القرآن ويختم.
- باب في أن القرآن يرفع كما أنزل.
- باب فضل القرآن (١).

فمما ورد في فضل العامل بالقرآن الحافظ له ما رواه الفضيل بن يسار في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة (٢).

ومما ورد في الحث على قراءته ما رواه حريز في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية (٣).

ومما ورد في ثواب قراءته ما رواه الفضيل بن يسار في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن، فتكتب له مكان كل آية يقرؤها عشر حسنات، ويمحى عنه عشر سيئات (٤).

هذا مع أن الكليني رحمه الله قد روى في الكافي في باب الرد إلى الكتاب والسنة ما يدل على أنه ليس شئ من الحلال والحرام وما يحتاج إليه الناس إلا وقد جاء في كتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله.

ومن ذلك صحيحة حماد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: ما من شئ إلا وفيه كتاب أو سنة (٥).

---

(١) راجع الجزء الثاني من أصول الكافي من ص ٥٩٦ إلى ص ٦٣٤.
(٢) أصول الكافي ٢ / ٦٠٣.
(٣) المصدر السابق ٢ / ٦٠٩.
(٤) المصدر السابق ٢ / ٦١١.
(٥) المصدر السابق ١ / ٥٩.

وفي موثقة سماعة، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: أكل شئ في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله؟ أو تقولون فيه؟ قال: بل كل شئ في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله (١).

وروى رحمه الله أيضا في باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ما يدل على لزوم الأخذ بما وافق الكتاب من الأحاديث المروية، وطرح ما خالفه.

ومن ذلك صحيحة أيوب بن الحر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : كل شئ مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف (٢).

وخبر هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنى، فقال: أيها الناس، ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله (٣).

وهذا كله يدل على أن من يعتقد ذلك في كتاب الله العزيز لا يتجه منه اعتقاد الاستغناء عن القرآن الكريم بغيره من كتب الأنبياء السابقين عليهم السلام وإن كانت غير محرفة.

والحاصل أن تمسك العترة النبوية الطاهرة وشيعتهم بكتاب الله المجيد واحتجاجهم به وتعويلهم عليه مما لا يخفى على أحد، وإنكار ذلك مكابرة ظاهرة وسفسطة واضحة.

---

(١) المصدر السابق ١ / ٦٢.
(٢) المصدر السابق ١ / ٦٩.
(٣) المصدر السابق ١ / ٦٩.

كشف
الحقيقة الثانية

قال الجزائري:
الحقيقة الثانية
اعتقاد أن القرآن الكريم لم يجمعه ولم يحفظه أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إلا علي والأئمة من آل البيت
هذا الاعتقاد أثبته صاحب كتاب الكافي جازما به مستدلا عليه بقوله: عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده.
وأقول:
أخرج الكليني رحمه الله طائفة من الأحاديث في باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام، وأنهم يعلمون علمه كله (١)، ومنها الحديث الذي ذكره الجزائري في حقيقته هذه، وفي سنده عمرو بن أبي المقدام، وهو مختلف في وثاقته.
قال المولى المجلسي قدس سره: الحديث الأول [في سنده] مختلف فيه (٢).

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٢٨.
(٢) مرآة العقول ٣ / ٣٠.

والذي يظهر من كلمات الأعلام أن الأكثر ذهب إلى تضعيفه (١).
وكيف كان فالرجل لم تثبت وثاقته بدليل معتمد، ولا سيما مع اضطراب كلام العلماء فيه، فإن ابن الغضائري وثقه في أحد قوليه، وضعفه في قوله الآخر، وذكره العلامة قدس سره مرة في القسم الأول من خلاصته في الثقات، وذكره مرة ثانية في القسم الثاني منها في الضعفاء (٢)، وكذلك صنع ابن داود في رجاله (٣). وعليه فالرجل لا يعتمد حديثه لجهالته.
وأما الحديث الثاني فقد رواه الكليني عن محمد بن الحسين، عن محمد بن الحسن ، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن المنخل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأصياء.
وهذا الحديث ضعيف السند أيضا، وحسبك أن من جملة رواته محمد بن سنان والمنخل.
أما محمد بن سنان فقد مر بيان حاله، وأما المنخل فهو المنخل بن جميل الأسدي ، وهو ضعيف جدا.
قال فيه النجاشي: ضعيف فاسد الرواية (٤).
وقال ابن الغضائري: ضعيف، في مذهبه غلو (٥).
وقال العلامة: كان كوفيا ضعيفا، وفي مذهبه غلو وارتفاع. قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسين عن المنخل بن جميل، فقال: هو

---

(١) راجع تنقيح المقال ٢ / ٣٢٤، رجال العلامة، ص ٢٤١.
(٢) رجال العلامة، ص ١٢٠، ٢٤١.
(٣) راجع تنقيح المقال ٢ / ٣٢٤.
(٤) رجال النجاشي ٢ / ٣٧٢.
(٥) راجع تنقيح المقال ٣ / ٢٤٧.

لا شئ، متهم (١).
وقال المامقاني: كأن الكل متفقون على ضعفه (٢).
وأما باقي أحاديث الباب فكلها تدل على أن الأئمة عليهم السلام عندهم علم الكتاب كله.
ومنها: رواية سلمة بن محرز، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه، وعلم تغيير الزمان وحدثانه... ثم قال: ولو وجدنا أوعية أو مستراحا لقلنا (٣)، والله المستعان.
ومنها: رواية عبد الأعلى مولى آل سام، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: والله إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي، فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، قال الله عز وجل (فيه تبيان كل شئ).
ومنها: رواية عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وعندنا والله علم الكتاب كله.
ومنها: حسنة أو صحيحة بريد بن معاوية، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال: إيانا عنى، وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله.
ومعرفة الأئمة عليهم السلام بعلم الكتاب لا كلام لنا فيه الآن، فإن الجزائري لم يذكره، فلنكتف بمناقشته فيما عنون به حقيقته، ومناقشته في دلالة

---

(١) رجال العلامة، ص ٢٦١.
(٢) تنقيح المقال ٣ / ٢٤٧.
(٣) قال المجلسي في مرآة العقول ٣ / ٣٢ - ٣٣: الأوعية جمع وعاء... أي قلوبا كاتمة للأسرار حافظة لها، أو مستراحا أي من لم يكن قابلا لفهم الأسرار وحفظها كما ينبغي، لكن لا يفشيها ولا يذيعها، ولا يترتب ضرر على اطلاعه عليها فتستريح النفس بذلك.

الحديثين الأولين اللذين استخلص منهما حقيقته هذه، فنقول:
مناقشة الجزائري في دلالة الحديثين
قال: إن اعتقادا كهذا – وهو عدم وجود من جمع القرآن وحفظه من المسلمين إلا الأئمة من آل البيت – اعتقاد فاسد وباطل، القصد منه عند واضعه هو تكفير المسلمين من غير آل البيت وشيعتهم، وكفى بذلك فسادا وباطلا [كذا] وشرا.
أقول:
ليس المراد بجمع القرآن وحفظه من الحديثين هو جمع سوره وآياته في مصحف كما ظن الجزائري، بل المراد بجمعه أحد معنيين:
المعنى الأول: هو العلم بتفسيره ومعرفة ما فيه من أحكام ومعارف.
ويدل على ذلك قوله عليه السلام في الحديث الثاني: ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء.
فإنه ظاهر فيما قلناه، وإلا لو كان المراد بجمع القرآن في الحديث جمع ألفاظه في مصحف لكان أكثر هذه الأمة يدعون أن عندهم جميع القرآن كله. أما ادعاء العلم بالقرآن وفهم آياته ومعانيه الظاهرة والباطنة كما أنزلها الله سبحانه فهذا لم يقع من أحد من هذه الأمة إلا من أهل بيت النبوة عليهم السلام.
وقوله: ظاهره وباطنه يرشد إلى ذلك، فإن ظاهر القرآن وباطنه مرتبطان بمعانيه لا بألفاظه (١)، وجمع الظاهر والباطن يعني الإحاطة بمعاني آيات الكتاب العزيز كلها، أو أن الظاهر هو لفظه، والباطن معناه، فيكون المعنى أنه لا يستطيع أحد أن يدعي أن عنده علما بألفاظ القرآن

---

(١) الظاهر: ما ظهر معناه، والباطن: ما خفي تأويله.

ومعانيه كاملة إلا الأوصياء عليهم السلام.
ولو كان المراد بجمع القرآن جمع ألفاظه كاملة في مصحف لما صح لنا أن نقول: إن غير علي عليه السلام من أئمة أهل البيت عليهم السلام قد جمعه، لأنه إذا كان علي علي السلام قد جمعه قبلهم، فكيف يتأتى لهم أن يجمعوا ما كان مجموعا؟!
هذا مضافا إلى أن الظاهر من أحاديث الباب أنها جاءت تؤكد حقيقة واحدة، هي أن أئمة أهل البيت عليهم السلام علموا تفسير القرآن وفهموا معانيه كلها، وعرفوا أحكامه كما أرادها الله سبحانه، وأن أحدا من هذه الأمة لا يستطيع أن يدعي أنه يعلم ذلك إلا هم. وأما مسألة جمع القرآن بالمعنى الذي ذكره الجزائري فلم يكن مرادا بالحديثين الأولين، ولم تحم حوله باقي الأحاديث الأخر المذكورة في هذا الباب.
المعنى الثاني: أن المراد بجمع القرآن كما أنزل هو جمعه في مصحف رتب فيه المنسوخ قبل الناسخ، والمكي قبل المدني، والسابق نزولا قبل اللاحق، وهكذا.
وجمع القرآن بهذا النحو لم يتأت لأحد من هذه الأمة إلا لعلي بن أبي طالب علي السلام.
فقد أخرج ابن سعد وابن أبي داود وغيرهما عن محمد بن سيرين، قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وآله أبطأ علي عن بيعة أبي بكر، فلقيه أبو بكر فقال : أكرهت إمارتي؟ فقال: لا، ولكن آليت أن لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن. فزعموا أنه كتبه على تنزيله. فقال محمد: لو أصيب ذلك الكتاب كان فيه العلم (١).

---

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٢٣٨، المصاحف ص ١٦، وراجع تاريخ الخلفاء، ص ١٧٣، الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٢٧، كنز العمال ٢ / ٥٥٨، حلية الأولياء ١ / ٦٧، الفهرست لابن النديم، ص ٤١.

وقال السيوطي: وأخرجه ابن أشته في المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين ، وفيه أنه – يعني عليا عليه السلام – كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ، وأن ابن سيرين قال: تطلبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه (١).

* * *

وقول الجزائري: والقصد منه عند واضعه هو تكفير المسلمين من غير آل البيت وشيعتهم.

يرده أن القول بأن أهل البيت عليهم السلام جمعوا القرآن كله ظاهره وباطنه – أي علموا تفسيره وفهموا معانيه وأحكامه كما أرادها الله سبحانه، وأن غيرهم ليس كذلك – لا يلزم منه تكفير أحد من أهل القبلة، بل إن ذلك من تمام نعم الله على هذه الأمة أن جعل فيهم أئمة يهدون إلى الحق وبه يعدلون.

بل حتى لو قلنا: إن المراد بجمع القرآن هنا هو جمع ألفاظه كما ظن الجزائري، فإن ذلك لا يستلزم تكفير أحد من المسلمين الذين تلقوا القرآن من غيرهم ناقصا قد سقطت بعض آياته أو كلماته، لأنه يحتمل أن يكون الناقص مما لا يجب الاعتقاد به، ولا يضر جهله بجاهله، إذ ليس كل ما في القرآن يجب على كافة المسلمين أن يعرفوه ويعتقدوا به، وإلا كان واجبا على كل مسلم أن يكون جامعا لعلوم القرآن وأحكامه، وعارفا بمعانيه، ومعتقدا بمضامينه، وهذا لا يقول به أحد.

* * *

ثم إن الجزائري قد ذكر ما يستلزمه اعتقاد أن أهل البيت عليهم السلام هم

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٢٧.

الذين جمعوا ألفاظ القرآن كله دون غيرهم، وحيث إنا قد أوضحنا أن ما فهمه من معنى جمع القرآن غير صحيح، فإن اللوازم التي ذكرها لا نحتاج إلى تكلف ردها، إلا أنا سنذكرها مع ذلك لبيان فسادها في نفسها، فنقول:

قال: [يلزم من ذلك] تكذيب كل من ادعى حفظ كتاب الله وجمعه في صدره أو في مصحفه كعثمان وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وغيرهم من مئات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

والجواب:

لقد نص الحديث على كذب كل من ادعى العلم بأحكام القرآن وفهم معانيه الظاهرة والباطنة كما أرادها الله تعالى من غير أئمة أهل البيت عليهم السلام.

أما تكذيب من ادعى حفظه عن ظهر قلب أو في مصحف فغير مراد بالحديث كما أوضحنا، بل إن حفظه بهذا المعنى لا يتجه إنكاره البتة، بسبب وقوعه من كثير من الناس حتى الصبية الذين لم يبلغوا الحلم.

اللهم إلا إذا قلنا: إن من جمعه في مصحف أو حفظه لم يجمعه كما أنزل، أي مرتبا على حسب النزول، بأن جمع المنسوخ منه قبل الناسخ، والمكي قبل المدني، والسابق نزولا قبل اللاحق، فحينئذ يصح لنا أن نكذب كل من ادعى جمعه أو حفظه بهذا النحو.

ومن الواضح أن معرفة تفسير القرآن وفهم معانيه كما أرادها الله سبحانه لم تدع لأحد من علماء الصحابة وغيرهم إلا لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقد أخرج أبو نعيم الأصفهاني وابن عساكر وغيرهما عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا له

ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن (١).
وكان أمير المؤمنين عليه السلام يخبر بذلك مرارا، كما أخرج ابن سعد وأبو نعيم وغيرهما عن علي عليه السلام أنه قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلبا عقولا، ولسانا صادقا ناطقا (٢).
وأخرج ابن سعد وغيره عن علي عليه السلام، قال: سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل (٣).
* * *

قال الجزائري: [ويلزم] ضلال عامة المسلمين ما عدا شيعة آل البيت، وذلك أن من عمل ببعض القرآن دون البعض لا شك في كفره وضلاله، إذ من المحتمل أن يكون بعض القرآن الذي لم يحصل عليه المسلمون مشتملا على العقائد والعبادات والآداب والأحكام.
وأقول:
لقد أوضحنا المراد بالحديث، ومعنى الحديث لا يستلزم ما ذكره من ضلال أو كفر عامة المسلمين، بل حتى لو كان معنى الحديث ما زعمه هو فلا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة تلقى القرآن ناقصا كما مر آنفا.
وقوله: إن من عمل ببعض القرآن دون البعض لا شك في كفره وضلاله غير صحيح، لأن من تلقى القرآن ناقصا وعمل بما عنده من كتاب الله لا يجوز تكفيره ما لم ينكر شيئا علم بالضرورة أنه من الدين.
وقوله: لأنه لم يعبد الله تعالى بكل ما شرع غير صحيح، لأن ما

---

(١) حلية الأولياء ١ / ٦٥، ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق ٣ / ٣٢.
(٢) حلية الأولياء ١ / ٦٨، الطبقات الكبرى ٢ / ٣٣٨.
(٣) الطبقات الكبرى ٢ / ٣٣٨.

يفترض أنه سقط من القرآن يحتمل أن لا يكون من الواجبات العبادية، وعلى فرض كونه منها فقد يكون موضحا في السنة النبوية الشريفة، ثم إن من لم يأت ببعض التكاليف لعذر كالجهل ونحوه لا يوصف بالكفر أو الضلال.
وقال: إذ من المحتمل أن يكون بعض القرآن الذي لم يحصل عليه المسلمون مشتملا على العقائد والعبادات والآداب والأحكام.
وجوابه: أن احتمال ذلك لا يرفع احتمال عدمه، فلعل ما يفترض أنه ساقط من القرآن هو من الآداب والسنن، لا من الأصول التي يجب اعتقادها.
ولو سلمنا بأن ما يفترض سقوطه من كتاب الله هو من العقائد التي يجب اعتقادها ، فلا يلزم من ذلك الحكم بكفر أحد، إذ يحتمل أن تلك المعتقدات كانت موضحة أيضا في سنة النبي صلى الله عليه وآله المتواترة التي أخذ بها المسلمون وحفظوها.
* * *
قال: هذا الاعتقاد لازمه تكذيب الله في قوله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وتكذيب الله تعالى كفر، وأي كفر.
وأقول:
إن الاعتقاد بأن الله سبحانه قد اختص أهل البيت عليهم السلام بفهم معاني القرآن الظاهرة والباطنة، ومعرفة أحكامه كلها، لا يستلزم تكذيبا لله تعالى ولا لنبيه صلى الله عليه وآله كما هو واضح.
بل حتى لو قلنا: إن القرآن الكريم لم يجمعه أحد من هذه الأمة كما أنزل إلا أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإن هذا القول لا ينافي الآية المباركة، لأن المحصل حينئذ أن الله سبحانه حفظ الذكر بأئمة الحق عليهم السلام.

وإذا كان هذا الحديث الضعيف المروي في كتاب الكافي الدال على أن أهل البيت عليهم السلام جمعوا القرآن بالمعنى الذي بيناه، يستلزم تكذيب قول الله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، فما بالك
بالأحاديث الكثيرة التي رواها أهل السنة وصححوها، التي تدل على سقوط كلمات بل آيات بل سور من القرآن الكريم؟!
ألا يدل ذلك على تكذيب الله عز وجل في حفظ كتابه العزيز، ولا سيما أن أهل السنة لا يرون أن أحدا من هذه الأمة عنده قرآن غير هذا القرآن الذي هو في أيدي الناس.
وإذا أردت قارئي العزيز أن تطلع على بعض تلك الأحاديث فإنا نسوق لك شيئا منها، ونقسم ما نورده لك إلى طوائف:
الطائفة الأولى: تدل على ذهاب سور من كتاب الله.
ومن ذلك ما أخرجه مسلم وغيره عن أبي الأسود، قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة، كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة، فأنسيتها غير أني حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات (١) فأنسيتها، غير أني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة (٢).

---

(١) هي السور التي افتتحت بسبحان وسبح ويسبح وسبح.
(٢) صحيح مسلم ٢ / ٧٢٦ كتاب الزكاة، باب (٣٩) لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا.

الطائفة الثانية: تدل على نقصان سورة براءة والأحزاب.
ومن ذلك ما أخرجه الحاكم والهيثمي وغيرهما عن حذيفة رضي الله عنه، قال: ما تقرأون ربعها، وإنكم تسمونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب (١).
وأخرج الحاكم وصححه وأحمد - واللفظ له - والسيوطي والبيهقي والطيالسي وغيرهم، عن زر بن حبيش قال: قال لي أبي بن كعب: كائن تقرأ سورة الأحزاب؟ أو كائن تعدها؟ قال: قلت: ثلاثا وسبعين آية. فقال: قط؟ لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عليم حكيم (٢).
وفي لفظ آخر له: قال: كم تقرأون سورة الأحزاب؟ قال: بضعا وسبعين آية. قال: لقد قرأتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله مثل البقرة أو أكثر، وإن فيها آية الرجم (٣).
الطائفة الثالث: تدل على ذهاب آيات من القرآن، منها:
١ - آية الرجم: أخرج البخاري ومسلم - واللفظ له - والترمذي وأبو

---

(١) المستدرك ٢ / ٣٣١. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد ٧ / ٢٨. وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. الدر المنثور ٤ / ١٢٠.
(٢) المستدرك ٤ / ٣٥٩ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. مسند أحمد ٥ / ١٣٢. السنن الكبرى ٨ / ٢١١. كنز العمال ٢ / ٤٨٠. مسند أبي داود الطيالسي، ص ٧٣. الدر المنثور ٦ / ٥٥٨ عن عبد الرزاق في المصنف والطيالسي وسعيد بن منصور وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن منيع والنسائي وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف والدار قطني في الأفراد والحاكم وابن مردويه والضياء في المختارة.
(٣) مسند أحمد ٥ / ١٣٢.

داود وابن ماجة ومالك وأحمد والحاكم والبيهقي والهيثمي وغيرهم، عن عبد الله بن عباس، قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله
...
(١)
وفي رواية أبي داود، قال: وأيم الله لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله عز وجل لكتبتها (٢).
وفي رواية الموطأ، قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، يقول قائل: لا نجد حدين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله صلى الله عليه وآله ورجمنا ، والذي نفسي بيده لولا يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها: الشيخ والشيخة فارجموهما البتة فإنا قد قرأناها (٣).
وأخرج الحاكم عن أبي أمامة أن خالته أخبرته، قالت: لقد أقرأنا رسول الله صلى الله عليه وآله آية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما

---

(١) صحيح البخاري ٨ / ٢٠٨ - ٢٠٩ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت. صحيح مسلم ٣ / ١٣١٧ كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنا. سنن الترمذي ٤ / ٣٨ - ٣٩. سنن أبي داود ٤ / ١٤٤ - ١٤٥. سنن ابن ماجة ٢ / ٣٥٩. الموطأ، ص ٤٥٨ حديث ١٥٠١، المستدرك ٤ / ٣٥٩ وصححه ووافقه الذهبي. السنن الكبرى ٨ / ٢١٢ - ٢١٣. مجمع الزوائد ٦ / ٥ - ٦.
(٢) سنن أبي داود ٤ / ١٤٤ - ١٤٥ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣ / ٨٣٥ وإرواء الغليل ٨ / ٣. قال الزركشي في البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٦: ظاهر قوله: لولا أن يقول الناس... الخ أن كتابتها جائزة لزم أن تكون ثابتة، لأن هذا شأن المكتوب.
(٣) الموطأ، ص ٤٥٨.

قضيا من اللذة (١).
٢ - آية ثانية: ورد ذكرها في حديث طويل أخرجه البخاري عن ابن عباس، أن عمر قال: ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم (٢).
٣ - آية ثالثة: تقدم ذكرها في الطائفة الأولى، وهي قوله: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.
وأخرج أحمد وغيره عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى عمر رحمه الله يسأله، فجعل عمر ينظر إلى رأسه مرة وإلى رجليه أخرى، هل يرى عليه من البؤس، ثم قال له عمر: كم مالك؟ قال: أربعون من الإبل. قال ابن عباس: قلت : صدق الله ورسوله: لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب. فقال عمر: ما هذا؟ قلت: هكذا أقرأنيها أبي. قال: فمر بنا إليه. قال: فجاء إلى أبي ، فقال: ما يقول هذا؟ قال أبي: هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: أفأثبتها في المصحف؟ قال: نعم (٣).
وأخرج الترمذي - واللفظ له - وأحمد والطيالسي والحاكم والسيوطي والهيثمي وغيرهم عن أبي بن كعب، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: إن الله أمرني أن أقرأ عليك. فقرأ عليه: (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب)

---

(١) المستدرك ٤ / ٣٥٩ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة. ووافقه الذهبي.
(٢) صحيح البخاري ٨ / ٢١٠ كتاب المحاربين أهل من الكفر والردة، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.
(٣) عن مجمع الزوائد ٧ / ١٤١ وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

فقرأ فيها: إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهودية ولا النصرانية ، من يعمل خيرا فلن يكفره. وقرأ عليه: ولو أن لابن آدم واديا من مال لابتغى إليه ثانيا، ولو كان له ثانيا لابتغى إليه ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب (١).

الطائفة الرابعة: تدل على سقوط كلمات من بعض آيات القرآن أو زيادتها.

ومن ذلك ما أخرجه البخاري أن أبا الدرداء سأل علقمة (راوي الحديث)، قال: كيف كان عبد الله (٢) يقرأ (والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى). قلت: (والذكر والأنثى). قال: ما زال بي هؤلاء حتى كادوا يستزلوني عن شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله (٣).

وفي رواية أخرى: فقرأت (والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى * والذكر والأنثى). قال: أقرأنيها النبي صلى الله عليه وآله فاه إلى في، فما زال هؤلاء حتى كادوا يردوني (٤).

ومنه ما أخرجه الحاكم وغيره عن علي رضي الله عنه، أنه قرأ:

---

(١) سنن الترمذي ٥ / ٦٦٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. مسند أحمد ٥ / ١٣٢. مسند أبي داود الطيالسي، ص ٧٣. المستدرك ٢ / ٢٢٤، ٥٣١، وقال الحاكم في الموضعين: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد ٧ / ١٤٠. الدر المنثور ٨ / ٥٨٦ - ٥٨٨. تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٣٦.

(٢) يعني ابن مسعود.

(٣) صحيح البخاري ٥ / ٣١ كتاب فضائل أصحاب النبي (ص)، باب مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما.

(٤) المصدر السابق ٥ / ٣٥ كتاب فضائل أصحاب النبي (ص)، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

والعصر ونوائب الدهر إن الإنسان لفي خسر (١).
وأخرج مسلم وغيره عن أبي يونس مولى عائشة، أنه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا، وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى). فلما بلغتها آذنتها، فأملت علي: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين. قالت عائشة: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله (٢).
الطائفة الخامسة: تدل على أن المعوذتين ليستا من القرآن.
ومن ذلك ما أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: كان عبد الله - يعني ابن مسعود - يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله (٣).
قال السيوطي: أخرج أحمد والبزار والطبراني وابن مردويه من طرق صحيحة عن ابن عباس وابن مسعود أنه كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول: لا تخلطوا القرآن بما ليس منه، إنهما ليستا من كتاب الله، إنما أمر النبي صلى الله عليه وآله أن يتعوذ بهما، وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما (٤).
هذا مع أنهم رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من أحب أن يقرأ القرآن

---

(١) المستدرك ٢ / ٥٣٤ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. الدر المنثور ٨ / ٦٢١. تفسير الطبري ٣٠ / ١٨٧ وزاد: وإنه فيه: إلى آخر الدهر.
(٢) صحيح مسلم ١ / ٤٣٧ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب رقم ٣٦. سنن الترمذي ٥ / ٢١٧. سنن النسائي ١ / ٢٣٦. سنن أبي داود ١ / ١١٢.
(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥ / ١٢٩ - ١٣٠. وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ١٤٩ وقال: رواه عبد الله بن أحمد والطبراني، ورجال عبد الله رجال صحيح، ورجال الطبراني ثقات.
(٤) الدر المنثور ٨ / ٦٨٣. وراجع مجمع الزوائد ٧ / ١٤٩. قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني ورجالهما ثقات.

غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد (١) - يعني ابن مسعود.
ورووا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام كل عام مرة، فلما العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين، وكان آخر القراءة قراءة عبد الله (٢).
ورووا عن مسروق أنه قال: ذكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال: ذلك رجل لا أزال أحبه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود - فبدأ به - وسالم مولى أبي حذيفة ومعاد بن جبل وأبي بن كعب (٣).
قال الفخر الرازي: إن قلنا إن كونهما من القرآن كان متواترا في عصر ابن مسعود لزم تكفير من أنكرهما، وإن قلنا إن كونهما من القرآن كان لم يتواتر في عصر ابن مسعود لزم أن بعض القرآن لم يتواتر.
قال: وهذا عقدة عصبة (٤).
* * *

هذا غيض من فيض، ولو شئنا أن نذكر كل ما وقفنا عليه من هذه

---

(١) سنن ابن ماجة ١ / ٤٩. مسند أحمد ١ / ٧، ٢٦، ٣٨، ٤٤٥، ٤٥٤. المستدرك ٣ / ٢٢٧، ٣١٨ وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد ٩ / ٢٨٧ أخرجه بطرق رجاله بعضها ثقات. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١ / ٢٩ وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٥ / ٣٧٩.
(٢) مجمع الزوائد ٩ / ٢٨٨ قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح.
(٣) صحيح البخاري ٥ / ٤٥ باب مناقب أبي بن كعب، ص ٣٤ باب مناقب بن مسعود. صحيح مسلم ٤ / ١٩١٣ كتاب فضائل الصحابة، باب ٢٢. سنن الترمذي ٥ / ٦٧٤. المستدرك ٣ / ٢٢٥، ٥٢٧.
(٤) فتح الباري ٨ / ٦٠٤.

الأحاديث لطال بنا المقام، وخرجنا عن موضوع الكتاب.
وهنا نسأل الجزائري: ألا تدل هذه الأحاديث الصحيحة على تكذيب قول الله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)؟
فإن أجاب: بأن هذه الأحاديث وأمثالها تدل على أن من آيات القرآن الكريم ما نسخت تلاوته، بمعنى أن آية الرجم وغيرها كانت مما أنزل من القرآن على النبي صلى الله عليه وآله، إلا أنها نسخت، فأمر النبي صلى الله عليه وآله بإزالتها من المصاحف ونهى عن التعبد بتلاوتها.
قلنا له: إن ظاهر كثير من الأحاديث يدفع هذا التخريج، فإن قول عمر: لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها دال – كما تقدم عن الزركشي – على أن هذه الآية كانت ثابتة في كتاب الله، إلا أن خوف عمر من الناس منعه عن كتابتها في المصحف.
كما أن جواب أبي بن كعب ب (نعم)، لما سأله عمر عن إثبات لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب في المصحف، دال بوضوح على أنها من القرآن، ولم تنسخ تلاوتها، وإلا لما جاز إثباتها في المصحف.
وقول أبي الدرداء: ما زال بي هؤلاء حتى كادوا يستزلوني عن شئ سمعته من رسول الله ظاهر في أن (وما خلق الذكر والأنثى) ليست من القرآن المنزل على النبي، وإنما هو شئ أثبته القوم من عند أنفسهم.
إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الدالة على ما قلناه.
هذا مضافا إلى أن هناك أحاديث أخر تصرح بأن التحريف وقع بعد زمان النبي صلى الله عليه وآله:
منها: ما أخرجه مسلم ومالك والترمذي وأبو داود والنسائي وغيرهم عن عائشة ، أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات

يحرمن ثم نسخن ب (خمس معلومات)، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وهن فيما يقرأ من القرآن (١).
ومنها: ما أخرجه ابن ماجة وأحمد والدارقطني وغيرهم عن عائشة، قالت: لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرا. ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وتشاغلنا بموته دخل داجن (٢) فأكلها (٣).
ومنها: ما أخرجه السيوطي عن عائشة، قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن (٤).
وأخرج عن حميدة بنت أبي يونس، قالت: قرأ علي أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون في الصفوف الأول. قالت: قبل أن يغير عثمان المصاحف (٥).
وعن ابن عمر، قال: ليقولن أحدكم: قد أخذت القرآن

---

(١) صحيح مسلم ٢ / ١٠٧٥ كتاب الرضاع، باب ٦. الموطأ، ص ٣٢٤ كتاب الرضاعة، باب ٣. سنن الترمذي ٣ / ٤٥٦. سنن أبي داود ٢ / ٢٢٣ - ٢٢٤. سنن النسائي ٦ / ١٠٠. صحيح سنن أبي داود ٢ / ٣٨٩. صحيح سنن النسائي ٢ / ٦٩٦. إرواء الغليل ٧ / ٢١٨. سنن الدارمي ٢ / ١٥٧. السنن الكبرى ٧ / ٤٥٤. كتاب الأم ٥ / ٢٦.
(٢) الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم، وقد يطلق على غير الشاة مما يألف البيوت كالطير وغيرها.
(٣) سنن ابن ماجة ١ / ٦٢٥ - ٦٢٦. مسند أحمد ٦ / ٢٦٩. سنن الدارقطني ٤ / ١٧٩. الدر المنثور ٢ / ٤٧١ في تفسيره الآية ٢٣ من سورة النساء. صحيح سنن ابن ماجة ١ / ٣٢٨.
(٤) الدر المنثور ٦ / ٥٦٠. الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٥٢ - ٥٣.
(٥) الإتقان في علوك القرآن ٢ / ٥٣.

كله، وما يدريه ما كله، قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر (١).

وثانيا:

أن ما ذكروه من آية الرجم وغيرها لا يشبه أسلوبها الأسلوب القرآني ولا يدانيه ، بل هو كلام ألفاظه ركيكة، ومعانيه ضعيفة، لا يصح نسبة مثله إلى الله جل شأنه.

والحاصل أن دلالة هذه الأحاديث على التحريف ثابتة، لا تندفع بما قالوه من نسخ التلاوة وغيره من الوجوه التي لا يخفى ضعفها.

* * *

قال الجزائري: هل يجوز لأهل البيت أن يستأثروا بكتاب الله تعالى وحدهم دون المسلمين إلا من شاؤوا من شيعتهم؟!

أقول:

أما كتاب الله العزيز فهو بين أيدي المسلمين، لم يرفعه الله تعالى منذ أن أنزله على نبيه الكريم صلى الله عليه وآله. وأما فهم معانيه الظاهرة والباطنة ومعرفة أحكامه فهو مما اختص الله به أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وأهل البيت عليهم السلام لم يألوا جهدا في هداية الناس وإرشادهم والنصح لهم، إلا أن كثيرا من الناس أعرضوا عنهم ورغبوا عما عندهم، وقدموا غيرهم عليهم.

وقوله: أليس هذا احتكارا لرحمة الله واغتصابا لها، ينزه أهل البيت عنه كلام ركيك المعنى، إذ كيف يتحقق احتكار الرحمة واغتصابها حتى ينزه أهل البيت عليهم السلام عنها؟!

إن رحمة الله سبحانه واسعة كما قال الله في كتابه العزيز

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٥٢.

(ورحمتي وسعت كل شئ) (١)، إلا أنه تعالى قد يختص بعض عباده برحمة منه كما قال (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٢)، وقال (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) (٣).
وفهم أهل البيت عليهم السلام معاني القرآن ومعرفة أحكامه رحمة اختصهم الله سبحانه وتعالى بها فيما اختصهم به، وهذا لا محذور فيه.
* * *

قال: اللهم إنا لنعلم أن آل بيت رسولك برآء من هذا الكذب، فالعن اللهم من كذب عليهم وافترى.
أقول:
لقد أوضحنا فيما تقدم أنا لم نقل إن كل إمام من أئمة العترة النبوية الطاهرة جمع ألفاظ القرآن الكريم في مصحف، فإنا قد بينا فساده.
بل الذي ذهب إليه من وقفنا على قوله من علماء الشيعة الأبرار أن القرآن كان مجموعا في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله غير متفرق.
فقد ذكر أمين الإسلام الطبرسي رضوان الله عليه (ت ٥٤٨ ه) ما أفاده السيد المرتضى رحمه الله في هذه المسألة إذ قال:
وذكر [في أجوبة المسائل الطرابلسيات] أيضا أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله ويتلى عليه، وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب

---
(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٥.
(٣) سورة يوسف، الآية ٥٦.

وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعا مرتبا غير مبتور ولا مبثوث. وذكر أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته (١).

وقال السيد شرف الدين قدس سره: إن القرآن عندنا كان مجموعا على عهد الوحي والنبوة، مؤلفا على ما هو عليه الآن، وقد عرضه الصحابة على النبي صلى الله عليه وآله وتلوه عليه من أوله إلى آخره، وكان جبرئيل عليه السلام يعارضه صلى الله عليه وآله بالقرآن في كل عام مرة، وقد عارضه به عام وفاته مرتين، وهذا كله من الأمور الضرورية لدى المحققين من علماء الإمامية، ولا عبرة ببعض الجامدين منهم، كما لا عبرة بالحشوية من أهل السنة القائلين بتحريف القرآن والعياذ بالله، فإنهم لا يفقهون (٢).

وهذا ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عند أهل السنة، فقد أخرج البخاري ومسلم والترمذي وأحمد والطيالسي وغيرهم، عن أنس رضي الله عنه أنه قال: جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله أربعة كلهم من الأنصار: أبي ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد بن ثابت (٣).

* * *

قال الجزائري: لازم هذا الاعتقاد أن طائفة الشيعة هم وحدهم

---

(١) مجمع البيان ١ / ١٥.

(٢) أجوبة مسائل جار الله، ص ٣٠.

(٣) صحيح البخاري ٥ / ٤٥ كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب زيد بن ثابت. صحيح مسلم ٤ / ١٩١٤، ١٩١٥ كتاب فضائل الصحابة، باب رقم ٢٣. سنن الترمذي ٥ / ٦٦٦. مسند أحمد ٣ / ٢٣٣، ٢٧٧. مسند أبي داود الطيالسي، ص ٢٧٠.

أهل الحق والقائمون عليه، لأنهم هم الذين بأيديهم كتاب الله كاملا غير منقوص ، فهم يعبدون الله بكل ما شرع. وأما من عداهم من المسلمين فهم ضالون لحرمانهم من كثير من كتاب الله تعالى وهدايته فيه.

أقول:

كل طائفة من طوائف هذه الأمة تعتقد أو تدعي بأنها هي الطائفة المحقة والفرقة الناجية، أهل السنة والشيعة في ذلك سواء.

والشيعة الإمامية يعتقدون بأنهم هم أهل الحق، لأنهم تأملوا المذاهب، ونظروا في قول النبي صلى الله عليه وآله: ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة (١)، ورأوا أن النبي قد عين هذه الفرقة في أحاديث

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٥ / ٢٥، ٢٦، وأبو داود في سننه ٤ / ١٩٧، ١٩٨، وابن ماجة كذلك ٢ / ١٣٢١، ١٣٢٢، والدارمي كذلك ٢ / ٢٤١، واحمد في المسند ٢ / ٣٢، ٣ / ١٢٠، ١٤٥، والحاكم في المستدرك ١ / ٦، ١٢٨، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨ / ٢٥٨، وابن أبي عاصم في كتاب السنة ١ / ٧، ٢٥، ٣٢، ٣٣، والسيوطي في الجامع الصغير ١ / ١٨٤، والدر المنثور ٢ / ٢٨٩، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ٢٠٨، والبغوي في شرح السنة ١ / ٢١٣، والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ١ / ٦١، وابن حجر العسقلاني في المطالب العالية ٣ / ٨٦، ٨٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٢٥٨، ٢٦٠. وصححه الترمذي والحاكم والذهبي والبغوي والسيوطي فيما تقدم من كتبهم، والبوصيري في مصباح الزجاجة ٣ / ٢٣٩، والسخاوي في المقاصد الحسنة، ص ١٥٨، والشاطبي في الاعتصام ٢ / ١٨٩، والسفاريني في لوامع الأنوار البهية ١ / ٩٣، والزين العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ٣ / ٢٣٠، وابن تيمية في كتاب المسائل كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ / ٣٥٩، والألباني في سلسلته الصحيحة ١ / ٣٥٦، ٣٥٨، وصحيح الجامع الصغير ١ / ٢٤٥، ٥١٦، وصحيح سنن أبي داود ٣ / ٨٦٩. وصحيح سنن ابن ماجة ٢ / ٣٦٤، بل ادعى السيوطي تواتره كما في فيض القدير ٢ / ٢١، وكذلك الكتاني في نظم المتناثر، ص ٥٧.

صحيحة،
منها قوله صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبدا (١)،
وكشف المراد بأهل بيته في أحاديث أخر، حيث قال: اللهم هؤلاء أهلي أو... أهل بيتي (٢)، يعني عليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.
وعين صلى الله عليه وآله عدد أئمة الحق بقوله: لا يزال الاسلام عزيزا إلى اثني

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٥ / ٦٦٢، ٦٦٣، وأحمد في المسند ٣ / ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، ٥ / ١٨١، ١٨٩، والحاكم في المستدرك ٣ / ١٠٩ - ١١٠، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢ / ١٩٤، وابن أبي عاصم في كتاب السنة، ص ٦٢٩ - ٦٣٠، والسيوطي في الجامع الصغير ١ / ٤٠٢ والدر المنثور ٧ / ٣٤٩ في تفسير الآية ٢٣ من سورة الشورى، وفي إحياء الميت، ص ٢٨، ٢٩، ٣٩، ٤٠، ٤٨، ٥٥، ٥٦، وابن حجر العسقلاني في المطالب العالية ٤ / ٦٥، والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ٣ / ١٧٣٥، أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء ١ / ٣٣٥، والبغوي في شرح السنة ١٤ / ١١٩، والنسائي في خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ص ٩٦، والهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٧٠، ٩ / ١٦٢ وما بعدها، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤ / ١١٣، وفي البداية والنهاية ٥ / ١٨٤. وصححه الترمذي والحاكم والذهبي والسيوطي وابن حجر العسقلاني والهيثمي وابن كثير فيما تقدم من كتبهم. وصححه كذلك ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة، ص ٤٥، ٢٢٨، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ / ٣٥٥ وصحيح الجامع الصغير ١ / ٤٨٢.
(٢) قال صلى الله عليه وآله ذلك في أحاديث كثيرة، مها حديث المباهلة وحديث الكساء. راجع صحيح مسلم ٤ / ١٨٧١، ١٨٨٣، وسنن الترمذي ٥ / ٢٢٥، ٣٥٢، والمستدرك ٣ / ١٠٨ - ١٠٩، ١٣٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٨، ومجمع الزوائد ٩ / ١٦٦، وما بعدها، ومسند أحمد ١ / ١٨٥، ٣٣٠ - ٣٣١، ٤ / ١٠٧، ٦ / ٢٩٢، ٣٢٣، والاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩ / ٦١، والسنن الكبرى ٢ / ١٤٩، ومسند أبي داود الطيالسي، ص ٢٧٤، وكتاب السنة، ص ٥٨٨ - ٥٨٩، ومشكاة المصابيح ٣ / ١٧٣١، والدر المنثور ٦ / ٦٠٣ وما بعدها في تفسير آية التطهير، وتاريخ بغداد ١٠ / ٢٧٨، وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ص ٣٠ - ٧، ٤٧ - ٤٩، ٧٣.

عشر خليفة... كلهم من قريش (١). ورأوا أن أئمة أهل البيت الاثني عشر قد اتفقت الأمة على نجاتهم ونجاة أتباعهم.
فلما رأوا كل ذلك اتبعوهم، فصاروا بذلك هم الناجين دون غيرهم (٢).
أما أن الشيعة رأوا أنهم هم أهل الحق لما قاله الجزائري فهذا غير صحيح، وقد أوضحنا ذلك فيما تقدم، فلا نعيده.

* * *

قال الجزائري: أرأيت لو قيل لهذا القائل: أرنا هذا القرآن الذي خص به آل البيت شيعتهم، أرنا منه سورة أو سورا - يتحداه في ذلك، فماذا يكون موقفه؟

---

(١) أخرج حديث الخلفاء الاثني عشر باختلاف ألفاظه: البخاري في صحيحه ٩ / ١٠١ كتاب الأحكام، باب ٥١، ومسلم في صحيحه ٣ / ١٤٥٢ - ١٤٥٤ كتاب الإمارة، باب ١ بتسعة طرق، والترمذي في سننه ٤ / ٥٠١ بطريقين صححهما، وأبو داود في مسنده ٤ / ١٠٦.
بثلاثة طرق صححها الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣ / ٨٠٧. وأخرجه أحمد في مسنده ١ / ٣٩٨، ٥ / ٨٦ - ٩٠، ٩٢ - ١٠١، ١٠٦ - ١٠٨، والحاكم في المستدرك ٣ / ٦١٧، ٦١٨، وأبو داود الطيالسي في مسنده، ص ١٨٠، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء ٤ / ٣٣٣، وأبو عوانة في مسنده ٤ / ٣٩٦ - ٣٩٩، وابن أبي عاصم في كتاب السنة ٢ / ٥١٨، ٥٣٤، ٥٤٤، ٥٤٩، والبيهقي في دلائل النبوة ٦ / ٥١٩ - ٥٢٣ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢ / ١٢٦، والهيثمي في مجمع الزوائد ٥ / ١٩٠، ١٩١، وابن حجر العسقلاني في المطالب العالية ٢ / ١٩٧، وابن حبان في صحيحه كما في الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨ / ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٠، والبغوي في شرح السنة ١٥ / ٣٠، ٣١ والألباني في صحيح ابن الجامع الصغير ٢ / ١٢٧٤، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ١ / ٦٥١ رقم ٣٧٦، ٢ / ٦٩٠ رقم ٩٦٤.
(٢) راجع كتابنا دليل المتحيرين، فإنا ذكرنا فيه مزيدا من الأدلة الدالة على أن الفرقة الناجية هم الشيعة الإمامية دون غيرهم.

أقول:
إن أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يخصوا شيعتهم بقرآن غير هذا القرآن الذي يتداوله الناس، ولو كان عندهم قرآن آخر لأظهروه ولما خافوا في الله لومة لائم ، وكل من نسب إليهم غير هذا فهو كاذب مفتر عليهم، وقد أوضح ذلك أعلام المذهب في مصنفاتهم المعروفة، وأثبتوا أن ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين، لم يزد فيه ولم ينقص منه.
قال الشيخ الصدوق: إعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة... ومن نسب إلينا أنا نقول: إنه أكثر من ذلك فهو كاذب (١).
وقال أمين الاسلام الطبرسي (ت ٥٤٨ ه): الكلام في زيادة القرآن ونقصانه... لا يليق بالتفسير، فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييرا ونقصانا، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء (٢).
وقال شيخ الطائفة الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ ه): الكلام في زيادته ونقصانه... الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى رحمه الله، وهو الظاهر في الروايات (٣).
وقال الشيخ المفيد أعلى الله مقامه: أما النقصان فإن العقول لا تحيله ولا تمنع منه... وقد قال جماعة من أهل الإمامة: إنه لم ينقص من

---

(١) الاعتقادات، ص ٧٤ - ٧٥.
(٢) مجمع البيان ١ / ١٥.
(٣) التبيان في تفسير القرآن ١ / ٣.

كلمه ولا من آية ولا من سوره، ولكن حذف ما كان مثبتا في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله...
وقد يسمى تأويل القرآن قرآنا... وعندي أن هذا القول أشبه من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل.
وقال: وأما الزيادة فمقطوع على فسادها (١).
وقال السيد رضي الدين ابن طاووس (ت ٦٦٤ ه): كان القرآن مصونا من الزيادة والنقصان كما يقتضيه العقل والشرع (٢).
وقال الميرزا محمد حسن الآشتياني قدس سره: المشهور بين المجتهدين والأصوليين ، بل أكثر المحدثين عدم وقوع التغيير مطلقا، بل ادعى غير واحد الإجماع على ذلك (٣).
والحاصل أن القول بسلامة القرآن من التحريف بالزيادة أو النقصان هو الذي عليه عامة علماء الشيعة الإمامية قديما وحديثا، ومن ذهب إلى غير هذا القول فهو شاذ لا يعتد به ولا يعول عليه.

---

(١) أوائل المقالات، ص ٩١ - ٩٢.
(٢) سعد السعود، ص ١٩٣ - ١٩٤.
(٣) بحر الفوائد، ص ٩٩.

كشف
الحقيقة الثالثة

قال الجزائري:
الحقيقة الثالثة
استئثار آل البيت وشيعتهم دون المسلمين
بآيات الأنبياء كالحجر والعصا
يشهد لهذه الحقيقة ويثبتها ما أورده صاحب الكافي بقوله: عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام في ليلة مظلمة وهو يقول : همهمة همهمة، وليلة مظلمة، خرج عليكم الإمام عليه قميص آدم، وفي يده خاتم سليمان وعصا موسى.
وأورد أيضا قوله: عن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول : ألواح موسى عندنا، وعصا موسى عندنا، ونحن ورثة النبيين.
أقول
كل الأحاديث المروية في هذا الباب من الكافي ضعيفة (١).

---

(١) الحديث الأول من الباب هو خبر محمد بن الفيض عن أبي جعفر عليه السلام، ومن جملة رواته سلمة بن الخطاب، وهو ضعيف ضعفه النجاشي في رجاله، ص ١٣٣، وابن الغضائري كما في معجم رجال الحديث ٨ / ٢٠٤، والعلامة في الخلاصة، ص ٢٢٧ وغيرهم. ومن رواته أيضا منيع بن الحجاج البصري ومحمد ابن الفيض وهما مجهولان. وأما الحديث الثاني فهو خبر أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عليه السلام، وهو الحديث الثاني الذي ذكره الجزائري في حقيقته هذه، وسيأتي بيان ما فيه. وأما الحديث الثالث والرابع (وهو أول الحديثين اللذين ذكرهما الجزائري ههنا) فمن رواتهما موسى بن سعدان، وهو ضعيف كما سيتضح حاله.
وأما الحديث
الخامس والأخير فمن رواته بشر بن جعفر وهو مجهول الحال، والمفضل بن عمر وهو مختلف في وثاقته، والمشهور ضعفه، إذ ضعفه النجاشي في رجاله، ص ٢٩٥ ، وابن الغضائري والعلامة في الخلاصة، ص ٢٨٥، وابن داود وغيرهم. راجع تنقيح المقال ٣ / ٢٣٨.

أما الحديث الأول:
الذي أورده الجزائري في حقيقته هذه فقد رواه الكليني رحمه الله عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين، عن موسى بن سعدان، عن أبي الحسن الأسدي، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام.
وحسبك أن من جملة رواته موسى بن سعدان، وهو موسى بن سعدان الحناط الكوفي، وهو ضعيف لا يعتمد حديثه.
قال النجاشي: موسى بن سعدان الحناط ضعيف في الحديث (١).
وقال ابن الغضائري: موسى بن سعدان الحناط كوفي، روى عن أبي الحسن عليه السلام، ضعيف، في مذهبه غلو (٢).
ومثله كلام العلامة في الخلاصة (٣).
وأما الحديث الثاني: فقد رواه الكليني رحمه الله عن أحمد بن إدريس، عن عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر البغدادي، عن علي بن أسباط، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام.
وعمران بن موسى مشترك بين عمران بن موسى الخشاب، وهو مجهول الحال، وبين عمران بن موسى الأشعري، وهو مجهول أيضا، وبين عمران بن موسى الزيتوني الثقة.
وأما موسى بن جعفر البغدادي فهو مجهول الحال أيضا. قال

---

(١) رجال النجاشي، ص ٢٨٩.
(٢) راجع تنقيح المقال ٣ / ٢٦٥، والخلاصة، ص ٢٥٧.
(٣) الخلاصة، ص ٢٥٧.

المامقاني: ظاهره كونه إماميا، إلا أن حاله مجهول (١).
وأما محمد بن الفضيل فهو مشترك بين الضعيف وغيره.
قال المامقاني: الرجل إما ضعيف أو مجهول، اتحد أو تعدد (٢).
* * *

قال الجزائري: وبعد: أيها الشيعي إن هذا المعتقد في هذه الحقيقة بالذات يلزمك أمورا في غاية الفساد والقبح، لا يمكنك وأنت العاقل إلا أن تتبرأ منها ولا تعترف بها، وهي:
١ - تكذيب علي رضي الله عنه في قوله - وقد سئل: هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم آل البيت بشئ؟ فقال: لا، إلا ما كان في قراب سيفي هذا. فأخرج صحيفة مكتوبا فيها أمورا أربعة، ذكرها أهل الحديث كالبخاري ومسلم.
أقول:
كل ما ذكره من اللوازم غير لازم للشيعة، وذلك لأمرين:
الأول: أن أحاديث هذا الباب كما قلنا كلها ضعيفة، والحديث الضعيف لا يلزم ولا يلزم به كما هو واضح.
الثاني: ما ظنه الجزائري من اللوازم - ولا سيما الثالث والرابع مما ذكره - هو في حقيقة الأمر ليس بلازم، وهذا ما سيتضح فيما سيأتي قريبا.
أما ما ذكره من لزوم تكذيب علي عليه السلام فيما قاله في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم فغير صحيح، وذلك لأن هذا الحديث الذي ساقه ليس متواترا عن علي عليه السلام، وإنما هو حديث رواه أهل السنة في كتبهم،

---
(١) تنقيح المقال ٣ / ٢٥٤.
(٢) المصدر السابق ٣ / ١٧٢.

فلا يصح الاحتجاج به على غيرهم.
ولو سلمنا بصحته فلا نقطع بصدوره من علي عليه السلام وإن كان حجة يلزم العمل به، وذلك لأن الخبر الصحيح لا يفيد القطع، بل غاية ما يفيده الظن.
ثم إنا لو صححنا هاتين الروايتين – أعني رواية الكليني ورواية البخاري – وسلمنا بالتعارض بينهما، فمن أخذ بأحد الخبرين المتعارضين المرويين عن علي عليه السلام وترك الآخر فإنه لا يعد مكذبا له عليه السلام، وإلا لما جاز العمل بالأخبار المتعارضة.
ثم إن أكثر الشيعة ولا سيما عوامهم لم يطلعوا على هذا الحديث الذي رووه عن علي عليه السلام، فكيف يتحقق تكذيبهم لكلام لم يطلعوا عليه؟!
هذا مع أنه لا تعارض في البين بين أحاديث هذا الباب من الكافي والحديث الذي رووه عن علي عليه السلام، وذلك لأن المروي في صحيح البخاري أن علي عليه السلام سئل: هل عندكم كتاب؟ فقال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة... (١).
وفيه أيضا: عن علي رضي الله عنه، قال: ما كتبنا عن النبي صلى الله عليه وآله إلا القرآن وما في هذه الصحيفة، قال النبي صلى الله عليه وآله: المدينة حرام ما بين عائر إلى كذا، فمن أحدث أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين... (٢).
وفيه أيضا: أن عليا خطب فقال: ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة... (٣).

---

(١) صحيح البخاري ١ / ٣٨ كتاب العلم، باب كتابة العلم.
(٢) المصدر السابق ٤ / ١٢٤ – ١٢٥ كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر.
(٣) المصدر السابق ٤ / ١٢٢ كتاب الجزية، باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة...

وفي رواية مسلم أن عليا قال: من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة، (قال: وصحيفة معلقة في قراب سيفه) فقد كذب... (١).
ولو سلمنا بصحة هذه الأحاديث فالظاهر منها أن عليا عليه السلام قد أخبر أنه ليس عند آل بيت النبي صلى الله عليه وآله شئ مكتوب يقرؤونه، قد خصهم به رسول الله صلى الله عليه وآله دون الناس غير القرآن إلا تلك الصحيفة.
ولهذا قال ابن حجر في شرح قول السائل: هل عندكم كتاب: أي مكتوب أخذتموه عن رسول الله صلى الله عليه وآله مما أوحي إليه. ويدل على ذلك رواية المصنف - يعنى البخاري - في الجهاد: هل عندكم شئ من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ (٢)، وله في الديات: هل عندكم شئ مما ليس في القرآن؟ (٣)، وفي مسند إسحاق بن راهويه: عن جرير، عن مطرف: هل علمت شيئا من الوحي؟ (٤).
وقال السندي في حاشيته على سنن النسائي في شرح قول السائل: هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وآله شئ سوى القرآن؟: أي شئ مكتوب، وإلا فلا شك أنه كان عنده أكثر مما ذكر (٥).
ويدل على ذلك أيضا أن ما ذكر في الصحيفة لم يكن من الأمور المخصوصة بعلي عليه السلام دون سائر المسلمين (٦).

---

(١) صحيح مسلم ٢ / ١١٤٧ كتاب العتق، باب تحريم تولي العتيق غير مواليه.
(٢) صحيح البخاري ٤ / ٨٤ كتاب الجهاد، باب فك الأسير.
(٣) المصدر السابق ٩ / ١٣ - ١٤ كتاب الديات، باب العاقلة.
(٤) فتح الباري ١ / ١٦٥.
(٥) سنن النسائي بشرح السيوطي ٨ / ٢٣.
(٦) ما ذكر في الصحيفة هو: لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله آوى محدثا (راجع صحيح مسلم ٣ / ١٥٦٧، ومسند أحمد ١ / ١١٨). وذكر فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات
وفيها أيضا: المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا ، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، ومن ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا، (راجع صحيح مسلم ٢ / ١١٤٧، ومسند أحمد ١ / ١١٩، ١٢٢، ١٥١، ١٥٢، وسنن النسائي ٨ / ١٩، ٢٣، وسنن أبي داود ٤ / ١٨٠ - ١٨١ وما سبق ذكره من صحيح البخاري).

قال أبو الطيب العظيم آبادي: ليس يخفى أن ما في كتابه – أي صحيفة علي عليه السلام – ليس من الأمور المخصوصة (١).
ومثله قول السندي في حاشيته على سنن النسائي (٢).
وهذا يدل على أن مراد السائل هو معرفة ما إذا كان النبي صلى الله عليه وآله قد اختص عليا عليه السلام دون الناس بشئ مكتوب فيه شئ من العلم. لأن داعي السؤال هو أن عليا عليه السلام كان إذا وقع حدث قال: صدق الله ورسوله.
وهذا يشعر بأن النبي صلى الله عليه وآله كان قد اختصه بأمور غيبيه تقع، أخبره بها ولم يخبر أحدا سواه.
قال ابن حجر: السبب في سؤالهم لعلي رضي الله عنه عن ذلك أخرجه أحمد والبيهقي في الدلائل من طريق أبي حسان، أن عليا كان يأمر بالأمر فيقال: قد فعلناه. فيقول: صدق الله ورسوله. فقال له الأشتر: هذا الذي تقول أهو شئ عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وآله خاصة دون الناس... (٣).
وجواب علي عليه السلام يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله لم يخصه بشئ مكتوب دون الناس إلا ما في تلك الصحيفة التي حوت أمورا غير مخصوصة به. أما

---

(١) عون المعبود ١٢ / ١٦٠.
(٢) سنن النسائي بشرح السيوطي ٨ / ١٩.
(٣) فتح الباري ١ / ١٦٦.

ما خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ما ذكر فلم يقع في جواب علي عليه السلام وإن قصده السائل.
ومنه يتضح أن الأحاديث المذكورة في الكافي في باب ما عند الأئمة عليهم السلام من آيات الأنبياء عليهم السلام لا تتنافى مع ما أخرجه البخاري ومسلم من أحاديث الصحيفة، لأن تلك الأخبار تدل على أن النبي صلى الله عليه وآله قد اختص أهل بيته ببعض آيات الأنبياء، كقميص آدم وعصا موسى وخاتم سليمان، وأحاديث الصحيفة تنفي أن يكون النبي صلى الله عليه وآله قد اختص عليا وأهل بيته عليهم السلام بكتاب غير القرآن إلا تلك الصحيفة، وهذا لا ينفي اختصاصه صلى الله عليه وآله لأهل بيته بغير ذلك من المقتنيات والعلوم.
على أنا لو لم نقل إن النبي صلى الله عليه وآله ورث أهل بيته بعض آيات الأنبياء التي كانت عنده فلا نجد محذورا في القول بحيازتهم لها بعد ذلك، إذ لعلها كانت في أيديهم عندما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، فبقيت كذلك، كما قالوا في حيازة أبي بكر لخاتم النبي صلى الله عليه وآله، وحيازة عائشة لبعض ثيابه، وحيزة غيرهما لغيرها.
فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر (رض)، قال: اتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتما من ورق (١)، وكان في يده، ثم كان بعد في يد أبي بكر، ثم كان بعد في يد عمر، ثم كان في يد عثمان، حتى وقع بعد في بئر أريس ، نقشه: محمد رسول الله (٢).
وأخرج البخاري أيضا بسنده عن أبي بردة، قال: أخرجت إلينا

---

(١) أي فضة.
(٢) صحيح البخاري ٧ / ٢٠٢ كتاب اللباس، باب نقش الخاتم. وراجع ص ٢٠٣، باب هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر، ٤ / ١٠٠ كتاب فرض الخمس، باب ما ذكر من درع النبي (ص) وعصاه... الخ. صحيح مسلم ٣ / ١٦٥٦ كتاب اللباس والزينة، باب لبس النبي (ص) خاتما من ورق... الخ.

عائشة رضي الله عنها كساءا ملبدا، وقالت: في هذا نزع روح النبي صلى الله عليه وآله.
وزاد سليمان، عن حميد، عن أبي بردة، قال: أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها إزارا غليظا مما يصنع باليمن، وكساءا من هذه التي تدعونها الملبدة (١).
وهذه المقتنيات وغيرها بقيت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بيد من كانت عنده كما نص على ذلك ابن حجر، حيث قال: إنه صلى الله عليه وآله لم يورث ولا بيع موجوده، بل ترك بيد من صار إليه للتبرك به، ولو كانت ميراثا لبيعت وقسمت (٢).
وعليه، فلا ينبغي الريب في أن أهل البيت عليهم السلام كانت عندهم بعض مقتنيات رسول الله صلى الله عليه وآله كالثياب والسلاح وغيرها، لأنهم أولى الناس به.
وقد دلت بعض الأخبار على ذلك:
فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن شهاب: أن علي بن حسين حدثه أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية [بعد] مقتل حسين بن علي رحمة الله عليه لقيه المسور بن مخرمة، فقال له: هل لك إلي من حاجة تأمرني بها؟ فقلت له: فهل أنت معطي سيف رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وأيم الله لئن أعطيتنيه لا يخلص إليه أبدا حتى تبلغ نفسي... (٣).
وبهذا يتضح السر في إخفاء النبي صلى الله عليه وآله حيازته لمواريث الأنبياء عليهم السلام

---

(١) صحيح البخاري ٤ / ١٠١ كتاب فرض الخمس، باب ما ذكر من درع النبي صلى الله عليه وآله وعصاه... الخ.
(٢) فتح الباري ٦ / ١٦٠.
(٣) صحيح البخاري ٤ / ١٠١، صحيح مسلم ٤ / ١٩٠٣ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة عليها السلام.

عن الناس، إذ لم نجد في الأحاديث المروية عنه صلى الله عليه وآله في كتب أهل السنة مما يتعلق بذلك عينا ولا أثرا، وذلك حتى لا يغلب عليها أهل البيت عليهم السلام من بعده كما غلبوا على غيرها.

* * *

قال الجزائري: ٢ - الكذب عليه رضي الله عنه بنسبة هذا القول إليه.

أقول:

لقد أوضحنا أن أحاديث هذا الباب من الكافي كلها ضعيفة. وعليه فنحن لا نعلم بصدور هذا القول من أمير المؤمنين عليه السلام، ولم نقل نحن ولا قال الكليني قدس سره بأنه عليه السلام قد قاله حتى تتجه نسبة الكذب إليه أو إلينا، ولا سيما أنا لا نقطع بصدور هذا القول منه عليه السلام حتى لو صح الخبر عنه، فمع عدم صحته لا يحصل عندنا ظن بالصدور كما هو واضح.

هذا مضافا إلى أن الكليني رحمه الله روى هذه الأحاديث عن غيره، ولم يقل: إن عليا عليه السلام قاله حتى ننسبه إلى الكذب على علي عليه السلام، وإنما قال: حدثني فلان عن فلان أن عليا عليه السلام قال كذا وكذا، والكليني صادق فيما قال من تحديث غيره له، أما أن عليا عليه السلام قد قال ذلك أو لم يقله فهذا ما لا نعلمه، ولا نسأل عنه، ولا نحاسب عليه.

ولا أدري لم جزم الجزائري بأن عليا عليه السلام لم يقل ذلك القول، مع أنه لم يكن مناقضا لنص القرآن الكريم، أو مخالفا للسنة المتواترة أو الإجماع القطعي أو حكم العقل.

وكونه خبرا ضعيفا لا يدل على عدم وقوعه وإن كان بعض رواته معروفا بالكذب ، لأن الكذوب قد يصدق، ولهذا أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يتبينوا في أخبار الفاسقين، حيث قال: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم

نادمين) (١).
فأمر بالتبين في أخبارهم، ولم يأمر بردها. ومن البين أن هذا الأمر إنما اتجه لأجل احتمال صحة خبر الفاسق ولو في بعض الأحيان.
والحاصل أن جزم الجزائري بأن هذا الخبر مكذوب على أمير المؤمنين عليه السلام في غير محله، لعدم جريانه على القواعد العلمية. اللهم إلا إذا كان يدعي أن لديه ملكة قدسية نورانية، يستطيع بها تمييز الحديث المكذوب من غيره... وهذا ما يحتاج منه إلى إثبات (٢).
والظاهر أن الجزائري جزم بكذب أحاديث هذا الباب من الكافي لأنه استعظم أن يكون عند علي عليه السلام قميص آدم عليه السلام، وفي يده خاتم سليمان وعصا موسى عليهما السلام، مع أنهم رووا أن دابة الأرض التي تظهر في آخر الزمان، تخرج وفي يدها خاتم سليمان وعصا موسى.
فقد أخرج الترمذي وحسنه وابن ماجة وأحمد والطيالسي والحاكم وغيرهم، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فيقول: ها ها يا مؤمن. ويقال: ها ها يا كافر. ويقول هذا: يا مؤمن. وهذا: يا كافر (٣).

---

(١) سورة الحجرات، الآية ٦.
(٢) قال ابن حجر العسقلاني في نزهة النظر ص ٤٤: والحكم عليه - أي على الحديث - بالوضع إنما هو بطريق الظن الغالب لا بالقطع، إذ قد يصدق، لكن لا لأهل العلم بالحديث ملكة قوية يميزون بها ذلك، وإنما يقوم بذلك منهم من يكون اطلاعه تاما، وذهنه ثاقبا، وفهمه قويا، ومعرفته بالقرائن الدالة على ذلك متمكنة.
(٣) سنن الترمذي ٥ / ٣٤٠. سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٥١. مسند أحمد ٢ / ٢٩٥، ٤٩١. مسند أبي داود الطيالسي، ص ٣٣٤. الجامع الصغير ١ / ٥٠٢. المستدرك ٤ / ٤٨٥. الدر المنثور ٦ / ٣٨١. تفسير الطبري ٢٠ / ١١. تفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٧٥، ٣٧٦.
كنز العمال ١٤ / ٣٤١.

ورووا أن دابة الجنة هي علي بن أبي طالب عليه السلام فيما أخرجه الهيثمي والمتقي الهندي وغيرهما عن عمرو بن الحمق، قال: هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فبينما أنا عنده ذات يوم قال لي: هل أريك دابة الجنة تأكل الطعام، وتشرب الشراب، وتمشي في الأسواق؟ قال: قلت بلى بأبي أنت. قال: هذا دابة الجنة. وأشار إلى علي بن أبي طالب (١).

ورووا عن علي عليه السلام أنه سئل عن دابة الأرض فقال: أما والله ما لها ذنب، وإن لها للحية.

قال الماوردي: وفي هذا القول منه إشارة إلى أنها من الإنس وإن لم يصرح به (٢).

قال القرطبي: ولهذا - والله أعلم - قال بعض المتأخرين من المفسرين: إن الأقرب أن تكون هذه الدابة إنسانا متكلما يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم لينقطعوا، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة (٤).

أقول: ويدل على أنها من الإنس أنها تكلم الناس كما في قوله تعالى (تكلمهم)، وأنها تميز المؤمن من الكافر، وأنها تسم المؤمن بالعصا، وتختم الكافر بالخاتم... وذلك كله من الصفات المعهودة في البشر لا في غيرهم.

وعلى كل حال، فإن قلنا إن دابة الأرض هي علي بن أبي طالب عليه السلام، فليس من الإنصاف أن ننكر أن عنده عصا موسى وخاتم سليمان، وإن قلنا إن دابة الأرض غيره، فليس من الإنصاف أن نستعظم حيازته

---

(١) مجمع الزوائد ٩ / ١١٨. كنز العمال ١١ / ٦٢٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٢٣٦.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

عليه السلام للعصا والخاتم، ولا نستعظم حيازة الدابة لهما.
* * *

قال الجزائري: ٣ - الازدراء من نفس صاحب هذا المعتقد والدلالة القاطعة على تفاهة فهمه، ونقصان عقله، وعدم احترامه لنفسه، إذ لو قيل له: أين الخاتم؟ أو أين العصا؟ أو أين الألواح مثلا؟ لما حار جوابا، ولما استطاع أن يأتي بشئ من ذلك، وبه يتبين كذب القصة من أولها إلى آخرها.

وأقول:

لا أدري كيف يلزم كل شيعي بالازدراء منه؟! وهل يعد الازدراء من الشيعة من الأمور التي يلزمون بها إذا اعتقدوا أن آل البيت عليه السلام عندهم مواريث الأنبياء ؟!

ولا أدري لم يزدري الجزائري ممن يعتقد أن آيات الأنبياء كخاتم سليمان وعصا موسى وقميص آدم، قد صانها الله سبحانه وحفظها عند أشرف خلقه وهم أنبياؤه ورسله، إلى أن صارت عند أئمة العترة النبوية الطاهرة، ولا يزدري ممن يعتقد أن خاتم سليمان وعصا موسى يكونان في آخر الزمان عند دابة الأرض التي وصفوها بأنها دابة ذات قوائم أربع لها زغب (١) وريش، ورغاء كرغاء الإبل؟! (٢).

---

(١) الزغب هو صغار الشر والريش.

(٢) قال القرطبي في بيان أقوال علماء أهل السنة في دابة الأرض: فأول الأقوال أنه فصيل ناقة صالح، وهو أصحها... إلى أن قال: وذلك أن الفصيل لما قتلت الناقة هرب، فانفتح له حجر فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عز وجل. وروي أنها دابة مزغبة شعراء ذات قوائم أربع، طولها ستون ذراعا، ويقال إنها الجساسة، وهو قول عبد الله بن عمر... وروي أنها جمعت من خلق كل حيوان، وذكر الماوردي والثعلبي: وروي أنها جمعت من خلق كل حيوان، وذكر الماوردي والثعلبي: رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وإذنها أذن فيل، وقرنها قرن إيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعا - الزمخشري: بذراع آدم عليه السلام - ويخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان... الخ. راجع الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٢٣٥.

هذا مع أنا قد قلنا فيما تقدم أن هذا وأمثاله مما لا يجب معرفته ولا يضر بالشيعي جهله، ولعل أكثر عوام الشيعة لا يعرفون شيئا من ذلك.
ومن الغريب أن هذا الرجل قد استدل على تفاهة فهم ونقصان عقل من يعتقد بأن آيات الأنبياء عليهم السلام عند أهل البيت بأنه لو قيل له: أين الخاتم؟ أو أين العصا؟ أو أين الألواح مثلا؟ لما حار جوابا، ولما استطاع أن يأتي بشئ من ذلك .
ومن الواضح أنا لا نقول: إن هذه الآيات عندنا حتى نطالب بأن نأتي بها، بل هي عند أهل البيت عليهم السلام يتوارثونها.
* * *

وقال: وأوضح من ذلك فإنه قد يقال: لو كان ما قد قيل حقا لم لا يستخدم آل البيت هذه الآيات كالعصا والخاتم في تدمير أعدائهم والقضاء عليهم، وهم قد تعرضوا لكثير من الأذى والشر من قبلهم؟!
والجواب:
١ - أن أهل البيت عليهم السلام عباد لله مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. والله قادر على نصرهم بغير العصا، ولكن اقتضت حكمته جل شأنه أن يمهل أعداء الدين من أئمة الجور، ويملي لهم ليزدادوا إثما، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. قال تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم ، إنما نملي لهم ليزدادوا إثما، ولهم عذاب مهين) (١).

---
(١) سورة آل العمران، الآية ١٧٨.

٢ - لقد كان أعداء أهل البيت يظهرون الإسلام أو يتظاهرون به، ولم يكن حالهم في إعلان الحرب لله كحال فرعون الذي عتا عتوا كبيرا. قال تعالى (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا، يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين) (١).
ثم تمادى في غيه فادعى الربوبية لنفسه، وكذب بموسى عليه السلام لما جاءه بالدلائل الواضحة الدالة على صدقه. قال سبحانه (اذهب إلى فرعون إنه طغى * فقل له هل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربك فتخشى * فأراه الآية الكبرى * فكذب وعصى * ثم أدبر يسعى * فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى) (٢).
فلما آمن بموسى من آمن توعدهم فرعون بالتنكيل والقتل (قال آمنتم به قبل أن آذن لكم، إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين) (٣). وقال تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب * فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال) (٤).
ثم سعى لقتل موسى عليه السلام ومن آمن معه. قال تعالى (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه، إني أخاف أن يبدل دينكم، أو أن يظهر في الأرض الفساد) (٥).
فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يخرج ليلا هو ومن آمن معه. قال

---

(١) سورة القصص، الآية ٤.
(٢) سورة النازعات، الآيات ١٧ - ٢٤.
(٣) سورة الشعراء، الآية ٤٩.
(٤) سورة غافر، الآيات ٢٣ - ٢٥.
(٥) سورة غافر، الآية ٢٦.

سبحانه (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون) (١) (فأتبعهم فرعون بجنوده) (٢) (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال كلا إن معي ربي سيهدين * فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم * وأزلفنا ثم الآخرين * وأنجينا موسى ومن معه أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين) (٣).

والحاصل أن الله سبحانه قد استنفد مع فرعون كل السبل، إلا أنه أبى واستكبر وأسرف وعلا علوا كبيرا، (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) (٤)، فهل كان حال أعداء أهل البيت كحال فرعون؟!

٣ - إن إنزال العذاب معلق على مشيئة الله سبحانه، كما أخبر في كتابه العزيز إذ قال (ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ، والله على كل شئ قدير) (٥)، (قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ) (٦).

وقد شاء الله سبحانه أن يمهل أعداء الدين ويملي لهم ليزدادوا إثما كما تقدم.

٤ - إن أهل البيت عليهم السلام رحمة مهداة إلى هذه الأمة وأمان لها، بهم يرفع الله العذاب عن الناس، فإذا ذهبوا أتى الأمة ما يوعدون، كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله فيما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء، فإن طمست أتى

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٥٢.
(٢) سورة طه، الآية ٧٨.
(٣) سورة الشعراء، الآيات ٦١ - ٦٦.
(٤) سورة النازعات، الآية ٢٥.
(٥) سورة المائدة، الآية ٤٠.
(٦) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

السماء ما يوعدون، وأنا أمان لأصحابي، فإذا قبضت أتى أصحابي ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمتي ما يوعدون (١).
قال المناوي: شبههم بنجوم السماء، وهي التي يقع بها الاهتداء، وهي الطوالع والغوارب والسيارات والثابتات، فكذلك بهم الاقتداء وبهم الأمان من الهلاك (٢).

* * *

قال الجزائري: ٤ - إن الهدف من هذا الكذب المرذول هو إثبات هداية الشيعة وضلال من عداهم من المسلمين.
وأقول:
إن هداية الشيعة لا تثبت بمثل هذه الأحاديث الضعيفة، بل حتى لو صحت هذه الأحاديث وسلم بها الخصم، فإنها مع ذلك لا تدل على هداية فئة ولا ضلال فئة أخرى، وهو واضح.
قال: والقصد من وراء ذلك الإبقاء على المذهب الشيعي ذا كيان مستقل عن جسم الأمة الإسلامية، ليتحقق لرؤساء الطائفة ولمن وراءهم من ذوي النيات الفاسدة والأطماع الخبيثة ما يريدونه من العيش على حساب هدم الإسلام وتمزيق شمل المسلمين.
أقول:
هذا القول من التهم الكثيرة الباطلة التي سود بها كتيبه، وحسبك أنه

---

(١) المستدرك ٣ / ٤٥٧. وراجع مجمع الزوائد ٩ / ١٧٤، الجامع الصغير ٢ / ٦٨٠، والمطالب العالية ٤ / ٧٤، وإحياء الميت، ص ٣٧، ٤٥، والخصائص الكبرى ٢ / ٢٦٦، وفضائل الصحابة ٢ / ٦٧١.
(٢) فيض القدير ٦ / ٢٩٧.

لم يقم دليلا واحدا يثبت به ما قاله.
ولا أدري كيف يتحقق الإبقاء على المذهب الشيعي ذا كيان مستقل عن جسم الأمة الإسلامية، وكيف يعيش علماء الشيعة على حساب هدم الإسلام وتمزيق شمل المسلمين بإثبات أن أهل البيت عليهم السلام قد ورثوا بعض آيات الأنبياء السابقين صلى الله عليه وآله من رسول الله صلى الله عليه وآله؟! أين هذا من ذاك ؟!
ثم ما هو مراده بالأمة الإسلامية؟
إن كان مراده بالأمة باقي المسلمين، فما قاله يلزم أهل السنة كما يلزم الشيعة، لأن كل فرقة لها كيان عقائدي مستقل عن غيرها من باقي فرق المسلمين.
وإن عنى بالأمة أهل السنة، فمخالفتهم لا تضر ولا تشين، لأنا لم نجد دليلا واحدا في كتاب الله أو في سنة نبيه صلى الله عليه وآله يحذر من مخالفة من يعرفون بهذا الاسم، بل إن الأدلة الصحيحة تحث على لزوم اتباع أئمة أهل البيت صلى الله عليه وآله دون غيرهم (١).
* * *
وقوله: ليتحقق لرؤساء هذه الطائفة ولمن وراءهم من ذوي النيات الفاسدة والأطماع الخبيثة ما يريدونه من العيش على حساب هدم الإسلام

---

(١) من الآيات الدالة على لزوم اتباع أهل البيت عليهم السلام قوله سبحانه (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطيرا) الأحزاب: ٣٣.
راجع ما كتبه السيد عبد الحسين شرف الدين أعلى الله مقامه في كتابه الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء، ص ١١ - ٥٢ حول هذه الآية. ومن الأحاديث قوله صلى الله عليه وآله: (اني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لي يفترقا حتى يردا علي الحوض). راجع ما كتبناه حول هذا الحديث في كتابنا دليل المتحيرين، ص ١٨٩ - ٢٠٠.

وتمزيق شمل المسلمين.
جوابه: أن أئمة أهل البيت عليهم السلام مع أنهم كانوا هم أولى الناس بالأمر إلا أنهم لم يدخروا وسعا في إرشاد الناس عامة ونصح الخلفاء خاصة بما يضمن للمسلمين عزهم ووحدتهم.
قال الشيخ محمد رضا المظفر قدس سره في طي كلامه الذي عقده لبيان عقيدة الشيعة في الوحدة الإسلامية: عرف آل البيت عليهم السلام بحرصهم على بقاء مظاهر الإسلام والدعوة إلى عزته ووحدة كلمة أهله، وحفظ التآخي بينهم، ورفع السخيمة من القلوب والأحقاد من النفوس.
ثم ذكر جملة من مواقف أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام الدالة على ذلك، ثم قال:
وكذلك باقي الأئمة عليهم السلام في مواقفهم مع ملوك عصرهم وإن لاقوا منهم أنواع الضغط والتنكيل، فإنهم لما علموا أن دولة الحق لا تعود إليهم انصرفوا إلى تعليم الناس معالم دينهم، وتوجيه أتباعهم التوجيه الديني العالي. وكل الثورات التي حدثت في عصرهم من العلويين لم تكن عن إشارتهم ورغبتهم، بل كانت كلها مخالفة صريحة لأوامرهم وتشديداتهم، فإنهم كانوا أحرص على كيان الدولة الإسلامية من كل أحد حتى من خلفاء بني العباس أنفسهم.
وكفى أن نقرأ وصية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لشيعته: لا تذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم، فإن كان عادلا فاسألوا الله بقاءه، وإن كان جائرا فاسألوا الله إصلاحه، فإن صلاحكم في صلاح سلطانكم، وإن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبوا له ما تحبون لأنفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم (١).

---

(١) وسائل الشيعة ١١ / ٤٧٢.

قال: وهذا غاية ما يوصف في محافظة الرعية على سلامة السلطان أن يحبوا له ما يحبون لأنفسهم، ويكرهوا له ما يكرهون لها (١).

وأما علماء الشيعة الإمامية فهم تبع لأئمة أهل البيت عليهم السلام في ذلك، ومواقفهم وكلماتهم وفتاواهم في هذا الشأن أدل دليل على ذلك، إذ تدل بوضوح على أنهم أكثر علماء هذه الأمة سعيا في رأب الصدع ولم الشمل وتوحيد الكلمة.

وحسبك دليلا على ذلك ما أفتى به من وقفنا على فتواه منهم من استحباب الصلاة في جماعة أهل السنة، وحرمة أو كراهة التظاهر بمخالفة أهل السنة في المسائل الخلافية بين السنة والشيعة، وحرمة مخالفة أهل السنة في وقوف الحج في عرفات وغير ذلك مما يعرفه المتتبع.

ثم ما الذي يستفيده علماء الشيعة الإمامية من العيش على حساب هدم الإسلام وتمزيق شمل المسلمين وهم الذين صرفوا زهرة أعمارهم في الذب عن الإسلام والمسلمين؟! هذا مع أنهم لو ساروا في ركاب الحكام والأمراء والسلاطين وأكلوا من فتات موائدهم كما يصنع غيرهم، لكان ذلك أرغد لدنياهم وأرخى لبالهم.

هذا في الوقت الذي كان كثير من علماء أهل السنة قد دأبوا منذ مئات السنين إلى يومنا هذا على تصنيف المصنفات الكثيرة التي نقدوا فيها عقائد الشيعة الإمامية، وحكموا فيها بضلالهم وكفرهم، وأفتوا فيها بإباحة دمائهم وأموالهم.

ومن العجب أن هذا الرجل الذي يكتب مثل هذا الكتيب الذي يؤجج به نائرة الفتنة، ويزيد به الفرقة بتكفير طائفة كبيرة من طوائف المسلمين، يرمي علماء الشيعة بهدم الإسلام وتمزيق شمل

---

(١) عقائد الإمامية، ص ١٤٤.

المسلمين، وهل هذا إلا مصداق قوله سبحانه (ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) (١).

سورة النساء، الآية ١١٢.

كشف
الحقيقة الرابعة

قال الجزائري:
الحقيقة الرابعة
اعتقاد اختصاص أهل البيت وشيعتهم بعلوم
ومعارف نبوية وإلهية دون سائر المسلمين
ومستند هذه الحقيقة ما أورده صاحب الكافي بقوله: عن أبي بصير قال:
دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقلت: جعلت فداك، إن شيعتك
يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم عليا عليه السلام ألف باب
من العلم يفتح منه ألف باب. قال: فقال: يا أبا محمد، علم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عليا عليه السلام ألف باب، يفتح له من كل باب
ألف باب. قال: قلت: هذا بذاك. قال: ثم قال: يا أبا محمد، وإن
عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك، وما
الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع النبي صلى الله عليه وآله
وسلم، وأملاه من فلق فيه، وخط علي بيمينه كل حلال وحرام، وكل
شئ يحتاج إليه الناس حتى الأرش والخدش. قال: قلت: هذا والله العلم! قال
: إنه لعلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة ثم قال: عندنا الجفر، ما يدريهم ما
الجفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا
من بني إسرائيل. قال: قلت: إن هذا العلم! قال: إنه العلم، وليس
بذاك. ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام،
وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث
مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد! قال:

قلت: هذا والله العلم. قال: إنه العلم، وليس بذاك. ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن عندنا علم ما كان وما
هو كائن إلى أن تقوم الساعة. انتهى بالحرف الواحد.
* * *

ثم إن الجزائري بنى على هذا الحديث أمورا غريبة ونتائج عجيبة، فقال:
وبعد: إن النتيجة الحقيقية لهذا الاعتقاد الباطل لا يمكن أن تكون إلا كما يلي :

١ - الاستغناء عن كتاب الله تعالى، وهو كفر صراح.

والجواب

إن هذا الحديث لا يدل على هذه النتيجة ولا على غيرها من النتائج التي ذكرها كما سيتضح قريبا إن شاء الله تعالى.

وهذا الحديث المروي في الكافي صحيح الإسناد، فيه بيان ما خص به أهل البيت عليهم السلام من الصحائف والكتب وما عندهم من العلوم الشرعية والمعارف الإلهية التي لم تكن عند غيرهم من الناس.

ومنها: الجامعة: وهي صحيفة أملاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكتبها أمير المؤمنين عليه السلام، طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. والظاهر من الأخبار أنها تشتمل على كل الأحكام الشرعية من الحلال والحرام وكل ما يحتاج إليه الناس حتى أرش الخدش كما نص عليه هذا الحديث وغيره (١).

ومنها: مصحف فاطمة عليها السلام: وهو كتاب فيه علم ما يكون

---

(١) راجع بحار الأنوار ٢٥ / ١١٦، ٢٦ / ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٧ / ٢٦.

وأسماء من يملكون إلى قيام الساعة، بإملاء جبرئيل عليه السلام وبخط علي بن أبي طالب عليه السلام، كما دلت عليه الأخبار الكثيرة كخبر حماد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام. قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل الله إليها ملكا يسلي غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي. فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كل ما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفا. قال: ثم قال: أما إنه ليس فيه شئ من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون (١).

وفي صحيحة أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوما، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام (٢).

وأما الجفر فهو كما في الأخبار وعاء من جلد فيه كتب الأنبياء السابقين كالزبور والتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم ومصحف فاطمة، وفيه الحلال والحرام وغير ذلك، وهو الجفر الأبيض.

وأما الجفر الأحمر فهو وعاء آخر فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يخرجه الإمام المهدي عليه السلام حين خروجه كما في صحيحة الحسين بن أبي العلاء،

---

(١) الكافي ١ / ٢٤٠.

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٤١.

قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن عندي الجفر الأبيض. قال: قلت: فأي شئ فيه؟ قال: زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم عليه السلام والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعم أن فيه قرآنا ، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد، حتى فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش، وعندي الجفر الأحمر. قال: قلت: وأي شئ في الجفر الأحمر؟ قال: السلاح، وذلك إنما يفتح للدم، يفتحه صاحب السيف للقتل... (١).

إذا اتضح ذلك نقول:

إن حيازة مثل هذه الكتب وغيرها لا تدل بأية دلالة على الاستغناء بها عن كتاب الله العزيز، وإلا كان حيازة كتب الفقه والحديث والتاريخ وغيرها كفرا صراحا.

ثم إن الاستغناء عن كتاب الله عز وجل لا يتحقق إلا بالإعراض عنه إلى غيره، وأما الاستفادة من الكتب المدونة في شتى العلوم والفنون فهي لا تدل على الرغبة عن كتاب الله العزيز، ولا سيما إذا كانت مبينة لمجملات القرآن، وموضحة لما يحتاج منه إلى بيان كما هو الحال في الصحيفة الجامعة، التي تشتمل على الحلال والحرام وما يحتاج إليه الناس مفصلا، أو كانت مشتملة على بيان الملاحم والفتن وما يكون إلى قيام الساعة، كما هو الحال في مصحف فاطمة عليها السلام.

وعلى كل حال فإن الصحيفة الجامعة كتاب جامع في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومصحف فاطمة عليها السلام كتاب مشتمل على حديث جبرئيل عليه السلام، وباقي الكتب هي من كلام الله عز وجل، وكل ذلك حق لا يجوز نسبته إلى الباطل كما هو واضح.

---

(١) المصدر السابق ١ / ٢٤٠.

على أنا لو أردنا أن نثير الدفائن ونخرج المخبوء لقلنا: إن غير الشيعة الإمامية هم الذين قد استغنوا عن كتاب الله العزيز بما سطروه في كتبهم المعتمدة من أحاديث واهية وأخبار ضعيفة مخالفة لآيات الكتاب العزيز كما سيتضح في كشف الحقيقة السابعة إن شاء الله تعالى.

وعليك أيها القارئ العزيز بمراجعة ما سبق بيانه في رد ما تمسك به الجزائري في إثبات هذه التهمة في حقيقته الأولى.

شبهة وجوابها

لعل الخصم يقول: إن كل ذلك لا يصح، ولو أنا علمنا أن عليا عليه السلام كتب الصحيفة الجامعة من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومصحف فاطمة عليها السلام من إملاء جبريل عليه السلام لما نازعناكم في كل ذلك، ولكن ذلك لم يثبت، فلا يمكن قبوله بحال.

والجواب: أنا قد تلقينا ذلك من الثقات الأثبات فلا نرده وإن كان لا يلزمنا الاعتقاد به، لما بيناه فيما تقدم من أن الاعتقادات لا بد أن تكون يقينية، والخبر الصحيح وإن كان حجة في الأحكام الشرعية إلا أنه غير حجة في المعتقدات ، لأن أقصى ما يفيده الظن، والظن لا يغني من الحق شيئا.

وعليه، فإذا كنا لا نلتزم بالاعتقاد به فمن باب أولى لا نلزم الخصم به، إلا أن رده مع عدم استحالته مشكل، ولا سيما مع ورود النهي عن رد ما قاله أهل الكتاب مما لم تثبت صحته ولم يتضح بطلانه.

فقد أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة، أنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا (آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم) الآية (١).

---

(١) صحيح البخاري ٣ / ٢٣٧ كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة
وغيرها، ٦ / ٢٥ كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، باب وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه، ٩ / ١٣٦ كتاب الاعتصام، باب قول النبي (ص): لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ.

وأخرج أبو داود وأحمد والحاكم وابن حبان وغيرهم عن أبي نملة الأنصاري، عن أبيه: أنه بينما هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده رجل من اليهود مر بجنازة، فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الله أعلم. فقال اليهودي: إنها تتكلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا: آمنا بالله ورسله. فإن كان باطلا لم تصدقوه، وإن كان حقا لم تكذبوه (١).

* * *

قال الجزائري: ٢ - اختصاص آل البيت بعلوم ومعارف دون سائر المسلمين، وهو خيانة صريحة تنسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ونسبة الخيانة إليه صلى الله عليه وآله كفر لا شك فيه ولا جدال.

والجواب

١ - أن اختصاص النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحدا من هذه الأمة بعلم لا يعد خطأ ولا خيانة، ولا سيما إذا كانت ثمة منفعة خاصة أو عامة، ولهذا خص النبي صلى الله عليه وآله وسلم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بأسماء المنافقين دون غيره من الناس حتى سمي بصاحب سر رسول الله.

كما خص بعض أزواجه بحديث وسألها كتمانه (٢)، فلما أفشته أطلعه

---

(١) سنن أبي داود ٣ / ٣١٨ حديث ٣٦٤٤. مسند أحمد ٤ / ١٣٦. المستدرك على الصحيحين ٣ / ٣٥٨. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨ / ٥٢. شرح السنة ١ / ٢٦٨.

(٢) قيل نبأها بأن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده، وهو مروي عن ابن عباس. وقيل: نبأها بأنه حرم مارية على نفسه، أو حرم على نفسه شرب العسل. راجع تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٩٠، التفسير الكبير ٣٠ / ٤٢ - ٤٣، الدر المنثور ٨ / ٢١٨.

الله عليه.
قال عز من قائل (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) (١).
وخص فاطمة عليها السلام بما خصها به عند وفاته فيما أخرجه البخاري بسنده عن عائشة، قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله: مرحبا بابنتي. ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثا فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن.
فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى قبض النبي صلى الله عليه وآله فسألتها فقالت: أسر إلي: إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي. فبكيت، فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين. فضحكت لذلك (٢).
وخص أمير المؤمنين عليه السلام بما لم يخص به غيره كما أخرج الترمذي بسنده عن جابر، قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما انتجيته ولكن الله انتجاه (٣).

---

(١) سورة التحريم، الآية ٣.
(٢) صحيح البخاري ٤ / ٢٤٧ - ٢٤٨ كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.
(٣) سنن الترمذي ٥ / ٦٣٩. قال الملا علي القاري في شرح الحديث في مرقاة المفاتيح ١٠ / ٤٧١: والمعني أني بلغته عن الله ما أمرني أن أبلغه إياه على سبيل النجوى. وقال: قال الطيبي رحمه الله: كان ذلك أسرارا إلهية وأمورا غيبية جعله من خزائنها.

وأخرج أحمد والحاكم وغيرهما عن أم سلمة، قالت: والذي أحلف به إن كان علي لأقرب الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قالت: عدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غداة بعد غداة، يقول: جاء علي؟ مرارا. قالت فاطمة: كان بعثه في حاجة. قالت: فجاء بعد. قالت: فظننت أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكب عليه علي فجعل يساره ويناجيه، ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يومه ذلك، فكان علي أقرب الناس به عهدا (١).

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم والهيثمي وغيرهم عن ابن عباس قال: كنا نتحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إلى علي سبعين عهدا لم يعهدها إلى غيره (٢).

هذا كله مضافا إلى أن آية النجوى وهي قوله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر، فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) (٣) لم يعمل بها أحد من هذه الأمة إلا علي بن أبي طالب عليه السلام كما نص عليه كل من وقفنا على قوله في الآية من العلماء والحفاظ والمفسرين (٤).

---

(١) مسند أحمد ٦ / ٣٠٠. المستدرك ٣ / ١٣٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. فضائل الصحابة ٢ / ٦٨٦.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ٣٣٨. حلية الأولياء ١ / ٦٨٦. مجمع الزوائد ٩ / ١١٣.

(٣) سورة المجادلة، الآية ١٢.

(٤) أخرج الحاكم في المستدرك ٢ / ٤٨٢ وغيره عن علي عليه السلام أنه قال: ... إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) الآية. قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم، فناجيت النبي صلى الله عليه وآله، فكنت كلما ناجيت النبي صلى الله عليه وآله قدمت بين يدي نجواي درهما، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) الآية. قال الحاكم: هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهب. راجع جامع البيان في تفسير القرآن ٢٨ / ١٤. تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٢٦. الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٣٠١. التفسير الكبير ٢٩ / ٢٧٠. الدر المنثور ٨ / ٨٣. الكشاف ٤ / ٧٦.

٢ - كانت لأمير المؤمنين عليه السلام منزلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن لأحد غيره، فهو ربيبه وصهره على ابنته سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام وابن عمه وأخوه بالمؤاخاة دون غيره من المسلمين، ولهذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يدخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الوقت الذي لا يدخل عليه فيه أحد من الناس، كما أخرج النسائي وأحمد وابن خزيمة وغيرهم عن علي عليه السلام، أنه قال: كانت لي منزلة من رسول الله ٠ لم تكن لأحد من الخلائق، آتيه بأعلى سحر، فأقول: السلام عليك يا نبي الله. فإن تنحنح انصرفت إلى أهلي، وإلا دخلت عليه (١).

وأخرج أحمد وابن خزيمة والبيهقي والطحاوي وغيرهم عن علي عليه السلام أنه قال: كانت لي ساعة من السحر أدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن كان في صلاته سبح، فكان ذلك إذنه لي، وإن لم يكن في صلاته أذن لي (٢).

وروى السيد الرضي أعلى الله مقامه في نهج البلاغة عن علي عليه السلام أنه قال واصفا منزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشئ ثم يلقمنيه...

---

(١) سنن النسائي ٣ / ١٢ كتاب السهو، باب رقم ١٧. مسند أحمد ١ / ٨٥. صحيح ابن خزيمة ٢ / ٥٤. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ص ١٣٢. مرقاة المفاتيح ١٠ / ٤٧٨.

(٢) مسند أحمد ١ / ٧٧. صحيح ابن خزيمة ٢ / ٥٤. السنن الكبرى ٢ / ٢٤٧. مشكل الآثار ٢ / ٣٠٦. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص ١٣٠.

إلى أن قال: ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، وإنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي ، ولكنك لوزير، وإنك على خير (١).

والحاصل أن منزلة علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقتضي أن يسمع منه صلى الله عليه وآله ما لا يسمعه غيره، وأن يعلم منه ما لا يعلمه غيره، كما صح عندهم مثل ذلك في أبي هريرة فيما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة إذ قال: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة.

ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا. ثم يتلو (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات) إلى قوله (الرحيم)، إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون (٢).

وأخرج أيضا عنه أنه قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم (٣).

فإذا صح عندهم مثل ذلك في حق أبي هريرة فمن باب أولى يصح مثله على الأقل في حق علي عليه السلام الذي صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ نعومة

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٠٠.
(٢) صحيح البخاري ١ / ٣٩ كتاب العلم، باب حفظ العلم.
(٣) المصر السابق ١ / ٤٠.

أظفاره إلى أن التحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جوار ربه، بينما لم تزد صحبة أبي هريرة أكثر من ثلاث سنين (١).

٣ - كان علي عليه السلام شديد الحرص على تحصيل العلوم، فكان يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمور الدين والدنيا، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على تعليمه كما أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الله بن عمرو بن هند الحبلي، قال: قال علي: كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطاني، وإذا سكت ابتدأني (٢).

وأخرج ابن سعد عن علي عليه السلام أنه قيل له: مالك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثا؟ فقال: إني كنت إذا سألته أنبأني، وإذا سكت ابتداني (٣).

هذا مضافا إلى ما ورد من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل الله جل شأنه أن يجعل عليا عليه السلام الأذن الواعية لعلمه، حيث قال عند نزول قوله تعالى (وتعيها أذن واعية) (٤): سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي. قال علي: فما نسيت شيئا بعد ذلك، وما كان لي أن أنسى (٥).

هذا كله مع ما امتاز به علي عليه السلام من شدة الذكاء والفطنة ورجاحة

---

(١) أخر البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٤ / ٢٣٩، بسنده عن أبي هريرة، قال: صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث سنين لم أكن في سني أحرص على أن أعي الحديث مني فيهن.

(٢) سنن الترمذي ٥ / ٦٤٠.

(٣) الطبقات الكبرى ٢ / ٣٣٨. ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق ٢ / ٤٥٦.

(٤) سورة الحاقة، الآية.

(٥) جامع البيان في تفسير القرآن ٢٩ / ٣٥، ٣٦. الدر المنثور ٨ / ٢٦٧. تفسير القرآن العظيم ٤ / ٤١٣. التفسير الكبير ١٠ / ١٠٧. الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ٢٦٤. الكشاف ٤ / ١٣٤. فتح القدير ٥ / ٢٨٢. تفسير غريب القرآن المطبوع بهامش تفسير الطبري ٢٩ / ٣٠ - ٣١. أسباب النزول، ص ٢٩٤. لباب النقول في أسباب النزول، ص ٢١٩.

العقل وقوة الحافظة، ولهذا كان عليه السلام يقول: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سؤولا (١).

وبالجملة فمن كل ما تقدم يتضح أنه لا محذور في أن يخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا عليه السلام بما شاء من العلوم، ولا استبعاد في أن يكتب علي عليه السلام شيئا مما كان قد سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صحيفة أسماها أو سميت بعد ذلك الصحيفة الجامعة، ولا سيما أن غيره من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يكتبون بعض مسموعاتهم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كعبد الله بن عمرو بن العاص، كما في حديث البخاري الذي رواه عن أبي هريرة إذ قال: ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب (٢).

هذا مع نص بعض أعلام أهل السنة على أن عليا عليه السلام كان ممن يكتب حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ابن الصلاح: اختلف الصدر الأول رضي الله عنهم في كتابة الحديث، فمنهم من كره كتابة الحديث والعلم وأمروا بحفظه، ومنهم من أجاز ذلك... إلى أن قال: وممن روينا عنه إباحة ذلك أو فعله علي وابنه الحسن وأنس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص في جمع آخرين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين (٣).

وقال السيوطي: وأباحها - أي كتابة الحديث - طائفة وفعلوها، منهم

---

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٣٣٨. حلية الأولياء ١ / ٦٧ - ٦٨. ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق ٣ / ٢٦.

(٢) صحيح البخاري ١ / ٣٨ كتاب العلم، باب كتابة العلم.

(٣) مقدمة ابن الصلاح، ص ٨٧ - ٨٨.

عمر وعلي وابنه الحسن وابن عمرو وأنس وجابر وابن عباس وابن عمر أيضا، والحسن وعطاء وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز، وحكاه عياض عن أكثر الصحابة والتابعين (١).

* * *

قال الجزائري: ٣ - تكذيب علي رضي الله عنه في قوله الثابت الصحيح: لم يخصنا رسول الله آل البيت بشئ، وكذب على علي كالكذب على غيره حرام لا يحل.

والجواب

أنا قد أوضحنا فيما تقدم أن هذا القول المروي عن علي عليه السلام ليس متواترا حتى يلزم تكذيبه، وإنما هو مما رواه أهل السنة في كتبهم، فلا يصح الاحتجاج به على غيرهم.

على أنا لو سلمنا بصحة هذا الحديث وغيره مما يؤدي معناه فالظاهر منه أن عليا عليه السلام قد أخبر أنه ليس عند أهل البيت عليهم السلام شئ مكتوب يقرؤونه قد خصهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون الناس غير القرآن إلا تلك الصحيفة كما بيناه فيما تقدم.

أما أن عليا عليه السلام قد كتب أو لم يكتب صحيفة أخرى تشتمل على بعض ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذا شئ آخر لم يرد له ذكر في تلك الأحاديث، فإن ظاهر بعض تلك الأحاديث يدل على أن عليا عليه السلام قد سئل عما خصه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما هو مكتوب، أما ما كتبه هو عليه السلام من حديثه صلى الله عليه وآله وسلم فلم يرده السائل، ولم يرد في جوابه عليه السلام. هذا وقد سبق بيان المزيد في هذا الحديث، فراجعه.

* * *

---

(١) تدريب الراوي ٢ / ٦٥.

قال الجزائري: ٤ - الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من أعظم الذنوب وأقبحها عند الله، إذ قال عليه الصلاة والسلام: إن كذبا علي ليس ككذب على أحدكم، من كذب علي متعمدا فليلج النار.

والجواب

إن أراد أن ما جاء في الحديث من أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم عليا عليه السلام ألف باب من العلم، يفتح له من كل باب ألف باب هو كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيرده أنه مروي في كتبهم أيضا فيما أخرجه المتقي الهندي في منتخب كنز العمال عن علي عليه السلام أنه قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب، كل باب يفتح ألف باب.

وعن ابن عباس قال: إن عليا خطب الناس فقال: يا أيها الناس، ما هذه المقالة السيئة التي تبلغني عنكم؟ والله لتقتلن طلحة والزبير ولتفتحن البصرة، ولتأتينكم مادة من الكوفة، ستة آلاف وخمسمائة وستين، أو خمسة آلاف وستمائة وخمسين. قال ابن عباس: فقلت الحرب خدعة. قال: فخرجت فأقبلت أسأل الناس: كم أنتم؟ فقالوا كما قال. فقلت: هذا مما أسره إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنه علمه ألف ألف كلمة، كل كلمة تفتح ألف ألف كلمة (١).

هذا مع أنا قد أوضحنا فيما تقدم أن عليا عليه السلام كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان شديد الحرص على التعلم منه واقتفاء آثاره، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم شديد العناية به والرعاية له والحرص على تعليمه، فكان يجيب عليا عليه السلام إذا سأله، ويبتدؤه إذا لم يسأله.

وإذا صح عندهم أن أبا هريرة كان عنده وعاءان من العلم تلقاهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبث أحاديثه الكثيرة من أحد ذينك الوعاءين، فكيف

---

(١) منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند أحمد ٥ / ٤٣.

يستبعد أن يحوي علي عليه السلام ألف باب من العلم، يفتح له من كل باب ألف باب، مع قرب منزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكثرة ملازمته له، وطول صحبته، وكثرة مساءلته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشدة ذكائه، وقوة حافظته كما مر بيانه مفصلا؟!

هذا مضافا إلى أن عليا عليه السلام قد أحاط بعلوم القرآن كما مر من قوله عليه السلام: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين نزلت.

وقوله عليه السلام: سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل.

وقول ابن مسعود رضي الله عنه أن عليا عليه السلام أوتي علم الظاهر والباطن. وقد تقدم (١).

هذا كله مع ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها (٢).

وأما إذا أراد أن ما جاء في الحديث من أن الجامعة هي من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو كذب على النبي صلى الله عليه وآله، فهذا أمر لا يجزم بعدم وقوعه، فلا يصح نفيه، ولا سيما أن الأحاديث التي سقناها إليك آنفا قد دلت على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا ما كان ينتجي عليا عليه السلام فيخصه بما شاء، وكان علي عليه السلام يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيجيبه، بل كان يبتدؤه بالتعليم ابتداءا فيفيده، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يكتب بعض ما سمعه من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه فلا استبعاد ولا غرابة في أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أملى على أمير المؤمنين عليه السلام صحيفة جامعة في الحلال والحرام، ولا سيما أن

---

(١) تقدم في ص ٦٣. وراجع الطبقات الكبرى ٢ / ٣٣٨.

(٢) صححه الحاكم في المستدرك ٣ / ١٢٦، وحسنه السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ١٥٩، وابن حجر والزركشي والعلائي كما في فيض القدير ٣ / ٤٦، ٤٧.

بعض الأحاديث الصحيحة قد نصت على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يكتب للأمة كتابا، فحيل بينه وبين كتابة ذلك الكتاب.
فقد أخرج البخاري - واللفظ له - ومسلم وأحمد وابن حبان وغيرهم عن ابن عباس، قال: لما حضر (١) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. فقال عمر: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتابا لن تضلوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قوموا. قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم (٢).
وأخرج مسلم عن ابن عباس، قال: يوم الخميس وما يوم الخميس. ثم جعل تسيل دموعه، حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
ائتوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة) أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده.
فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهجر (٣).
والذي احتمله النووي وغيره أن الذي أراده النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك

---

(١) أي حضره الموت.
(٢) صحيح البخاري ٧ / ١٥٥ - ١٥٦ كتاب الطب، باب قول المريض قوموا عني. ٩ / ١٣٧ كتاب الاعتصام، باب كراهية الخلاف. ٦ / ١١ كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته، ٤ / ١٢١ كتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، ٤ / ١٨٥ كتاب الجهاد، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم. صحيح مسلم ٣ / ١٢٥٩ كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شئ يوصي فيه. مسند أحمد ١ / ٣٢٤ - ٣٢٥، ٣٣٦. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨ / ٢٠١.
(٣) صحيح مسلم ٣ / ١٢٥٩. مسند أحمد ١ / ٣٥٥. وراجع مسند أحمد ١ / ٢٢٢، ٢٩٣ المستدرك ٣ / ٤٧٧. مجمع الزوائد ٤ / ٢١٤، ٥ / ١٨١.

الكتاب هو أن يكتب مهمات أحكام الدين، أو ينص على الخلفاء من بعده (١) ، فإن صح الاحتمال الأول (٢) فليس من البعيد أن نقول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما حيل بينه وبين كتابة ذلك الكتاب أملاه على أمير المؤمنين عليه السلام، فكتب من إملائه صلى الله عليه وآله وسلم صحيفة جامعة مشتملة على كل أحكام الدين من الحلال والحرام، والله العالم بحقائق الأمور.

* * *

قال الجزائري: ٥ - الكذب على فاطمة رضي الله عنها بأن لها مصحفا خاصا يعدل القرآن ثلاث مرات، وليس فيه من القرآن حرف واحد.

والجواب

لقد أوضحنا فيما سبق أن مصحف فاطمة عليها السلام هو كتاب فيه علم ما يكون وأسماء من يملكون إلى قيام الساعة، بإملاء الملك أو جبرئيل عليه السلام وبخط علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١١ / ٩٠.

(٢) الصحيح هو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن ينص على أمير المؤمنين عليه السلام خليفة من بعده، وذلك لأن مهمات الأحكام كانت مبينة وموضحة في ذلك الحين، وقد أكمل الله الدين وأتم النعمة قبل هذا اليوم، ولأن النص على الخلفاء أهم من إعادة أحكام مبينة، وبالنص على الخلفاء يندفع كل اختلاف وبلاء وتضليل، ولأن من خفيت عليه مهمات الأحكام فخالفها لا يكون ضالا بل حتى لو خالفها وهو بها عالم، فإنه يكون فاسقا لا غير، ولان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو أراد أن يكتب مهمات الأحكام لما حدث اللغط والاختلاف ونسبة الهجر إليه، وما سبب اللغط إلا علمهم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يريد أن ينص على الخلفاء من بعده، ثم إن المناسب في ذلك الوقت - وهو قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأيام قليلة - مع شدة وجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانشغاله بنفسه أن ينص على من يقوم بالأمر من بعده لا كتابة مهمات الأحكام قبيل وفاته بأيام قليلة.

وإنما سمي مصحفا لأنه كتاب جامع لصحف مكتوبة، وكل ما كان كذلك فهو مصحف لغة، وإن لم يكن قرآنا أو فيه شئ من سوره وآياته.

شبهة وجوابها:

قد يقول قائل: إن ادعاء تكليم الملائكة غير الأنبياء باطل، فلا يصح ادعاء سماع فاطمة وعلي عليهما السلام كلام الملائكة عامة أو جبريل خاصة.

والجواب: أن الأحاديث التي أخرجها حفاظ الحديث من أهل السنة قد دلت على أكثر من ذلك في حق من هم دون أمير المؤمنين فاطمة عليها السلام.

ولنا أن نقسم تلك الأحاديث إلى أربع طوائف:

الطائفة الأولى: دلت على أن الناس لو استقاموا لصافحتهم الملائكة.

ومن ذلك ما أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجة وأحمد والحميدي والطيالسي وابن حبان وغيرهم عن حنظلة التميمي الأسيدي، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: يا حنظلة، لو كنتم تكونون كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم أو في طرقكم (١).

وفي رواية أخرى، قال: لو كنتم تكونون إذا فارقتموني كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة بأكفها، ولزارتكم في بيوتكم (٢).

---

(١) صحيح مسلم ٤ / ٢١٠٦ - ٢١٠٧ كتاب التوبة، باب رقم ٣. سنن الترمذي ٤ / ٦٦٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح. سنن ابن ماجة ٢ / ١٤١٦. مسند أحمد ٢ / ٣٠٥، ٣ / ١٧٥، ٤ / ١٧٨، ٣٤٦، الجامع الصغير ٢ / ٤٢٨ حديث رقم ٧٤١٨، ٧٤١٩. مسند أبي داود الطيالسي، ص ١٩١. شرح السنة ١ / ١٦٧. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩ / ٢٤٠ - ٢٤١. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢ / ٤١٥ - ٤١٦، وصحيح الجامع الصغير ٢ / ٩٣١، ١١٩٠، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ / ٦٠٦.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي، ص ٣٣٧.

وعلى ذلك يحمل تكليم الملائكة لمريم عليها السلام فيما حكاه الله سبحانه في كتابه العزيز، إذ قال (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا * فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا * قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا * قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) (١).

وقال عز من قائل (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) (٢).

وعليه فهل يحق لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينفي عن أمير المؤمنين عليه السلام الاستقامة التي تؤهله لأن تتحدث معه الملائكة في بيته، وهو مولى كل مؤمن ومؤمنة (٣)، الذي يدور معه الحق حيثما دار (٤)، وأخو النبي

---

(١) سورة مريم، الآيات ١٦ - ٢١.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان ٤٢، ٤٣.

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه. راجع سنن الترمذي ٥ / ٦٣٣. سنن ابن ماجة ١ / ٤٣. المستدرك ٣ / ١٠٩، ١١٠. مسند أحمد ١ / ٨٤، ١١٨، ١١٩، ١٥٢، ٣٢١، ٤ / ٢٨١، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢، ٥ / ٣٤٧، ٦٦، ٤١٩. حلية الأولياء ٤ / ٢٣، ٥ / ٢٧، ٣٦٤. مجمع الزوائد ٩ / ١٠٣ - ١٠٦. كتاب السنة، ص ٥٩٠، ٥٩٦. عده السيوطي في قطف الأزهار المتناثرة، ص ٢٧٧ من الأحاديث المتواترة، وكذا الكتاني في نظم المتناثر، ص ٢٠٥، والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة، ص ٢٠٥، والحافظ شمس الدين الجزري في أسنى المطالب، ص ٥، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ / ٣٤٣. وصححه جمع من اعلام أهل السنة. راجع كتابنا دليل المتحيرين، ص ٣٧٠.

(٤) أخرج الحاكم في المستدرك ٣ / ١٢٤ - ١٢٥ عن علي رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم أدر الحق معه حيث دار. وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. راجع كتابنا المذكور، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة (١)، وباب مدينة علمه (٢)، الذي يحبه الله ورسوله، و يحبه الله ورسوله (٣)، ومنزلته من النبي كمنزلة هارون من موسى (٤)، ولا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق (٥)؟! وهل يحق لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينفي عن فاطمة

---

(١) أخرج الترمذي في سننه ٥ / ٦٣٦ وحسنه، والحاكم في المستدرك ٣ / ١٤ وغيرهما، عن ابن عمر، قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه، فجاء علي تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد! فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

(٢) أخرج الحاكم في المستدرك ٣ / ١٢٦ - ١٢٧ وصححه عن علي عليه السلام ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب. وأخرجه الترمذي في سننه ٥ / ٦٣٧، إلا أنه قال: أنا دار الحكمة.... راجع مصادر هذا الحديث في كتاب الغدير للأميني ٦ / ٦١ - ٨١.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه ٥ / ٢٢ - ٢٣، ومسلم كذلك ٤ / ١٨٧١ - ١٨٧٢، والترمذي في سننه ٥ / ٦٣٨ وصححه، وأحمد في المسند ١ / ٧٨، ٩٩ ، ١٣٣، ١٨٥، ٣٣٠، ٥ / ٣٣٣، ٣٥٨، والحاكم في المستدرك ٣ / ٣٨، ١٠٩، ٤٣٧ وصححه ووافقه الذهبي، عن سعد وغيره، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

(٤) أخرج البخاري في صحيحه ٥ / ٢٤، ومسلم كذلك ٤ / ١٨٧٠ - ١٨٧١ ، والترمذي في سننه ٥ / ٦٣٨ وصححه، وابن ماجة في سننه ١ / ٤٢، وأحمد في المسند ١ / ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ٣٣٠، ٣ / ٣٢، ٣٣٨، ٦ / ٣٦٩، ٤٣٨، والحاكم في المستدرك ٣ / ١٠٩ وصححه ووافقه الذهبي، أبو داود الطيالسي في مسنده، ص ٢٩، عن سعد وغيره، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي.

(٥) أخرج مسلم في صحيحه ١ / ٨٤، ٩٥، ٢٦٢، والترمذي في سننه ٥ / ٦٤٣، ٦٤٥، وابن ماجة في سننه ١ / ٤٢، وأحمد في المسند ١ / ١٧٠، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ / ٢٩٨، صحيح سنن ابن ماجة ١ / ٢٥، صحيح سنن النسائي ٣ / ١٠٣٣.

الزهراء عليها السلام الأهلية لذلك، وهي سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة (١)،
وبضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي يؤذيه ما يؤذيها (٢)، والتي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها (٣).
الطائفة الثانية: دلت على أن بعضا من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع كلام بعض الملائكة.
ومنها ما أخرجه أحمد عن حذيفة بن اليمان أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: بينما أنا أصلي إذ سمعت متكلما يقول: اللهم لك الحمد كله، ولك الملك

---

(١) صحيح البخاري ٥ / ٢٥ كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ص ٣٦ مناقب فاطمة عليها السلام. ٥ / ٢٤٧ كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. ٨ / ٧٩ كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس... الخ. صحيح مسلم ٤ / ١٩٠٤ - ١٩٠٦ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة عليها السلام. سنن الترمذي ٥ / ٦٦٠. سنن ابن ماجة ١ / ٥١٨. صحيح سنن ابن ماجة ١ / ٢٧٠. سنن الطيالسي، ص ١٩٦. المستدرك ٣ / ١٥١، ١٥٦ وصححه وافقه الذهبي. الطبقات الكبرى ٨ / ٢٦. مسند أحمد ٥ / ٣٩١، ٦ / ٢٨٢. حلية الأولياء ٢ / ٣٩، ٤٢. مشكل الآثار ١ / ٤٨، ٥٠. مجمع الزوائد ٩ / ٢٠١. در السحابة ، ص ٢٧٤، ٢٧٦. شرح السنة ١٤ / ١٦٠ وقال: هذا حديث متفق على صحته. مشكاة المصابيح ٣ / ١٧٣١. فضائل الصحابة ٢ / ٧٦٣.
(٢) صحيح البخاري ٥ / ٣٦ كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باب مناقب فاطمة عليها السلام. ٧ / ٤٧ كتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف. صحيح مسلم ٤ / ١٩٠٢ - ١٩٠٤ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة عليها السلام. سنن أبي داود ٢ / ٢٢٦. سنن الترمذي ٥ / ٦٩٨، ٦٩٩ وصححهما. سنن ابن ماجة ١ / ٦٤٣. صحيح سنن أبي داود ٢ / ٣٩١. مسند أحمد ٤ / ٢٢٣، ٢٣٦، ٣٢٨، ٣٣٢. المستدرك ٣ / ١٥٤، ١٥٨، ١٥٩. مشكاة المصابيح ٣ / ١٧٣٢. فضائل الصحابة ٢ / ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٦٥. السنن الكبرى ١٠ / ٢٠١. شرح السنة ١٤ / ١٥٨، ١٥٩، وقال: هذا حديث متفق على صحته.
(٣) المستدرك ٣ / ١٥٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. مجمع الزوائد ٩ / ٢٠٣ قال: رواه الطبراني، وإسناده حسن. در السحابة، ص ٢٧٧.

كله، بيدك الخير كله، إليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، فأهل أن تحمد، إنك على كل شئ قدير، اللهم اغفر لي جميع ما مضى من ذنبي، واعصمني فيما بقي من عمري، وارزقني عملا زاكيا ترضى به عني. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ذاك ملك أتاك يعلمك تحميد ربك (١).

الطائفة الثالثة: ما دل على أن جمعا من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأوا جبرئيل عليه السلام.

ومن ذلك ما أخرجه مسلم - واللفظ له - والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة وأحمد وغيرهم عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما بارزا للناس، فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر. قال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إن لا تراه فإنه يراك. إلى أن قال: ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ردوا علي الرجل. فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم (٢).

وممن روي أنه رأى جبريل عليه السلام عائشة فيما أخرجه ابن سعد عنها أنها قالت : لقد رأيت جبريل واقفا في حجرتي هذه على فرس ورسول الله

---

(١) مسند أحمد ٥ / ٣٩٦.

(٢) صحيح مسلم ١ / ٣٦ - ٤٠ كتاب الإيمان، باب رقم ١. سنن أبي داود ٤ / ٢٢٣. سنن الترمذي ٥ / ٦. سنن ابن ماجة ١ / ٢٤ - ٢٥. سنن النسائي ١ / ٢٤٩. مسند أحمد ١ / ٢٧، ٢٨، ٥٢، ٥٣.

يناجيه، فلما دخل قلت: يا رسول الله، من هذا الذي رأيتك تناجيه؟ قال: وهل رأيته؟ قلت: نعم. قال: فبمن شبهته؟ قلت: بدحية الكلبي. قال: لقد رأيت خيرا كثيرا، ذاك جبريل... (١).

وأخرج أحمد عن عائشة أنها قالت: رأيتك يا رسول الله وأنت قائم تكلم دحية الكلبي. فقال: وقد رأيته؟ قالت: نعم. قال: فإنه جبريل، وهو يقرئك السلام. قالت: وعليه السلام ورحمة الله، جزاه الله من زائر ودخيل، فنعم الصاحب ونعم الدخيل (٢).

ومنهم: عبد الله بن العباس فيما أخرجه أحمد عن ابن عباس، قال: كنت مع أبي عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده رجل يناجيه، فكان كالمعرض عن أبي، فخرجنا من عنده، فقال لي أبي: أي بني، ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني؟ فقلت: يا أبت، إنه كان عنده رجل يناجيه. قال: فرجعنا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال أبي: يا رسول الله، قلت لعبد الله كذا وكذا، فأخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك، فهل كان عندك أحد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وهل رأيته يا عبد الله؟ قال : قلت: نعم. قال: فإن ذاك جبريل، وهو الذي شغلني عنك (٣).

ومنهم: محمد بن مسلمة فيما أخرجه الذهبي عنه، قال: مررت فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصفا واضعا يده على يد رجل، فذهبت. فقال: ما منعك أن تسلم؟ قلت: يا رسول الله، فعلت بهذا الرجل شيئا ما فعلته بأحد ، فكرهت أن أقطع عليك حديثك، من كان يا رسول الله؟ قال: جبريل، وقال لي: هذا محمد بن مسلمة لم يسلم، أما إنه لو سلم رددنا

---

(١) الطبقات الكبرى ٨ / ٦٧ - ٦٨.

(٢) مسند أحمد ٦ / ٧٤ - ٧٥، ١٤٦.

(٣) المصدر السابق ١ / ٢٩٣ - ٢٩٤، ٣١٢.

عليه السلام (١).
ومنهم: حارثة بن النعمان فيما أخرجه ابن سعد والهيثمي عنه، قال: رأيت جبريل من الدهر مرتين، يوم الصورين حين خرج رسول الله إلى بني قريظة، مر بنا في صورة دحية، فأمرنا بلبس السلاح، ويوم موضع الجنائز حين رجعنا من حنين (٢).
وأخرج أحمد عنه، قال: مررت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه جبريل جالس في المقاعد، فسلمت عليه ثم أجزت، فلما رجعت وانصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: هل رأيت الذي كان معي؟ قلت: نعم. قال : إنه جبريل عليه السلام وقد رد عليك السلام (٣).
الطائفة الرابعة: دلت على أن بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت الملائكة تسلم عليه وتصافحه ويراهم عيانا.
ومن ذلك ما أخرجه مسلم عن عمران بن حصين - في حديث - قال: وقد كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت، ثم تركت الكي فعاد (٤).
وأخرج ابن سعد عن قتادة: أن الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين حتى اكتوى فتنحت (٥).
قال الذهبي في ترجمة عمران بن حصين: وكان ممن يسلم عليه الملائكة...
وقال: وكان به داء الناصور فاكتوى لأجله، فقال: اكتوينا فما أفلحن

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢ / ٣٧٠.
(٢) الطبقات الكبرى ٣ / ٤٨٨.
(٣) مسند أحمد ٥ / ٤٣٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٣١٣: رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال الصحيح.
(٤) صحيح مسلم ٢ / ٨٩٩: كتاب الحج، باب جواز التمتع.
(٥) الطبقات الكبرى ٤ / ٢٨٨.

ولا أنجحن. وروينا أنه لما اكتوى انقطع عنه التسليم مدة ثم عاد إليه (١).
وقال ابن حجر: وكانت الملائكة تصافحه قبل أن يكتوي (٢).
وقال النووي: كانت الملائكة تسلم عليه ويراهم عيانا كما جاء مصرحا به في صحيح مسلم (٣).
وقال ابن عبد البر: يقول عنه أهل البصرة: إنه كان يرى الحفظة، وكانت تكلمه حتى اكتوى (٤).
إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة، ولا نحتاج إلى تتبعه واستقصائه (٥).
وبالجملة فالأحاديث المروية الدالة على رؤية جمع الصحابة للملائكة وسلامهم عليهم وكلامهم معهم لا تحصى كثرة، وفيما ذكرناه كفاية.
ومن كل ذلك نخلص إلى أن سماع أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين عليهما السلام حديث الملك أو جبرئيل عليه السلام ممكن الوقوع، بل إن ذلك غير مستبعد منهما، ولا سيما بعدما رأينا الأحاديث الكثيرة الدالة على تكليم الملائكة وسلامهم ومصافحتهم لمن هو دونهما عليهما السلام، فالجرأة على إنكار كلام الملائكة مع علي وفاطمة عليهما السلام خطأ بين فاحش لا يجوز لمسلم أن يقدم عليه، لأنه طعن واضح في العترة النبوية الطاهرة، أعاذنا الله من ذلك.
* * *

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٢٩ - ٣٠.
(٢) تهذيب التهذيب ٨ / ١١٢.
(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٣٦.
(٤) الاستيعاب ٣ / ٢٢.
(٥) راجع إن شئت سنن أبي داود ٤ / ٥. مسند أحمد ٤ / ٤٢٧. المستدرك ٣ / ٤٧٢. أسد الغابة ٤ / ١٣٨. الإصابة ٣ / ٢٦، ٢٧. سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٠٨، ٥١٠، ٥١١. شذرات الذهب ١ / ٥٨. تاريخ الإسلام ٣ / ٢٧٥، ٢٧٦. البداية والنهاية ٨ / ٦٢.

قال الجزائري: ٦ – صاحب هذا الاعتقاد لا يمكن أن يكون من المسلمين أو يعد من جماعتهم وهو يعيش على علوم ومعارف وهداية ليس للمسلمين منها شئ.
والجواب
الظاهر أنه يشير إلى اعتقاد أن أهل البيت عليهم السلام عندهم الجامعة والجفر ومصحف فاطمة عليها السلام بقرينة قوله: وهو يعيش على علوم ومعارف وهداية ليس للمسلمين منها شئ.
وكيف كان، فالذي يعتقد بذلك لحصول أدلة صحيحة عنده لا يجوز التسرع في الحكم بكفره والجزم بخروجه عن جماعة المسلمين، لأن هذا الاعتقاد لو سلمنا ببطلانه جدلا فمن اعتقد به عن شبهة لا يكفر بل ولا يفسق، لأنه لم يجحد ما علم ثبوته في الدين بالضرورة، بل إن شبهته تمنع من الإقدام على تكفيره حتى لو أنكر ضروريا فضلا عن غيره.
ومن الواضح أن اعتقاد حيازة أهل البيت عليهم السلام لهذه الكتب لا يستلزم إنكار ضروري في الدين، بل إن إنكار ذلك فيه احتمال الوقوع في الهلكة برد ما هو ثابت وصحيح، وبالإقدام على النيل من العترة النبوية الطاهرة، عصمنا الله من ذلك بمنه وكرمه. وقد مر ما ينفع في المقام آنفا عند ذكرنا للأحاديث الناهية عن رد ما يقوله أهل الكتاب، فراجعه.
وتعليل خروج من يعتقد بهذا الأمر عن دائرة الإسلام وجماعة المسلمين بأنه يعيش على علوم ومعارف وهداية ليس للمسلمين منها شئ تعليل باطل، لأن اعتقاد ذلك لا يعني أن هذه الكتب والصحف هي في حيازة الشيعة يهتدون بها دون سائر المسلمين، ولو سلمنا بذلك فلا محذور في أن يتمسك الشيعة الإمامية بالعترة النبوية الطاهرة، فيأخذون بهديهم، ويتزودون من علومهم، وينهلون من معارفهم اتباعا لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

بالتمسك بالثقلين الذين خلفهما للأمة، إذ قال: إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (١).

هذا مضافا إلى أن الفرقة الناجية لا بد أن تكون لها هداية ومعارف ليست لغيرها من الطوائف، وإلا لما كان في المسلمين فرقة ناجية واحدة، ووجب أن تكون كل فرق المسلمين ناجية، وهو باطل.

* * *

قال الجزائري: ٧ - وأخيرا فهل مثل هذا الهراء الباطل والكذب السخيف تصح نسبته إلى الإسلام، دين الله الذي لا يقبل غيره؟!

(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين).

والجواب:

أنا أوضحنا بما لا مزيد عليه أن كل ما أنكره الجزائري وشنع به على الشيعة لا محذور فيه، والأحاديث الصحيحة المروية في كتب أهل السنة تعضده وتؤيده، مع أن مثله مذكور في كتب أهل السنة أو أكثر منه. وكل ما ذكره من اللوازم غير لازم، فإنه حمل حديث الكافي الذي افتتح به حقيقته هذه ما لا يحتمل من الخيالات الباطلة والأوهام الفاسدة، التي كان الداعي إلى ذكرها هو التعلق بكل ما يكفر به الشيعة وإن كان باطلا.

وعليه فأي هراء باطل في هذا الحديث وأي كذب سخيف؟!

والذي رأيناه في كلمات القوم أنهم يرون كل فضيلة لأهل البيت عليهم السلام

---

(١) سبق تخريج مصادره في صفحة ٧٣ من هذا الكتاب.

هراءا باطلا وكذبا سخيفا، وكل فضيلة لغيرهم هي من الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وكلام الجزائري هنا جار على هذا المنوال، فلا نتعجب من صدور ذلك منه وممن هو على شاكلته، والله المستعان وإليه المشتكى.

كشف
الحقيقة الخامسة

قال الجزائري:
الحقيقة الخامسة
اعتقاد أن موسى الكاظم قد فدى الشيعة بنفسه!!
أورد صاحب الكافي هذه الحقيقة بقوله: إن أبا الحسن موسى الكاظم – وهو الإمام السابع من أئمة الشيعة الاثني عشرية – قال: الله عز وجل غضب على الشيعة، فخيرني نفسي أو هم، فوقيتهم بنفسي.
أقول:
هذا الحديث رواه الكليني رحمه الله عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن بعض أصحابنا، عن أبي الحسن موسى عليه السلام. فهو حديث ضعيف الإسناد، لأنه مرسل قد جهل بعض رواته.
* * *
قال الجزائري: والآن أيها الشيعي، فما مدلول هذه الحكاية التي ألزموك باعتقادها، بعدما فرضوا عليك الإيمان بها وتصديق مدلولها حسب ألفاظها قطعا؟ إن موسى الكاظم رحمه الله تعالى قد رضي بقتل نفسه فداء لأتباعه، من أجل أن يغفر الله لهم، ويدخلهم الجنة بغير حساب.

والجواب:
أنا ذكرنا أن هذا الحديث ضعيف السند، فلا يصح العمل به ولا الاعتقاد بمضمونه، لأنا أوضحنا مكررا أن المعتقدات لا يجوز إثباتها بالحديث الصحيح فضلا عن الضعيف.
وعليه، فزعم الجزائري أن مضمون هذا الخبر مما ألزم الشيعي باعتقاده وفرض عليه الإيمان به زعم باطل لم يستند إلى حجة، ومجرد روايته في الكافي لا يدل على أن الشيعة يعتقدون به كما أوضحناه فيما تقدم.
وما ذكره من التعليل في قوله: إن موسى الكاظم رحمه الله تعالى قد رضي بقتل نفسه فداء لأتباعه من أجل أن يغفر الله لهم، ويدخلهم الجنة بغير حساب لا يدل عليه الحديث، فإن ظاهر الحديث قد دل على أن الإمام الكاظم عليه السلام قد وقى الشيعة بنفسه من القتل في الدنيا، أما أنه علي السلام قد فداهم بنفسه لغفران ذنوبهم ولإدخالهم الجنة بغير حساب فلا يدل عليه الحديث بأي دلالة كما هو واضح.
معنى الحديث
قوله عليه السلام: إن الله غضب على الشيعة يعني به جماعة من الشيعة المعاصرين له عليه السلام، وإنما غضب عليهم لأمور وقعت منهم.
قال المولى المجلسي أعلى الله مقامه: غضب على الشيعة إما لتركهم التقية، فانتشر أمر إمامته عليه السلام، فتردد الأمر بين أن يقتل الرشيد شيعته ويتتبعهم ، أو يحبسه عليه السلام ويقتله، فدعا عليه السلام لشيعته، واختار البلاء لنفسه.
وإما لعدم انقيادهم لإمامهم وخلوصهم في متابعته وإطاعة أوامره، فخيره الله تعالى بين أن يخرج على الرشيد فتقتل شيعته إذا يخرج، فينتهي الأمر إلى ما انتهى إليه.
وقيل: خيرني الله بين أن أوطن نفسي على الهلاك والموت، أو

أرضى بإهلاك الشيعة، فوقيتهم والله بنفسي يعني فاخترت هلاكي دونهم.
وقيل: أي فخيرني بين إرادة موتي أو موتهم، لتحقق المفارقة بيني وبينهم، فاخترت لقاء الله شفقة عليهم (١).
وحاصل معنى الحديث أن الله سبحانه قد غضب على بعض الشيعة لأمور قبيحة صدرت منهم، فدار الأمر حينئذ بين قتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وبين هلاك الشيعة، فاختار الإمام عليه السلام قتله، ووقى شيعته بنفسه، فحصلت لهم بذلك النجاة من القتل والبلاء.
* * *

قال الجزائري: تأمل أيها الشيعي وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه من صالح المعتقد والقول والعمل. تأمل هذه الفرية ولا أقول غير الفرية (٢)، وذلك لمجانبتها الحق ، وبعدها كل البعد عن الواقع والصدق، تأملها فإنك تجدها تلزم معتقدها بأمور عظيمة، كل واحد لا ترضى أن ينسب إليك أو تنتسب أنت إليه ما دمت ترضى بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا.
والجواب:
أنا أوضحنا أن هذا الحديث ضعيف السند، والحديث الضعيف كما مر لا يلزم الشيعة بشئ مما جاء فيه، ولا يحتج عليهم به.
على أنا لو سلمنا بصحة هذا الحديث فإن معناه لا ترده العقول، ولا يستلزم شيئا من اللوازم الفاسدة التي ذكرها الجزائري، لإمكان حمله على وجوه صحيحة لا تأباها ألفاظ الحديث كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.
* * *

---

(١) مرآة العقول ٣ / ١٢٦.
(٢) صدق الجزائري في هذا القول، فإنه لم يقل في كتيبه هذا على الشيعة إلا الفرية.

ثم إن الجزائري أخذ في سرد أمور جعلها لوازم يلزم بها كل واحد من الشيعة الإمامية، فقال:

وتلك الأمور:

١ - الكذب على الله عز وجل في أنه أوحى إلى موسى الكاظم بأنه غضب على الشيعة، وأنه خيره نفسه أو شيعته، وأنه فداهم بنفسه، فهذا والله لكذب عليه عز وجل، وهو يقول (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا).

والجواب:

١ - أن الحديث لا دلالة فيه على أن الله أوحى إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنه غضب على الشيعة وأنه خيره نفسه أو الشيعة، لأنه عليه السلام لم يقل: إن الله عز وجل أوحى إلي ذلك.

والحديث لا يدل على أكثر من أن الإمام عليه السلام علم بأن الله سبحانه قد غضب على جمع من الشيعة، أما كيف علم الإمام عليه السلام بذلك فهذا شئ آخر.

ويحتمل في المقام أمران:

١ - أنه عليه السلام علم ذلك بالإلهام، فإن الإلهام يقع في هذه الأمة، وأثبته أهل السنة لجمع من الناس، منهم عمر بن الخطاب.

واستدلوا على ثبوت الإلهام لخصوص عمر بن الخطاب بما أخرجه البخاري مسلم والترمذي وأحمد والحاكم وابن حبان والطيالسي والطحاوي وغيرهم عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر (١).

---

(١) صحيح البخاري ٤ / ٢١١ كتاب الأنبياء، باب رقم ٥١. صحيح مسلم ٤ / ١٨٦٤ كتاب فضائل الصحابة، باب رقم ٢. سنن الترمذي ٥ / ٦٢٢. مسند أحمد ٢ / ٣٣٩، ٦ / ٥٥. المستدرك ٣ / ٨٦. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩ / ٢١. مسند أبي داود الطيالسي، ص ٣٠٨. مشكل الآثار ٢ / ٢٥٦. فضائل الصحابة ١ / ٣٥٤ - ٣٥٥، ٣٦١، ٣٦٢. در السحابة، ص ١٦١. مشكاة المصابيح ٣ / ١٧٠٢. الفردوس بمأثور الخطاب ٣ / ٢٧٨.

قال ابن حجر: محدثون جمع محدث، واختلف في تأويله، فقيل: ملهم. قاله الأكثرون، قالوا: المحدث هو الرجل الصادق الظن، وهو من ألقي في روعه شئ من قبل الملأ الأعلى، فيكون كالذي حدثه غيره به (١).

وقال أيضا: وتمحضت الحكمة في وجودهم - يعني المحدثين - وكثرتهم بعد العصر الأول في زيادة شرف هذه الأمة بوجود أمثالهم فيه، وقد تكون الحكمة في تكثيرهم مضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء فيهم، فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيها لكون نبيها خاتم الأنبياء، عوضوا بكثرة الملهمين (٢).

وعلى هذا فليس بمستبعد أن يكون الإمام الكاظم عليه السلام واحدا من هؤلاء المحدثين الكثيرين في هذه الأمة. لأنه إمام من أئمة المسلمين وواحد من رؤساء الدين. وهذه كلمات أعلام أهل السنة تصدح في الإشادة بجلالته والتنويه بعظمته وسمو مكانته، وهي أكثر من أن يتسع لها المقام، وإليك بعضا منها:

قال ابن حجر: موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن الهاشمي، المعروف بالكاظم، صدوق عابد (٣).

وقال: ومناقبه كثيرة (٤).

---

(١) فتح الباري ٧ / ٣٩.
(٢) المصدر السابق ٧ / ٤٠.
(٣) تقريب التهذيب، ص ٥٥٠.
(٤) تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٠٣.

وقال أبو حاتم: ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمين (١).
وقال الذهبي: كان صالحا عابدا جوادا حليما كبير القدر (٢).
وقال: قد كان موسى من أجواد الحكماء ومن العباد الأتقياء، وله مشهد معروف ببغداد (٣).
وقال أيضا: أجل آل جعفر وأشرفهم ابنه موسى الكاظم، الإمام القدوة السيد أبو الحسن العلوي والد الإمام علي بن موسى الرضا، مدني نزل بغداد (٤).
وقال كذلك: روى أصحابنا أنه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسجد سجدة في أول الليل، فسمع وهو يقول في سجوده: عظم الذنب عندي، فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة، فجعل يرددها حتى أصبح. وكان سخيا كريما، يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيها ألف دينار (٥).
وقال يحيى بن الحسن بن جعفر النسابة: كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده (٦).
وقال ابن الجوزي: كان يدعى العبد الصالح، لأجل عبادته واجتهاده وقيامه بالليل، وكان كريما حليما، إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه بمال (٧).

---

(١) الجرح والتعديل ٨ / ١٣٩.
(٢) العبر في خبر من غير ١ / ٢٢٢.
(٣) ميزان الاعتدال ٤ / ٢٠٢.
(٤) سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٧٠.
(٥) المصدر السابق ٦ / ٢٧١.
(٦) تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٠٢.
(٧) صفة الصفوة ٢ / ١٨٤.

وقال ابن كثير: كان كثير العبادة والمروءة، إذا بلغه عن أحد أنه يؤذيه أرسل له بالذهب والتحف (١).
وقال ابن تيمية: وموسى بن جعفر مشهور بالعبادة والنسك (٢).
وقال السويدي: هو الإمام الكبير القدر، الكثير الخير، كان يقوم ليله، ويصوم نهاره، وسمي كاظما لفرط تجاوزه عن المعتدين... وكانت له كرامات ظاهرة ومناقب لا يسع مثل هذا الموضع ذكرها (٣).
وبالجملة، فالإمام موسى بن جعفر عليه السلام هو بدرجة من الجلالة والرفعة وعظم الشأن بحيث لا ينكر في حقه أن يكون واحدا من أولئك المحدثين.
٢ - لعل الإمام عليه السلام إنما قال ذلك بناء على ما هو الظاهر من أن الله سبحانه يغضب على من فعل فعلا من الأمور العظيمة التي يكون لها آثار سيئة على الإسلام والمسلمين، فإن الإمام عليه السلام لما رأى أن جماعة من الشيعة قد تركوا التقية وصرحوا باسم الإمام عليه السلام، علم أن الله قد غضب عليهم، بتعريضهم الإمام عليه السلام أو باقي الشيعة للقتل والهلاك، لأن من أعان على قتل امرئ مسلم ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوبا بين عينيه: آيس من رحمة الله كما جاء في الخبر (٤)، فكيف بمن تسبب في قتل إمام المسلمين؟!
* * *
قال الجزائري: ٢ - الكذب على موسى الكاظم رحمه الله وبهته بهذه

---

(١) البداية والنهاية ١٠ / ١٨٩.
(٢) منهاج السنة النبوية ٢ / ١٢٤.
(٣) سبائك الذهب، ص ٧٥.
(٤) أخرجه ابن ماجة في السنن ٢ / ٨٧٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٨ / ٢٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣ / ١٨٥، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢ / ١٠٣٥ وغيرهم.

الفرية التي هو منها والله لبراء.
والجواب:
أن الكليني قدس سره روى هذا الحديث في كتابه الكافي بظن أنه معتبر، وغيره من علماء الشيعة لم يوافقوه في ذلك، فالكليني اجتهد في الحديث فأخطأ في الحكم عليه بالاعتبار، وهذا من الأمور المغتفرة للعالم المجتهد كما هو معلوم. والحديث مع قولنا بضعفه إلا أنا لا نجزم بأنه مكذوب على الإمام الكاظم عليه السلام، وقد اتضح ذلك مما تقدم. على أنه لو ثبت أن هذا الحديث مكذوب على الإمام الكاظم عليه السلام فمن الجور أن ينسب الشيعة كلهم إلى الكذب في الوقت الذي نرى فيه علماء الشيعة لا يصححون هذا الحديث ولا يعتقدون بمضمونه.
وكيف كان فلو جاز ذلك لحق لنا نسبة كل الطوائف إلى الكذب، لأنه ما من طائفة إلا وفي كتبها المعتمدة كثير من الأحاديث المكذوبة كما لا يخفى على من تتبع كتب الأحاديث.
وقوله: وبهته بهذه الفرية التي هو منها والله براء فيه أن البهتان هو الكذب على المرء بما ليس فيه مما يشينه ويضعه كما دلت عليه الأحاديث المفرقة بين الغيبة والبهتان، فإن الغيبة هي أن تتكلم في الرجل بما فيه، والبهتان هو أن تتكلم فيه بما ليس فيه (١).

---

(١) من ذلك ما أخرجه مسلم - واللفظ له - والترمذي وأبو داود وأحمد والدارمي وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته. راجع صحيح مسلم ٤ / ٢٠٠١ كتاب البر والصلة والآداب، باب رقم ٢٠. سنن أبي داود ٤ / ٢٦٩. سنن الترمذي ٤ / ٣٢٩. مسند أحمد ٢ / ٢٣٠، ٣٨٤، ٣٨٦ ، ٤٥٨. سنن الدارمي ٢ / ٢٩٩.

وما نحن فيه ليس كذلك، فإن الحديث فيه مدح للإمام عليه السلام بأنه وقى شيعته بنفسه، فكيف يتحقق بهته عليه السلام بذلك؟!
هذا مع أن الجزائري قد أكثر من الحلف بالله على ما لا يعلم، والله سبحانه يقول (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) (١)، فحلفه دائر بين أمرين اثنين، لأنه لا يخلو إما أن يكون كاذبا فحلفه محرم، وإما أن يكون صادقا فحلفه مكروه.
قال الفخر الرازي: الذي ذكره أبو مسلم الأصفهاني - وهو الأحسن - أن قوله (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) نهي عن الجرأة على الله بكثرة الحلف به.
وقال: وقد ذم الله تعالى من أكثر الحلف بقوله (ولا تطع كل حلاف مهين) وقال (واحفظوا أيمانكم)، والعرب كانوا يمدحون الإنسان بالإقلال من الحلف... والحكمة في الأمر بتقليل الأيمان أن من حلف في كل قليل وكثير بالله انطلق لسانه بذلك، ولا يبقى لليمين في قلبه وقع، فلا يؤمن إقدامه على اليمين الكاذبة، فيختل ما هو الغرض الأصلي في اليمين، وأيضا: كلما كان الإنسان أكثر تعظيما لله تعالى كان أكمل في العبودية، ومن كمال العبودية أن يكون ذكر الله تعالى أجل وأعلى عنده من أن يستشهد به في غرض من الأغراض الدنيوية (٢).

* * *

قال الجزائري: ٣ - اعتقاد نبوة موسى الكاظم رحمه الله، وما هو والله بنبي ولا رسول، فقول المفتري: إن الله أخبر موسى الكاظم بأنه غضبان على الشيعة، وأنه خيره بين نفسه وشيعته فاختار شيعته، ورضي لنفسه

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٤.
(٢) التفسير الكبير ٦ / ٧٥.

بالقتل فداءا لهم، يدل دلالة واضحة بمنطوقه ومفهومه على نبوة موسى الكاظم، مع العلم بأن المسلمين مجمعون على كفر من اعتقد نبوة أحد بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لتكذيبه بصريح قوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين).

والجواب:

أن عقيدة الشيعة الإمامية في الأئمة الاثني عشر عليهم السلام أشهر من أن تذكر، وأظهر من أن تنكر، ولا أحد من الشيعة يعتقد بنبوة الإمام الكاظم أو غيره من الأئمة عليهم السلام.

والحديث الذي رواه الكليني رحمه الله مع ضعفه لا يدل على أن الله سبحانه أوحى إلى الإمام عليه السلام، ولو سلمنا بدلالته على ذلك فالوحي لا يستلزم النبوة، فإن الله جل شأنه أوحى إلى أم موسى عليه السلام، فقال (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) (١).

قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى (قال قد أوتيت سؤلك يا موسى * ولقد مننا عليك مرة أخرى * إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى) (٢): اتفق الأكثرون على أن أم موسى عليه السلام ما كانت من الأنبياء والرسل، فلا يجوز أن يكون المراد من هذا الوحي هو الوحي الواصل إلى الأنبياء. وكيف لا نقول ذلك والمرأة لا تصلح للقضاء والإمامة، بل عند الشافعي رحمه الله لا تمكن من تزويج نفسها، فكيف تصلح للنبوة؟! ويدل عليه قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم)، وهو صريح في الباب، وأيضا فالوحي قد جاء في القرآن لا بمعنى النبوة ، قال تعالى (وأوحى ربك إلى

---

(١) سورة القصص، الآية ٧.

(٢) سورة طه، الآيات ٣٦ - ٣٨.

النحل)، وقال (وإذ أوحيت إلى الحواريين) (١).
وقال القرطبي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أوحي إليها كما أوحي إلى النبيين (٢).
والحاصل أن زعمه بأن الحديث يدل دلالة واضحة بمنطوقه ومفهومه على نبوة موسى الكاظم زعم باطل، فإن الحديث بمنطوقه لا يدل - كما قلنا - على أكثر من أن الإمام الكاظم عليه السلام قد علم أن الله غضب على جماعة من الشيعة، فخيره الله نفسه أو الشيعة، فاختار عليه السلام وقايتهم بنفسه.
أما كيف علم الإمام عليه السلام أن الله قد غضب على الشيعة، وكيف خيره الله بين ذينك الأمرين، فهذا لم يتضح لا من منطوق الحديث ولا من مفهومه كما هو واضح، وقد بيناه فيما تقدم.
وأما المفهوم، فإن كان لهذا الحديث مفهوم فهو مفهوم اللقب، وهو غير حجة كما هو معلوم عند الأصوليين.
والظاهر أن الجزائري ذكر هذه الكلمة وهو لا يعرف معناها في الاصطلاح، ويدل على ذلك زعمه دلالة المنطوق والمفهوم كليهما على معنى واحد، وهو غير صحيح، لأن المنطوق والمفهوم لا بد أن يدل كل واحد منهما على معنى لا يدل عليه الآخر، وهو واضح لمن لديه أدنى معرفة بالمفاهيم.
وعلى كل حال، فإنا لو سلمنا جدلا بدلالة هذا الحديث على ما قاله فعقيدة الشيعة في الإمام موسى الكاظم عليه السلام معروفة غير خافية على أحد، ولا يمكن أن يشكك فيها بحديث ضعيف مروي في كتاب الكافي أو في غيره من مصادر الحديث المعتمدة عند الشيعة.

---

(١) التفسير الكبير ٢٢ / ٥١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٩٥.

قال الجزائري: ٤ – اتحاد الشيعة والنصارى في عقيدة الصلب والفداء، فكما أن النصارى يعتقدون أن عيسى فدى البشرية بنفسه، إذ رضي بالصلب تكفيرا عن خطيئة البشرية، وفداء لها من غضب الرب وعذابه، فكذلك الشيعة يعتقدون بحكم هذه الحقيقة أن موسى الكاظم خيره ربه بين إهلاك شيعته أو قتل نفسه، فرضي بالقتل وفدى الشيعة من غضب الرب وعذابه، فالشيعة إذن والنصارى عقيدتهما واحدة، والنصارى كفار بصريح كتاب الله عز وجل، فهل يرضى الشيعي بالكفر بعد الإيمان؟

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له * فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

والجواب:

أنا قد أوضحنا أن الحديث الذي بنى عليه الجزائري حقيقته هذه مع ضعفه لا يدل على ما ادعى الجزائري دلالته عليه، والذي دل عليه الحديث – كما مر مكررا – أن الإمام عليه السلام قد وقى الشيعة بنفسه لئلا يقتلهم هارون الرشيد، لا أن قتله عليه السلام كان تكفيرا عن ذنوب الشيعة وفداء لهم من غضب الرب وعذابه كما زعم الجزائري.

ولعل غضب الله عليهم إنما كان لتركهم التقية كما تقدم، إذ صرحوا باسم الإمام عليه السلام، أو لأنهم تركوا طاعة الإمام عليه السلام فعملوا ما يستوجب غضب الرشيد، فرأى الإمام عليه السلام أنه إن نجا بنفسه تتبع الرشيد الشيعة ولاحقهم ، فإما أن يهلكهم، أو يظفر بالإمام عليه السلام، فاختار الإمام عليه السلام أن يظهر للرشيد وقاية للشيعة مما يتوقع نزوله بهم من القتل.

فالإمام عليه السلام أخبر بأنه فعل ما يوجب حفظ الشيعة وحقن دمائهم مع ما صدر منهم من الأفعال التي نتج عنها تعريض الإمام عليه السلام للقتل.

والحاصل أن الحديث لا يدل على أن الإمام فدى الشيعة من غضب الله وعذابه حتى يلزم منه اتحاد الشيعة والنصارى في عقيدة الصلب والفداء.

ولو سلمنا بدلالة الحديث على ذلك فمع ضعف سنده لا يصلح للاحتجاج به على شئ.

ومع الإغماض عن ذلك، وتسليم أن الشيعة يعتقدون أن الإمام الكاظم عليه السلام قد فداهم من غضب الرب وعذابه، فهذا لا يستلزم أن تكون عقيدة الشيعة والنصارى واحدة، لأن النصارى يعتقدون ذلك في المسيح عليه السلام لا الإمام الكاظم، ولو سلمنا بأن الشيعة يعتقدون الفداء من الإمام الكاظم عليه السلام، فهم لا يعتقدون ذلك من المسيح عليه السلام، ومجرد تشابه المعتقدات من بعض الجهات لا يعني اتحادها، فإن النصارى يعتقدون أن المسيح عليه السلام هو خاتم الأنبياء، والمسلمون يعتقدون أن خاتمهم هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا لا يعني اتحاد المسلمين والنصارى في إحدى العقائد، وإلا لكان المسلمون والوثنيون وعباد غير الله سبحانه متحدين في عقيدة الربوبية، وهذا باطل بالاتفاق.

هذا مع أن مجرد الاتحاد بين الأديان في بعض المعتقدات لا يدل على اتحادها في كل العقائد، فإن المسلمين والنصارى يعتقدون بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وهذا لا يعني اتحاد المسلمين والنصارى في عقائدهم حتى يترتب على أولئك ما يترتب على هؤلاء، ويلزم إحدى الطائفتين ما يلزم الأخرى.

والحاصل أن الشيعة والنصارى لم تتحد عقيدتهم في هذه المسألة التي ذكرها، وهي عقيدة الصلب والفداء، ولو سلمنا جدلا باتحادهم فيها، فهذا لا يعني أن عقائد الشيعة والنصارى واحدة كما هو واضح.

ومنه يتضح وجه المغالطة الواهية في قوله: فالشيعة إذن والنصارى عقيدتهم واحدة ، والنصارى كفار بصريح كتاب الله عز وجل، فهل يرضى الشيعي بالكفر بعد الإيمان؟!

قال الجزائري: وأخيرا، انقذ نفسك أيها الشيعي، وتبرأ من هذه الخزعبلات والأباطيل، ودونك صراط الله وسبيل المؤمنين.

وأقول:

إن الشيعي بحمد الله ومنه قد أنقذ نفسه بالسير في صراط الله المستقيم، واتباع سبيل المؤمنين، والتمسك بكتاب الله العزيز، والعترة النبوية الطاهرة، أخذا بوصية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لأمته حيث قال: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

وقال: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس (١).

وقال: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق (٢).

وما أحسن قول القائل:

لما رأيت الناس قد ذهبت بهم
*
مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا
*
وهم أهل بيت المصطفى سيد الرسل

---

(١) المستدرك ٣ / ١٤٩ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. مجمع الزوائد ٩ / ١٦٨. إحياء الميت، ص ٤١ - ٤٢. الخصائص الكبرى ٢ / ٢٦٦. حلية الأولياء ٤ / ٣٠٦. تاريخ بغداد ١٢ / ٩١. وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير ٢ / ٥٣٣ ورمز له بالحسن.

(٢) المستدرك ٢ / ٣٤٣، ٣ / ١٥٠. مجمع الزوائد ٩ / ١٦٨. مشكاة المصابيح ٣ / ١٧٤٢. إحياء الميت، ص ٤١ - ٤٢. الخصائص الكبرى ٢ / ٢٦٦. حلية الأولياء ٤ / ٣٠٦. تاريخ بغداد ١٢ / ٩١. المعجم الصغير ١ / ١٣٩ / ١٤٠.

وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم * كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل
إذا افترقت في الدين سبعون فرقة * فقل لي بها يا ذا الرجاحة والعقل
أفي الفرقة الهلاك آل محمد * أم الفرقة اللاتي نجت؟ قل لي
فإن قلت في الناجين فالقول واحد * وإن قلت في الهلاك حدت عن العدل
إذا كان مولى القوم منهم فإنني * رضيت بهم لا زال في ظلهم ظلي
رضيت عليا لي إماما ونسله * وأنت من الباقين في أوسع الحل

ولهذا كان الشيعة هم الفائزين الناجين من كل فرق هذه الأمة، وهذا ما أخبر به الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: علي وشيعته هم الفائزون يوم القيامة (١).

ولما نزل قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) (٢) ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين (٣).

ولست أدري بم يعتذر الجزائري وغيره عن طرح الأحاديث الصحيحة – كحديث الثقلين وغيره – الدالة بما لا يدع مجالا للشك على لزوم اتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، ناهيك عن غيرها من الأدلة الأخرى الكثيرة التي ملئت بها كتبهم.

وعليك قارئي العزيز بمطالعة ما كتبناه في كتابينا (دليل المتحيرين) و (مسائل خلافية) من الأدلة الدالة على لزوم اتباع مذهب أهل البيت عليهم

---

(١) الدر المنثور ٨ / ٥٨٩. فتح القدير ٥ / ٤٧٧. ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق ٢ / ٣٤٨. شواهد التنزيل، ص ٨٢٠. الفردوس بمأثور الخطاب ٣ / ٦١.

(٢) سورة البينة، الآية ٧.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ٣٠ / ١٧١. الدر المنثور ٨ / ٥٨٩. فتح القدير ٥ / ٤٧٧. الصواعق المحرقة، ص ١٩١. شواهد التنزيل، ص ٨١٤ – ٨١٩.

السلام، وعلى أن أتباعهم بحق هم الشيعة الإمامية، فإنه مهم جدا.

كشف
الحقيقة السادسة

قال الجزائري:
الحقيقة السادسة
اعتقاد أن أئمة الشيعة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العصمة والوحي
والطاعة وغيرها، إلا في أمر النساء، فلا يحل لهم ما يحل له صلى الله عليه وآله وسلم
هذا المعتقد الذي يجعل أئمة الشيعة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله أثبته صاحب الكافي بروايتين:
أولهما: أنه قال: كان المفضل عند أبي عبد الله، فقال له: جعلت فداك،
أيفرض الله طاعة عبد على العباد ويحجب عنه خبر السماء؟ فقال له أبو عبد الله – الإمام –: لا، الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحا ومساء.
وأقول:
هذه الرواية ضعيفة السند، فإن من جملة رواتها سهل، وهو سهل بن زياد، وقد مر بيان حاله.
ومن رواتها أيضا جماعة بن سعد الخثعمي أو الجعفي، وهو ضعيف في الحديث، خطابي المذهب، خرج مع أبي الخطاب الملعون على لسان

الإمام الصادق عليه السلام وقتل معه.
وقد ضعفه ابن الغضائري وابن داود (١) والعلامة الحلي (٢) والمامقاني (٣) والخوئي (٤) وغيرهم (٥).
ثم إن هذه الرواية كما لا يخفى لا تدل على ما عنون الجزائري به حقيقته هذه، من أن الأئمة عليهم السلام بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العصمة والوحي والطاعة وغيرها.
* * *
قال الجزائري: فهذه الرواية تثبت بمنطوقها أن أئمة الشيعة قد فرض الله طاعتهم على الناس مطلقا، كما فرض طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأنهم - أئمة الشيعة - يوحى إليهم، ويتلقون خبر السماء صباحا مساء، وهم بذلك أنبياء مرسلون أو كالأنبياء المرسلين سواء بسواء.
والجواب:
أنا لو صرفنا النظر عن ضعف الرواية، فهي - كما قلنا - لا تدل على ما قاله الجزائري، بل إنها لا تدل على أكثر من أن الله سبحانه إذا فرض طاعة عبد على العباد - سواء أكان نبيا أم إماما - فإنه لا يحجب عنه خبر السماء.
أما أن الأئمة عليهم السلام تجب طاعتهم مطلقا أو في حدود معينة، وأنهم يوحى إليهم أو يلهمون أو يتلقون علومهم من بعضهم أو من غيرهم، وأنهم

---
(١) كما في تنقيح المقال ١ / ٢٣٠.
(٢) رجال العلامة الحلي، ص ٢١١.
(٣) تنقيح المقال ١ / ٢٣٠.
(٤) معجم رجال الحديث ٤ / ١٤٣.
(٥) مجمع الرجال ٢ / ٤٩. جامع الرواة ١ / ١٦٤.

معصومون أو يخطئون، فهذا لم يرد له بيان في هذه الرواية كما هو واضح.
وعلى كل حال لو تركنا الرواية جانبا، وأردنا أن ننظر إلى عقيدة الشيعة في طاعة الأئمة عليهم السلام، وفي الوحي إليهم، فإنا نقول:
أما طاعتهم فهي واجبة مطلقا، لأنه قد ثبت في محله أنهم عليهم السلام معصومون ، والمعصوم تجب طاعته مطلقا، لأن عصمته مانعة من خطئه، فلا ينطق ولا يأمر إلا بالحق، والحق أحق أن يتبع.
ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا) (١).
قال الفخر الرازي: إنه تعالى أمر بطاعة الرسول وطاعة أولي الأمر في لفظة واحدة ، وهو قوله (وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، واللفظة الواحدة لا يجوز أن تكون مطلقة ومشروطة معا. فلما كانت هذه اللفظة مطلقة في حق الرسول وجب أن تكون مطلقة في حق أولي الأمر (٢).
قلت: كل من أوجب الله طاعته مطلقا لا بد أن يكون معصوما، لئلا تجب طاعته في فعل المعاصي والقبائح وفي ترك الواجبات، وهو محال.
قال الفخر الرازي: إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم (٣) في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد أن يكون معصوما عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوما عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمرا بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.
(٢) التفسير الكبير ١٠ / ١٤٦.
(٣) يعني أن الامر بالطاعة لم يقع مقيدا أو مشروطا بشئ، وهو معنى كونه مطلقا.

في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وإنه محال. فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوما عن الخطأ، فثبت قطعا أن أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوما (١).

قلت: وعليه، فإن قلنا بعصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام وجبت طاعتهم مطلقا دون غيرهم.

وإن قلنا بعدم عصمتهم لزم التكليف بالمحال، إذ أوجب الله علينا طاعة المعصوم ، والمعصوم معدوم حسب الفرض، لتحقق إجماع المسلمين كافة على أن غيرهم ليس بمعصوم، والتكليف بالمحال محال على الله، وبهذا تثبت عصمتهم ووجوب طاعتهم مطلقا.

وأما الوحي إليهم فإن أريد به أنهم محدثون فهذا لا نمنعه، وقد تقدم بيانه. وإن أريد به أنهم عليهم السلام يوحى إليهم قرآن كما يوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله، فهذا لا نقول به، ولا يدل عليه الحديث المزبور.

قال المجلسي أعلى الله مقامه: خبر السماء أي الخبر النازل من السماء، سواء نزل عليهم بالتحديث، أو نزل على من قبله.

وقال: وكون مثل هذا العالم بين العباد لطف ورأفة بالنسبة إليهم، ليرجعوا إليه في كل ما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم، والله أرأف بعباده من أن يمنعهم مثل هذا اللطف، ويفرض طاعة من ليس كذلك، فيصير سببا لمزيد تحيرهم (٢).

* * *

قال الجزائري: وهم بذلك أنبياء مرسلون أو كالأنبياء المرسلين

---

(١) التفسير الكبير ١٠ / ١٤٤.

(٢) مرآة العقول ٣ / ١٣٠.

سواء بسواء.
وأقول:
إن القول بأن الله تعالى لا يحجب عن الأئمة عليهم السلام خبر السماء لا يستلزم أن يكونوا أنبياء، إذ يحتمل أنه تعالى يلهمهم أخبار السماء وما يحتاج إليه الناس ، أو يحدثهم الملك، أو أنهم تلقوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله.
ثم إنا بينا أن الأئمة عليهم السلام ليسوا بأنبياء مرسلين، بل إن القول بنبوة واحد منهم كفر بلا إشكال، وإنما هم علماء صادقون محدثون ملهمون، وبهذا نطقت الأخبار الثابتة، كصحيحة محمد بن إسماعيل، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الأئمة علماء صادقون مفهمون محدثون (١).
أما أنهم عليهم السلام كالأنبياء المرسلين فهذا لا نمنعه، إذا كان المراد بذلك أنهم كالأنبياء في أنهم حجج الله على خلقه، وأن طاعتهم واجبة على العباد، وأنهم معصومون، ويعلمون كل ما يحتاج إليه الناس في دينهم ودنياهم.
وأما إذا أراد بذلك أن الشيعة يعتقدون أن الأئمة عليهم السلام كالأنبياء في أنهم يوحى إليهم قرآن أو كتب، أو في نزول الوحي عليهم، فهذا محض افتراء على الشيعة، والحديث الذي ساقه لا يدل عليه بأي دلالة، وهو جلي واضح.
* * *
قال الجزائري: واعتقاد نبي يوحي الله إليه بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله ردة في

---

(١) الكافي ١ / ٢٧١. قال المجلسي في مرآة العقول ٣ / ١٦٤: علماء أي هم العلماء المذكورون في قوله تعالى (هل يستوي الذين يعملون) الآية. صادقون إشارة إلى قوله سبحانه (وكونوا مع الصادقين). مفهومون من جهة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهمهم القرآن وتفسيره وتأويله وغير ذلك من العلوم والمعارف. محدثون من الملك.

الإسلام وكفر بإجماع المسلمين، فسبحان الله كيف يرضى الشيعي المغرور بعقيدة تفترى له افتراء، ويلزم اعتقادها ليعيش بعيدا عن الإسلام كافرا من حيث إنه ما اعتقد هذا الباطل إلا من أجل الإيمان والإسلام ليفوز بهما ويكون من أهلهما.

وأقول:

لا ريب في أن من يعتقد بنبوة نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر بإجماع المسلمين، إلا أن محل الكلام هو أن الشيعة الإمامية هل يعتقدون بنبوة واحد من الأئمة عليهم السلام أم لا؟

ومن البين أن هذه المسألة لا ينبغي الكلام ولا الخوض فيها، لأنها فرية بلا مرية، وبهتان عظيم لم يسبق الجزائري إليه أحد من العالمين.

ومن الغريب أن هذا الرجل يعمد إلى أحاديث ضعيفة، ويحملها من الوجوه الفاسدة ما لا تحتمله، ثم يأتي بما يزعم أنها لوازم يلزم بها الشيعة، ويكفرهم بها بلا روية ولا خوف من الله، مع أنه يعلم معتقد الإمامية في المسألة التي يتحدث فيها.

ثم كيف يرضى هذا الرجل لنفسه أن يكتب مثل هذه الأباطيل المكشوفة والافتراءات المفضوحة، ليكفر بها طائفة من طوائف المسلمين، والله جل شأنه يقول (تالله لتسألن عما كنتم تفترون) (١)، ويقول (وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) (٢)، و (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) (٣).

وبعد هذا كله لا أدري ما هي الغاية التي يريد الجزائري أن يحققها من

---

(١) سورة النحل، الآية ١١٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ١٣.

(٣) سورة النحل، الآية ١٠٥.

تسرعه في تكفير الشيعة وبهتهم بهذا البهتان العظيم، مع أن في تكفير المسلم إيقاعا للنفس في المهالك، فقد أخرج مسلم وغيره عن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال، وإلا رجعت إليه (١).
وأخرج البخاري ومسلم ومالك وأحمد وغيرهم عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما (٢).
هذا مع أن في تكفير من شهد الشهادتين مخالفة صريحة لما نص عليه أعلام أهل السنة من عدم جواز تكفير أحد من أهل القبلة بذنب.
قال النووي: اعلم أن مذهب أهل الحق - يعني أهل السنة - أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع (٣).
* * *
قال الجزائري: وثانيتهما: قال: عن محمد بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الأئمة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنهم ليسوا بأنبياء، ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي، فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
وأقول:
هذا الحديث أيضا ضعيف السند، وحسبك أن من جملة رواته عبد الله بن بحر، وهو ضعيف في الحديث.

---

(١) صحيح مسلم ١ / ٧٩ كتاب الإيمان، باب رقم ٢٦.
(٢) صحيح البخاري ٨ / ٣٢ كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بلا تأويل فهو كما قال. صحيح مسلم ١ / ٧٩ كتاب الإيمان، باب رقم ٢٦. الموطأ، ص ٥٣٨ ، مسند أحمد ٢ / ٤٤، ٦٠، ٧٧، ١٠٥، ١١٣.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١ / ١٥٠.

قال المامقاني قدس سره: عبد الله بن بحر... وقد ضعف الرجل ابن الغضائري، حيث قال: عبد الله بن بحر كوفي صيرفي، يروي عن أبي العباس، ضعيف مرتفع القول (١).
ونقل تضعيفه عن كل من العلامة الحلي في الخلاصة، وابن داود في رجاله، والشيخ البهائي في الوجيزة (٢).
قلت: وضعفه كذلك المحقق الخوئي (٣)، وضعف رواياته النجفي في الجواهر (٤)، والعاملي في المدارك، والبحراني في الحدائق، والحكيم في المستمسك وغيرهم (٥).

* * *

قال الجزائري: هذه الرواية، فإنها وإن كان في ظاهرها بعض التناقض، فإنها كسابقتها تقرر عصمة الأئمة ووجوب طاعتهم، وأنهم يوحى إليهم، لأن عبارة الأئمة بمنزلة الرسول إلا في موضوع النساء صريحة في أنهم يوحى إليهم وأنهم معصومون، وأن طاعتهم واجبة، وأن لهم جميع الكمالات والخصائص التي هي للنبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) قال المامقاني في مقباس الهداية ٢ / ٣٠٥: قولهم: مرتفع القول جعله في الدراية من ألفاظ الجرح، وفسره بأنه لا يقبل قوله ولا يعتمد عليه... والذي أظن أن المراد بقولهم: مرتفع القول أنه من أهل الارتفاع والغلو، فيكون لذلك جرحا حينئذ لذلك، فتأمل.
(٢) تنقيح المقال ٢ / ١٦٩.
(٣) معجم رجال الحديث ١٠ / ١١٨.
(٤) جواهر الكلام ١ / ٢٣١، ١٩ / ١٨٥.
(٥) راجع مدارك الأحكام ٨ / ٥٦، الحدائق الناضرة ٢٤ / ٢٢٢، مستمسك العروة الوثقى ١٤ / ٣٣٥.

والجواب:
أن الرواية المذكورة مع ضعف سندها لا تناقض فيها، والظاهر أنه ظن أن قوله: الأئمة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستلزم القول بأنهم عليه السلام يوحى إليهم، وهذا عنده يناقض قوله عليه السلام: إلا أنهم ليسوا بأنبياء، مع أن المراد بالعبارة الأولى هو أن الأئمة عليه السلام بمنزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العصمة ووجوب الطاعة، وأنهم يعلمون كل ما يحتاج إليه الناس في دينهم ودنياهم.
والمراد بأنهم ليسوا بأنبياء هو أنهم وإن اشتركوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كثير من الأمور، إلا أنهم لا يشتركون معه في النبوة وأمر النساء.
ومن ذلك يتضح أن ليس المراد بأن الأئمة عليهم السلام بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أنهم يساوون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الفضل، فإن المسلمين قاطبة – سنة وشيعة – قد اتفقوا على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو سيد ولد آدم من الأولين والآخرين.
وإنما المراد هو أنهم لما كانوا هم القائمين بالأمر من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن ذلك يعني أنهم علماء معصومون صادقون مفهمون محدثون، يعلمون كل ما يحتاج إليه الناس في أمور دينهم ودنياهم، وأنهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فتثبت لهم المودة الواجبة، والطاعة المفروضة. إلا أنهم ليسوا بأنبياء، ولا يحل لهم من النساء أكثر من أربع، فإن ذلك ليس مما تقتضيه الخلافة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما لا يخفى.
هذا وقد نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم على أن أمير المؤمنين عليه السلام له ما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من كونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، إذ قال: أيها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه (١).

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ١ / ١١٨، ١١٩، ٤ / ٢٨١، ٣٧٠، ٣٧٢، ٥ / ٣٤٧
وابن ماجة في السنن ١ / ٤٣. وابن حبان في صحيحه كما في الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩ / ٤٢. وابن أبي عاصم في كتاب السنة، ص ٥٩٢. والحاكم في المستدرك ٣ / ١٠٩ – ١١٠، ١١٦. وقال: صحيح على شرط الشيخين.
والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ١٠٤ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة. وأخرجه كذلك النسائي في خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٩٩، ١٠٠. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ / ٣٣٠، وصحيح سنن ابن ماجة ١ / ٢٦، راجع صفحة ١٣٧ من هذا

الكتاب.

فأثبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام ما هو ثابت له من الولاية الواجبة والطاعة المفروضة، كما أثبت لأهل بيته أنهم بمنزلته في أمور لا يختلف فيها الناس، وهي كثيرة، منها:

١ - الصلاة عليهم: فقد أخرج البخاري - واللفظ له - ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك وأحمد والدارمي وغيرهم، عن كعب بن عجرة، أنه قال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد (١).

وإنما سأل الناس عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما توجه إليهم الأمر من الله سبحانه بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال (إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه

---

(١) صحيح البخاري ٤ / ١٧٨ كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي. و ٦ / ١٥١ كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب. و ٨ / ٩٥ كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم رقم ٣١، وباب ٣٢. صحيح مسلم ١ / ٣٠٥ كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد التشهد. سنن الترمذي ٥ / ٣٥٩. سنن أبي داود ١ / ٢٥٧. سنن النسائي ٣ / ٤٥. سنن الدارمي ١ / ٣٩٠. الموطأ، ص ٨٣. مسند أحمد ١ / ١٦٢، ٣ / ٢٧، ٤ / ١١٨، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٥ / ٢٧٤، ٣٧٤، ٤٢٤.

وسلموا تسليما) (١).
٢ - التطهير من الرجس وإذهاب السوء والفحشاء عنهم: قال عز من قائل (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (٢).
٣ - تحريم الصدقة عليهم تنزيها لهم عنها: فقد روي في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد (٣).
إلى غير ذلك مما هو معلوم ومشهور.
ثم لا أدري لم ينكر الجزائري وجوب طاعة أئمة أهل البيت عليهم السلام مع صحة حديث الثقلين عندهم، الدال بأتم وأوضح دلالة على وجوب التمسك بهم والاهتداء بهديهم. بينما لا يرى هو ولا وغيره من أهل السنة غضاضة في طاعة سلاطين الجور والضلال، بل إنهم يرون أن طاعتهم واجبة، وأن من عصاهم فقد عصي الله، ومن فارقهم فقد فارق الجماعة، وأحاديثهم الدالة على ذلك كثيرة جدا.
منها: ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٦.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.
(٣) صحيح مسلم ٢ / ٧٥٤ كتاب الزكاة، باب رقم ٥١. ص ٧٥١ باب رقم ٥٠ وما بعده. وراجع صحيح البخاري ٢ / ١٥٦ كتاب الزكاة، باب أخذ صدقة التمر، ص ١٥٧ باب ما يذكر في صدقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ٣ / ٧١ كتاب البيوع، باب رقم ٤، ٤ / ٩٠ كتاب الجهاد، باب من تكلم بالفارسية، ٧ / ٦١ كتاب الطلاق، باب رقم ١٤. الموطأ، ص ٥٤٦. سنن أبي داود ٢ / ١٢٣. سنن الترمذي ٣ / ٤٦. سنن النسائي ٥ / ١٠٧. مسند أحمد ١ / ٢٠٠، ٢٧٩، ٤٤٤، ٤٧٦، ٣ / ٤٩٠، ٤ / ٣٥، ٥ / ٣٥٤، ٣٩٠.

ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني (١).
ومنها: ما أخرجه مسلم عن أبي يونس، قال: سمعت أبا هريرة يقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، وقال: من أطاع الأمير، ولم يقل: من أطاع أميري، وكذلك في حديث همام عن أبي هريرة (٢).
ومنها: ما أخرجه البخاري - واللفظ له - ومسلم وأحمد والدارمي والبيهقي وغيرهم، عن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من رأى من أميره شيئا فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية (٣).
فإذا كان الحال كذلك فأي غضاضة في أن تكون طاعة أئمة أهل البيت عليهم السلام واجبة، ويكون اتباعهم لازما، فإنهم أحد الثقلين اللذين حث النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مراعاتهما والتمسك بهما، وإنهم الذين أوجب الله مودتهم، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وعلى أقل تقدير فطاعتهم أولى من طاعة سلاطين الجور من الطلقاء وأبناء الطلقاء وغيرهم.

* * *

قال الجزائري: والقصد الصحيح من هذا الاختلاق والكذب الملفق - أيها الشيعي - هو دائما فصل أمة الشيعة عن الإسلام والمسلمين للقضاء

---

(١) صحيح البخاري ٤ / ٦٠ كتاب فضل الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الامام ويتقى به، ٩ / ٧٧ كتاب الأحكام، الباب الأول. مسند أحمد ٢ / ٢٥٢ - ٢٥٣، ٣٤٢، ٤١٦، ٤٦٧.
(٢) صحيح مسلم ٣ / ١٤٧٦ كتاب الامارة، باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية.
(٣) صحيح البخاري ٩ / ٥٩ كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: سترون بعدي أمورا تنكرونها، ٩ / ٧٨ كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية. صحيح مسلم ٣ / ١٤٧٧ كتاب الامارة، باب رقم ١٣. مسند أحمد ١ / ٢٧٥، ٢٩٧، ٣١٠. سنن الدارمي ٢ / ٢٤١. السنن الكبرى ٨ / ١٥٧.

على الإسلام والمسلمين، بحجة أن أمة الشيعة في غنى عما عند المسلمين من وحي الكتاب الكريم وهداية السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وذلك بما لديها من مصحف فاطمة الذي يفوق القرآن الكريم، والجفر والجامعة وعلوم النبيين السابقين ووحي الأئمة المعصومين الذين هم بمنزلة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا في مسألة نكاح أكثر من أربع نسوة، وما إلى ذلك مما سلخ أمة الشيعة المعتقدة لهذا الاعتقاد من الإسلام، وسلها من المسلمين انسلال الشعرة من العجين.

والجواب:

أنا لا نعلم كيف يتم فصل أمة الشيعة عن الإسلام، إلا إذا قلنا بكفرهم ومروقهم من الدين.

وعليه، فكيف يكون القصد الصحيح عند من اختلق هذا الحديث – وهو شيعي على الظاهر – هو إخراج أمة الشيعة من الإسلام؟!

ثم كيف يثبت كفر الشيعة ومروقهم من الدين باعتقادهم أن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم الذين تجب مودتهم وموالاتهم وطاعتهم، والاقتداء بهم، والتمسك بحبلهم، ويجب اعتقاد عصمتهم، وما إلى ذلك مما ثبت لهم بالأدلة الصحيحة، ولا يثبت كفر أهل السنة باعتقادهم وجوب موالاة كافة الصحابة حتى المنافقين منهم والطلقاء وأبناء الطلقاء، ووجوب التمسك بهم واقتفاء آثارهم، كما تجب طاعة سلاطين الجور المتسلطين على الأمة بالقوة والقهر، ويجب اعتقاد عصمة هذه الأمة من الخطأ، إلى غير ذلك مما هو معلوم من عقائدهم؟!

وأما فصل أمة الشيعة عن المسلمين فقد أجبنا عنه فيما تقدم، وقلنا بأنه إن كان مراده بالمسلمين هم من يعرفون بأهل السنة فهؤلاء لا يجب اتباعهم، وإن أراد بهم غيرهم فكل طائفة من طوائف المسلمين قد افترقت عن غيرها في أصولها وفروعها ، والمحذور هو مخالفة الكتاب والسنة، وأما

ما عدا ذلك فلا محذور في مخالفته أصلا.
وقوله: إن القصد من اختلاق هذه الأحاديث هو فصل الشيعة عن الإسلام والمسلمين، للقضاء على الإسلام والمسلمين لا يخفى ما فيه من الضعف والركاكة (١)، لأن الأحاديث المذكورة أحاديث ضعيفة، لا يمكن أن يكون لها هذا الأثر العظيم في فصل الشيعة عن باقي المسلمين، ولا سيما إذا علمنا بوجود الأحاديث الكثيرة الصحيحة التي تحث على حسن معاشرة أهل السنة، والصلاة معهم، وعيادة مرضاهم، وحضور جنائزهم، والشهادة لهم وعليهم... وما إلى ذلك.
ثم إن الشيعة إذا خرجوا من الإسلام، وفارقوا باقي فرق المسلمين أو أهل السنة بخصوصهم كيف يتسبب من ذلك القضاء على الإسلام والمسلمين، وهم لم يشهروا على باقي المسلمين سيفا، ولم يكيدوا لهم مكيدة أبدا في سر أو علانية؟! والإنصاف أن هذا الحديث وأمثاله لا ينشأ منه فصل الشيعة عن الإسلام ولا عن باقي المسلمين، وإنما يسبب افتراق المسلمين واختلافهم ما يكتبه هؤلاء الكتاب الذين يسعون باذلين جهدهم لتكفير طائفة عظيمة من طوائف المسلمين، متشبثين بأحاديث ضعيفة لم يفهموا معانيها، أو فهموها ولكن سولت لهم أنفسهم أمرا، فحملوها ما لا تحتمل من الوجوه الفاسدة والاحتمالات الواهية... فكفروا من شاؤوا بلوازم فاسدة، لمعان غير صحيحة، لأحاديث ضعيفة.
وقوله: بحجة أن أمة الشيعة في غنى عما عند المسلمين من وحي الكتاب الكريم وهداية السنة النبوية... وذلك بما لديها من مصحف

---

(١) إن الكاتب ليشعر بالخجل من العلماء والمفكرين والمثقفين وهو يرد على هذا الكلام الركيك المضطرب وأمثاله مما ملأ الجزائري به كتيبه، ولكن يلجئني إلى رده خوفي من أن ينخدع به بعض ضعفة المؤمنين، والله المستعان.

فاطمة... إلى آخره واضح الضعف، فإن الشيعة الإمامية لم يفارقوا باقي فرق المسلمين حتى يتذرعوا لمفارقتهم بأمثال هذه الخيالات الواهية أو بغيرها، ولم يستغنوا عن كتاب الله العزيز وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغيرهما. وهذه كتبهم ومصنفاتهم تنص على أن الكتاب والسنة هما أهم مصادر الاستنباط عندهم ، فكيف يستغنون عن الكتاب والسنة بمصحف فاطمة والجفر والجامعة وغيرها من الكتب التي ليست عندهم، بل لم يروها ولم يطلعوا على ما فيها؟!

* * *

قال الجزائري: ألا قاتل الله روح الشر التي اقتطعت قطعة عزيزة من جسم أمة الإسلام باسم الإسلام، وأبعدت خلقا كثيرا عن طريق آل البيت باسم نصرة آل البيت.

وقال: اللهم اقطع يد الإجرام الأولى التي قطعت هؤلاء الناس عنك، وأضلتهم عن سبيلك.

وأقول:

إن روح الشر في حقيقة الأمر هي الروح التي تسعى لإثارة الفرقة بين المسلمين، بتكفير طائفة كبيرة من أتباع أهل البيت عليه السلام، وإن يد الإجرام هي اليد التي تكتب من غير حجة معتمدة أو برهان صحيح في الطعن في مذهب أهل البيت عليهم السلام، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم باتباعهم والتمسك بحبلهم.

ومن الواضح أن الذين أشار إليهم الجزائري بيد الإجرام الأولى وروح الشر التي أبعدت الشيعة عن طريق أهل البيت هم علماء الشيعة الأولون قدس الله أسرارهم.

وهذا القول غير مستبعد ممن يلقي الكلام على عواهنه، ولا يتورع

عن التهمة بكل وجه قدر عليه.
ومن البين أن علماء الشيعة الأبرار - رحم الله الماضين منهم، وحفظ الباقين - هم الصلحاء الأتقياء الزهاد العباد، الذين لم يسيروا كغيرهم في ركاب سلاطين الجور، ولم يأكلوا من فتات موائدهم، ولم يحللوا لهم الحرام، ويحرموا لهم الحلال، ولم يصححوا أخطاءهم، ويبرروا قبائحهم، ولو أرادوا ذلك لعرفوا الطريق إليه، وسعوا في الحرص عليه (١).
وهم مع ذلك لم يغرروا بأحد من الشيعة ولا من غيرهم، وحسبك أنهم أوجبوا على كل مكلف أن يأخذ أصول دينه ومعتقداته الحقة بالدليل القطعي لا بالاتباع والتقليد، وأكدوا على ذلك في كتبهم الكلامية، وهذه طريقة لا يتبعها من يريد أن يغرر بالعوام من الناس، ويسعى لإضلالهم عن سبيل الله، وإبعادهم عن دين الله.
وأما قوله: إن علماء الشيعة قد اقتطعوا الشيعة من جسم أمة الإسلام، وأبعدوهم عن طريق آل البيت باسم نصرة آل البيت فيرده أن متابعة الشيعة لأئمة أهل البيت عليهم السلام مما لا يرتاب فيه منصف عاقل، ولا

---

(١) قال المناوي في فيض القدير ٢ / ٤١٩: لما مات [عمر] بن عبد العزيز أراد القائم من بعده أن يمشي على نمطه، حتى شهد له أربعون شيخا بأن الخليفة لا حساب عليه ولا عقاب.
ويكفي شهادة المناوي في وصف أكثر علماء زمانه الذين يظهر منه أنهم من علماء أهل السنة، حيث قال: وأكثر علماء الزمان ضربان: ضر منكب على حطام الدنيا، لا يمل من جمعه، وتراه شهره ودهره يتقلب في ذلك كالهمج في المزابل، يطير من عذرة إلى عذرة، وقد أخذت الدنيا بمجامع قلبه، ولزمه خوف الفقر وحب الاكثار.... وضرب هم أهل تصنع ودهاء وخداع وتزين للمخلوقين وتملق للحكام، شحا على رئاستهم، يلتقطون الرخص، ويخادعون الله بالحيل، ديدنهم المداهنة، وساكن قلوبهم المنى، طمأنينتهم إلى الدنيا، وسكونهم إلى أسبابها...

يشك فيه عالم فاضل.
ويدل على ذلك أمور (١):
أولا: أن الشيعة الإمامية قصروا الإمامة في أهل البيت عليهم السلام، وحصروا التقليد فيهم، فلا حجة إلا لقولهم، ولا حق إلا ما صدر منهم.
ولهذا تتابع الشيعة خلفا عن سلف في تدوين علومهم، وكتابة أحاديثهم في أصول الدين وفروعه حتى جمعوا الشئ الكثير.
وعليه، فالداعي إلى متابعتهم والأخذ بهديهم والسير على نهجهم - وهو اعتقاد إمامتهم دون سواهم - موجود، والمانع من متابعتهم مفقود، فلا بد من حصول الاتباع وتحقق الموالاة.
وثانيا: اعتراف جمع من أرباب التحقيق من أهل السنة بمتابعة الشيعة لأهل البيت عليهم السلام ومشايعتهم لهم.
١ - قال الشهرستاني: الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده (٢).
وقال في ترجمة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات... وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم (٣).
٢ - وقال ابن منظور في لسان العرب، والفيروزآبادي في القاموس المحيط، والزبيدي في تاج العروس: وقد غلب هذا الاسم - أي الشيعة - على من

---

(١) نقلنا هذه الأدلة من كتابنا دليل المتحيرين، ص ٣٥١ - ٣٥٣.
(٢) الملل والنحل ١ / ١٤٦.
(٣) المصدر السابق ١ / ١٦٦.

يتوالى عليا وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صار لهم اسما خاصا، فإذا قيل: فلان من الشيعة، عرف أنه منهم (١).
٣ – وقال الزهري: والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي ٠ ويوالونهم (٢).
٤ – وقال ابن خلدون: اعلم أن الشيعة لغة: الصحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم (٣).
ثالثا: سلوك الشيعة الكاشف عن ولائهم لأهل البيت عليهم السلام ومتابعتهم لهم ، فقد دأبوا على تدوين معارفهم وعلومهم، ورواية أحاديثهم، وأخذ أقوالهم، والتسليم لهم، ونشر فضائلهم، وكتابة سيرهم، وإقامة مآتمهم، والحزن على مصابهم وما جرى عليهم، ووالوا أولياءهم، وتبرأوا من أعدائهم، حتى حكموا بضعف كل من انحرف عنهم، وبنجاسة كل من تجاهر بمعاداتهم.
وبالجملة، فإنا لو لم نقل بأن الشيعة الإمامية هم أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام مع تحقق هذه الأمور، لحق لنا إنكار متابعة كل فرقة لمن تنتسب إليه، ولأمكننا أن نشكك في متابعة أهل السنة لأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم.

---

(١) لسان العرب ٨ / ١٨٩. القاموس المحيط ٣ / ٤٩. تاج العروس ٢١ / ٣٠٣.
(٢) لسان العرب ٨ / ١٨٩. تاج العروس ٢١ / ٣٠٣.
(٣) مقدمة ابن خلدون، ص ١٩٦.

كشف
الحقيقة السابعة

قال الجزائري:
الحقيقة السابعة
اعتقاد ردة وكفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته ما عدا آل البيت ونفرا قليلا كسلمان وعمار وبلال
هذا المعتقد يكاد يجمع عليه رؤساء الشيعة من فقهائهم وعلمائهم، وبذلك تنطق تآليفهم وتصرح كتبهم، وما ترك الإعلان به أحد منهم غالبا إلا من باب التقية الواجبة عندهم.
وأقول:
إن الشيعة الإمامية لا يعتقدون بكفر عامة صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا نفر قليل كما زعم الجزائري، وعقيدتهم في هذه المسألة معروفة، وقد بينها العلماء في كتبهم، وأوضحوها في مصنفاتهم.
ويمكن أن نجملها بأن نقول:
عقيدة الشيعة الإمامية في الصحابة
يعتقد الشيعة الإمامية أن من اصطلح عليهم بصحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينقسمون إلى ثلاث فئات:
الفئة الأولى: هم الذين آمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، واتبعوا النبي

صلى الله عليه وآله وسلم، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، حتى جعلوا كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

وهؤلاء هم الذين مدحهم الله في كتابه وأثنى عليهم بقوله (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) (١).

الفئة الثانية: هم المنافقون الذين كانوا يتربصون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم الدوائر، ويكيدون المكائد للإسلام ولخلص المؤمنين.

وهم الذين عناهم الله سبحانه بقوله (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) (٢).

وهؤلاء المنافقون قد دلت الأحاديث الكثيرة على وجودهم في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته صلى الله عليه وآله وسلم وبعد مماته.

ومن ذلك ما أخرجه مسلم عن حذيفة أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: في أصحابي اثنا عشر منافقا، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة (٣)، وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم (٤).

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٠.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠١.

(٣) قال في لسان العرب ١١ / ٢٣٥: الدبيلة: خراج ودمل كبير تظهر في الجوف، فتقتل صاحبها غالبا. وورد تفسيرها في بعض الأحاديث كما في البداية والنهاية ٥ / ١٩ ودلائل النبوة ٥ / ٢٦١ بأنها شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك.

(٤) صحيح مسلم ٤ / ٢١٤٣ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث ٩.

والفئة الثالثة: وهم المؤمنون الذين خلطوا عملا صالحا بآخر سيئ، فلم يبلغوا بأعمالهم إلى مرتبة الفئة الأولى، ولم تحطهم ذنوبهم إلى أن يكونوا من الفئة الثانية.
ومن هؤلاء من وصفهم الله سبحانه بقوله (وآخرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم) (١).
ومنهم من أشار إليهم بقوله جل شأنه (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم) (٢).
هذا ما يعتقده الشيعة الإمامية في صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكل من نسب إليهم غير ذلك إما جاهل بعقيدتهم غير متثبت في نقلها، أو كاذب مفتر عليهم.
وهذا الذي قلناه هو ما قرره علماؤنا الأعلام في كتبهم وأوضحوه في تآليفهم.
قال السيد شرف الدين الموسوي أعلى الله مقامه:
إن من وقف على رأينا في الصحابة علم أنه أوسط الآراء، إذ لم نفرط فيه تفريط الغلاة الذين كفروهم جميعا، ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثقوهم أجمعين، فإن الكاملية ومن كان في الغلو على شاكلتهم قالوا بكفر الصحابة كافة، وقال أهل السنة بعدالة كل فرد ممن سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو رآه من المسلمين مطلقا، واحتجوا بحديث كل من دب أو درج منهم أجمعين أكتعين أبصعين.
أما نحن فإن الصحبة بمجردها وإن كانت عندنا فضيلة جليلة، لكنها -

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٢.
(٢) سورة الحجرات، الآية ١٤.

بما هي ومن حيث هي – غير عاصمة، فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العدول، وهم عظماؤهم وعلماؤهم، وأولياء هؤلاء، وفيهم البغاة، وفيهم أهل الجرائم من المنافقين، وفيهم مجهول الحال، فنحن نحتج بعدولهم ونتولاهم في الدنيا والآخرة، أما البغاة على الوصي أخي النبي، وسائر أهل الجرائم والعظائم كابن هند وابن النابغة وابن الزرقاء وابن عقبة وابن أرطاة وأمثالهم، فلا كرامة لهم، ولا وزن لحديثهم، ومجهول الحال نتوقف فيه حتى نتبين أمره (١).

ومما تقدم يظهر أن ما زعمه الجزائري من أن كفر عامة الصحابة مما يكاد يجمع عليه رؤساء الشيعة وبه تنطق تآليفهم وتصرح كتبهم، غير صحيح، وحسبك أنه لم يدلل على زعمه بدليل واحد منقول من كلمات علماء الشيعة، الذين ينبغي الاحتجاج بكلماتهم في هذه المسألة، فإن ذلك أولى من ذكر حديث يمكن المناقشة في سنده ودلالته.

هذا مع أن الحديث الذي نقله ليس من أحاديث الكافي، ولا يدل على مطلوبه كما سيأتي بيانه، وهذا دليل واضح على عوز النصوص التي يحتاج إليها لإثبات حقيقته.

ثم إن ما قاله يتعارض مع قوله: وما ترك الإعلان به أحد منهم غالبا إلا من باب التقية الواجبة عندهم، وذلك لأن التقية إذا كانت واجبة عند الشيعة، وكانت تقتضي ترك الإعلان بهذا المعتقد، فكيف نطقت به تآليف علماء الشيعة وصرحت به كتبهم؟!

* * *

قال الجزائري: وتدليلا على هذه الحقيقة وتوكيدا لها نورد النصوص الآتية:

---

(١) أجوبة مسائل جار الله، ص ١٤ – ١٥.

جاء في روضة الكافي للكليني صاحب كتاب الكافي ص ٢٠٢ قوله: عن حنان، عن أبيه، عن أبي جعفر قال: ارتد الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة هم: المقداد وسلمان وأبو ذر. كما جاء في تفسير الصافي – والذي هو من أشهر وأجل تفاسير الشيعة وأكثرها اعتبارا – روايات كثيرة تؤكد هذا المعتقد، وهو أن أصحاب رسول الله قد ارتدوا بعد وفاته إلا آل البيت ونفرا كسلمان وعمار وبلال رضي الله تعالى عنهم.

وأقول:

هذا الحديث لم يروه الكليني في الكافي بهذا اللفظ (١)، لا في الروضة ولا في غيرها، بل ولم يرد له ذكر في باقي الكتب الأربعة المشهورة عند الإمامية، وإنما جاء مرويا في رجال الكشي (٢) وبعض الكتب الأخرى التي لا يعول عليها في إثبات الأحاديث.

ومع ذلك فهذا الحديث لا يدل على ما عنون به الجزائري حقيقته هذه، فإن الارتداد في اللغة هو الرجوع عن الشئ. قال عز من قائل (فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا) (٣)، وقال (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) (٤)، وقال (مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم) (٥).

وإذا أريد بالارتداد الرجوع عن الدين قيد، ولهذا لم يرد في كتاب

---

(١) بل رواه بلفظ آخر سنذكره قريبا إن شاء الله، ولعل عدول الجزائري عنه إلى الحديث الذي احتج به على حقيقته مع أنه لم يرو في الكافي، إنما كان لأن الحديث الذي ذكره يوهم في الجلالة على مطلوبه أكثر من غيره، والله أعلم.

(٢) اختيار معرفة الرجال، ص ٥.

(٣) سورة يوسف، الآية ٩٦.

(٤) سورة النمل، الآية ٤٠.

(٥) سورة إبراهيم، الآية ٤٣.

الله إلا مقيدا. قال سبحانه (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) (١)، وقال (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) (٢)، وقال (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم) (٣)، وقال (ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) (٤).

والحاصل أن الحديث الذي احتج به الجزائري لم يقيد فيه الارتداد بأنه عن الدين أو على الأدبار والأعقاب.

وعليه، فمعنى الحديث هو أن الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجعوا عما التزموا به في حياته صلى الله عليه وآله وسلم من مبايعة علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، فبايعوا غيره.

وبهذا المعنى للارتداد فسر ابن الأثير هذه اللفظة التي وردت في أحاديث الحوض التي سيأتي ذكرها، حيث قال:

وفي حديث القيامة والحوض: فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أدبارهم القهقرى: أي متخلفين عن بعض الواجبات. ولم يرد ردة الكفر، ولهذا قيده بأعقابهم، لأنه لم يرتد أحد من الصحابة بعده، وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب (٥).

فإذا صح ذلك يلتئم الحديثان، ويتطابق معناهما، ويكون المراد بارتداد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أنهم رجعوا عن أهم الواجبات

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٤.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٧.
(٣) سورة محمد، الآية ٢٥.
(٤) سورة المائدة، الآية ٢١.
(٥) النهاية في غريب الحديث ٢ / ٢٢١٤. ونقل ابن منظور هذه العبارة بعينها في لسان العرب ٣ / ١٧٣.

الدينية المنوطة بهم، وهي مبايعة علي عليه السلام بإمرة المؤمنين وخلافة رسول رب العالمين.

والذي يدل على أن ما قلناه هو المراد بالحديث ما رواه الكليني رحمه الله في الروضة ، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف أناس بعد يسير (١). وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا، حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرها فبايع، وذلك قوله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) (٢).

فإن هذا الحديث ظاهر في أن الثلاثة المذكورين التزموا ببيعة أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبايعوا غيره، حتى بايع مكرها فبايعوا بعده.

ومن الغريب أن الجزائري الذي ساق هذا الحديث ونسبه للكافي وفسر معناه بغير ما هو مراد، نسي أو تناسى أحاديث كثيرة صحيحة أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما تدل على ردة زمر وأقوام من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته.

ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيحلؤن (٣) عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي. فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا

---

(١) أي ثم إن أناسا عرفوا أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الأولى بالأمر بعد وقت يسير.

(٢) روضة الكافي، ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٣) أي يطردون يبعدون.

بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى (٤).
وعن أبي هريرة أيضا، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: بينما أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم. فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى. ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم. قلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى. فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم (٢).
قلت: الظاهر أن الضمير المجرور في فلا يخلص منهم يعود على صحابته صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يعود على خصوص المرتدين على أدبارهم، لأن هؤلاء المرتدين لا يخلص منهم أحد.
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يرد علي الحوض رجال من أصحابي، فيحلؤون عنه، فأقول: يا رب أصحابي. فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى (٣).
وأخرج مسلم عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا فرطكم (٤) على الحوض، ولأنازعن أقواما ثم لأغلبن عليهم (٥)، فأقول: يا رب، أصحابي أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك (٦).

---

(١) صحيح البخاري ٨ / ١٥٠ كتاب الرقاق، باب في الحوض.
(٢) صحيح البخاري ٨ / ١٥٠. قال في لسان العرب ١١ / ٧١٠: وفي حديث الحوض: فلا يخلص منهم إلا مثل همل النعم الهمل: ضوال الإبل، واحدها هامل، أي أن الناجي منهم قليل في قلة النعم الضالة.
(٣) صحيح البخاري ٨ / ١٥٠.
(٤) أي سابقكم ومتقدمكم.
(٥) أي سأجادل عن أقوام رغبة في خلاصهم فلا ينفعهم ذلك.
(٦) صحيح مسلم ٤ / ١٧٩٦ كتاب الفضائل، باب رقم ٩.

وأخرج البخاري – واللفظ له – ومسلم، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله: إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا ، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم.
قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش، فقال: هكذا سمعت من سهل ؟ فقلت: نعم. فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: فأقول: إنهم مني. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقا سحقا لمن غير بعدي (١).
وهذه الأحاديث رواها حفاظ الحديث من أهل السنة بطرق كثيرة جدا وبألفاظ متقاربة، وفيما ذكرناه كفاية (٢).
* * *

قال الجزائري: وأما بخاصة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ففي كتب القوم نصوص لا تحصى كثرة في تكفير الشيعة لهما، ومن ذلك ما جاء في كتاب الكليني صفحة ٢٠ حيث قال: سألت أبا جعفر عن الشيخين. فقال: فارقا الدنيا ولم يتوبا، ولم يتذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.
وأورد أيضا في صفحة ١٠٧ قوله: تسألني عن أبي بكر وعمر؟ فلعمري لقد نافقا وردا على الله كلامه، وهزئا برسوله، وهما الكافران عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

---

(١) صحيح البخاري ٨ / ١٥٠. صحيح مسلم ٤ / ١٧٩٣.
(٢) راجع إن شئت سنن الترمذي ٥ / ٣٢١. سنن النسائي ٢ / ١٣٣، ٤ / ١١٧. سنن ابن ماجة ٢ / ١٠١٦. مسند أحمد ١ / ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٨٤، ٤٠٢ ، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٢٥، ٤٣٩، ٤٥٣، ٤٥٥، ٣ / ٢٨، ١٠٢، ٢٨١، ٥ / ٤٨، ٥٠، ٣٨٨، ٣٩٣، ٤٠٠، ٤١٢. صحيح ابن خزيمة ١ / ٦. مجمع الزوائد ١٠ / ٣٦٣ – ٣٦٥. صحيح سنن النسائي ٢ / ٤٩٩. صحيح سنن ابن ماجة ٢ / ١٨٢.

وأقول:
مما يؤسف له أن يعمد الجزائري للتدليل على حقائقه إلى اختلاق أحاديث مكذوبة ينسبها إلى الكافي، لتكفير طائفة كبيرة من طوائف المسلمين.
ومع أن هذين الحديثين لا يشبهان أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ولم يسبق أن قرأتهما لا في الكافي ولا في غيره، فإني بحثت عنهما فيه وفي باقي الكتب الأربعة فلم أجد لهذين الحديثين عينا ولا أثرا.
نعم الذي وجدته مرويا في صفحة ١٠٧ من روضة الكافي بسند ضعيف (١) مكاتبة الإمام الكاظم عليهم السلام لعلي بن سويد، وهي مشتملة على أجوبة مسائل عديدة سئل عنها الإمام عليهم السلام.
ومما جاء في هذه المكاتبة قوله عليهم السلام: وسألت عن رجلين اغتصبا رجلا مالا كان ينفقه على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وفي سبيل الله، فلما اغتصباه ذلك لم يرضيا حيث غصباه حتى حملاه إياه كرها فوق رقبته إلى منازلهما، فلما أحرزاه توليا إنفاقه، أيبلغان بذلك كفرا؟ فلعمري لقد نافقا قبل ذلك، وردا على الله عز وجل كلامه، وهزئا برسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وهما الكافران، عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.
وهذه الفقرة الأخيرة هي التي نقلها الجزائري في الحديث الذي احتج به بعد أن وضع لها سؤالا من عنده، ليلائم الغرض الذي يريده.
وكيف كان، فلا يمكن أن نقول: إن المراد بالرجلين المذكورين في هذه المكاتبة أبو بكر وعمر، إلا بحمل ألفاظ الحديث على ما لا تحتمله، فإن المال

---

(١) روي هذا الحديث بثلاثة طرق. الأول منها في سنده سهل بن زياد، وقد مر تضعيفه، ومحمد بن منصور الخزاعي وهو مجهول. والطريق الثاني: فيه حمزة بن بزيع، وهو واقفي ضعيف. والطريق الثالث: فيه محمد بن منصور، وهو الخزاعي المذكور آنفا.

لا يمكن أن يرمز به إلى الخلافة، لأن الحديث قد نص على أن صاحب المال كان ينفقه على الفقراء والمساكين، والخلافة لا ينفق شئ منها على فقير أو مسكين.
ثم كيف حمل أبو بكر وعمر عليا عليه السلام الخلافة إلى منازلهما لينفقا منها كيف شاءا؟
وجواب الإمام عليه السلام بأن الرجلين المسؤول عنهما قد نافقا فيه بيان بأن الذي لا يسلم المسلمون من يده ولسانه فليس بمسلم، وإظهاره للإسلام إذا لم يعمل به هو ضرب من النفاق.
والحاصل أن تحريف الجزائري لهذا الحديث يدل دلالة واضحة على أنه لم يعثر على حديث واضح يدلل به على حقيقته هذه، وأن ما قاله من أن النصوص المروية في كتب الشيعة في تكفير أبي بكر وعمر لا تحصى كثرة، غير صحيح.
وعلى كل حال فإنا لا ننكر أن في بعض كتب الشيعة أحاديث ظاهرها الطعن في بعض من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أن هذه الأحاديث مع التسليم بصحتها ووضوح دلالتها لا تستلزم كفرا، وإلا لزم تكفير الأمة جمعاء، لأن كتب الشيعة إن كانت مشتملة على أحاديث ظاهرها الطعن في بعض الصحابة ، فكتب أهل السنة مملوءة بأحاديث كثيرة تطعن في بعض آخر منها، بل فيها ما هو أدهى وأمر، وهو الطعن في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما سيتضح فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

* * *

قال الجزائري: وبعد أيها الشيعي، فهل من المعقول الحكم بالكفر والردة على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم حواريوه وأنصار دينه، وحملة شريعته، رضي الله عنهم في كتابه، وبشرهم بجنته على لسان نبيه، حمى

الله بهم الدين، وأعز بهم المسلمين، وخلد لهم ذكرا في العالمين وإلى يوم الدين؟!
والجواب:
لقد أوضحنا آنفا أنا لم نقل بكفر أو ارتداد أو فسق عامة الصحابة، وبينا بما لا مزيد عليه أن رأي الشيعة الإمامية في الصحابة هو أعدل الآراء، وهو الموافق لآيات الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة.
والذي لا ينبغي إنكاره والمناقشة فيه أن بعض من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان منافقا في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد وفاته، وأن بعضهم ارتد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة وغيرها، ومن أنكر ذلك فهو مكابر متعصب عنيد، أو جاهل بليد.
وأما أصحاب رسول الله المنتجبون، وحواريوه وأنصار دينه وحملة شريعته، الذين رضي الله عنهم في كتابه، وبشرهم بجنته على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وحمى الله بهم الدين، وأعز بهم المسلمين، فهؤلاء نتولاهم في الدنيا والآخرة، وندعو لهم، ونترحم عليهم.
وأما غيرهم من المنافقين وأعداء أمير المؤمنين وأهل بيته الطيبين الطاهرين فلا حرمة لهم ولا كرامة، وإن تسموا بالصحبة، وتظاهروا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمودة والمحبة.
وتمييز هذين الصنفين من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا بد فيه من الإجتهاد والنظر، بدراسة سيرهم ومعرفة أحوالهم وما صدر منهم.
واختلاف الاجتهاد في هذه المسألة وإن أدى إلى الحكم بكفر أو نفاق بعضهم لا يستلزم تكفير طائفة من طوائف المسلمين أو أحد من أهل القبلة، ولا سيما إذا كان صدور ذلك الحكم ناشئا عن خطأ وشبهة.
ولو تأملنا صحاح أهل السنة ومصادر الحديث عندهم لوجدناها

مملوءة بأمثال هذه الاجتهادات، وحسبك ما أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وأحمد وغيرهم عن عمر أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق (١) - يعني حاطب بن أبي بلتعة الذي هو واحد من أهل بدر.

ومن ذلك ما ورد في حديث الإفك المروي عن عائشة، أن أسيد بن الحضير قال لسعد بن عبادة: إنك منافق تجادل عن المنافقين (٢).

ومنه ما أخرجه مسلم والنسائي وابن ماجة وغيرهم عن جابر، أنه قال: صلى معاذ بن جبل الأنصاري بأصحابه العشاء، فطول عليهم، فانصرف رجل منا فصلى، فأخبر معاذ عنه، فقال: إنه منافق. فلما بلغ ذلك الرجل، دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره ما قال معاذ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أتريد أن تكون فتانا يا معاذ؟ إذا أممت الناس فاقرأ بالشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الأعلى، واقرأ باسم ربك، والليل إذا يغشى (٣).

وقد كانت عائشة تكفر عثمان، وكانت تقول: اقتلوا نعثلا فقد كفر (٤).

---

(١) صحيح البخاري ٤ / ٧٢ - ٧٣ كتاب الجهاد، باب الجاسوس. صحيح مسلم ٤ / ١٩٤١ كتاب فضائل الصحابة، باب رقم ٣٦. سنن الترمذي ٥ / ٤٠٩. سنن أبي داود ٣ / ٤٧. مسند أحمد ١ / ٧٩ - ٨٠، مسند حميدي ١ / ٢٧. وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٨ / ١٢٥ عن البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي وأحمد والحميدي وأبي عوانة وابن حبان وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وأبي نعيم وعبد بن حميد.

(٢) صحيح البخاري ٣ / ٢٢٩ كتاب الشهادات، باب تعديل النساء، ٥ / ١٥٣ كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ٦ / ١٣٠ كتاب التفسير، تفسير سورة النور.

(٣) صحيح مسلم ١ / ٣٤٠ كتاب الصلاة، باب رقم ٣٦. سنن النسائي ٢ / ١٧٢. سنن ابن ماجة ١ / ٣١٥.

(٤) شرح نهج البلاغة ٢ / ٧٧.

فلما أرادت بعد قتله أن تطالب بدمه قال لها ابن أم كلاب:
منك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام * وقلت لنا: إنه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله * وقاتله عندنا من أمر (١)
ولما حصر عثمان في بيته كفر كل أهل المدينة من الصحابة وغيرهم.
قال الطبري: لما رأى عثمان ما قد نزل به، وما قد انبعث عليه من الناس، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام:
بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإن أهل المدينة قد كفروا، واخلفوا الطاعة ، ونكثوا البيعة، فابعث إلي من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول (٢).
هذا مضافا إلى أن جمهور أهل السنة قد ذهبوا إلى كفر أبي طالب عليه السلام، مع أنه من أجلاء صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإسلامه ودفاعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذبه عن الإسلام أوضح من أن يحتاج إلى بيان. وحسبك دليلا على إيمانه أقواله المأثورة وأشعاره المشهورة.
ومنها قوله:
والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وأبشر بذاك وقر منك عيونا
ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا (٣)

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٧. الكامل في التاريخ ٣ / ٢٠٦.
(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٤٠٢.
(٣) البداية والنهاية ٣ / ٤١. المواهب اللدنية ١ / ٤٦. أسنى المطالب، ص ٢٥. وهذه الأبيات أورده الأميني رضوان الله عليه في موسوعة الغدير ٧ / ٣٣٤ وقال: رواها الثعلبي في تفسيره وقال: قد اتفق على صحة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل
وعبد الله بن عباس والقسم بن محضرة وعطاء بن دينار.

وقوله:
ألا أبلغا عني على ذات بيننا * لؤيا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * نبيا كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة * ولا خير ممن خصه الله بالحب (١)
والحاصل أن القول بكفر واحد ممن صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن جل عند قوم لا يستلزم كفر طائفة من طوائف المسلمين أو أحد من أهل القبلة، وما يلزم به الشيعة من تكفير بعض من يعتبرهم أهل السنة من أجلاء الصحابة، يرد على أهل السنة سواء بسواء، بل إن الحجة على أهل السنة أتم وأظهر، وذلك لأن أبا طالب عليه السلام الذي تجرأوا على تكفيره، يعترف جمع من علمائهم بإيمانه، فكان الواجب عليهم ألا يتسرعوا في تكفير من اختلفوا هم أنفسهم في إيمانه وكفره، بخلاف من كفره الشيعة، فإنهم لم يختلفوا فيه، وشتان ما بين هذين الأمرين.

* * *

قال الجزائري: فقل لي بربك أيها الشيعي، ألم يكن لهذا التكفير واللعن والبراء لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هدف وغاية؟ بلى أيها الشيعي، إن هناك هدفا وأي هدف؟ وغاية وأية غاية؟ إن الهدف هو القضاء على الإسلام خصم اليهودية والمجوسية وعدو كل شرك ووثنية!!

والجواب:

أنا لم نقل بارتداد عامة الصحابة عن الدين كما أوضحناه مكررا، وإنما قلنا برجوع أكثرهم عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا المعنى هو المراد بالارتداد المذكور في الحديث الذي احتج به.

---

(١) السيرة النبوية ١ / ٣٥٢. البداية والنهاية ٣ / ٨٤. أسنى المطالب، ص ٢٤.

وأما ما ألصقه بالشيعة من القول بارتداد عامة الصحابة إلا نفرا قليلا – وإن كنا لا نقول به – إلا أنه هو الظاهر من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث البخاري المتقدم الذي قال فيه: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم كما بيناه آنفا.

وبعبارة أخرى: إن ما ألصقه بالشيعة من القول بارتداد أكثر الصحابة عن الدين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يقوله الشيعة، ولا تدل عليه الأحاديث المروية من طرقهم، بل دلت عليه الأحاديث الصحيحة عند أهل السنة التي ذكرنا بعضا منها.

ومما تقدم يتضح سقوط كل ما سيأتي من اللوازم الفاسدة التي ساقها الجزائري، لأنها كلها مبتنية على القول بارتداد عامة الصحابة عن الدين، ونحن لا نقول به كما بيناه مفصلا، وهو واضح.

وقوله: إن الهدف من هذا التكفير واللعن والبراء لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو القضاء على الإسلام خصم اليهودية والمجوسية لا يخفى فساده، ولا يستحق الرد عليه، إلا أنا مع ذلك نقول:

إن أراد بأصحاب النبي كل أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم، فنحن لا نكفرهم ولا نلعنهم جميعا كما أوضحناه فيما تقدم.

وإن أراد بعضهم فارتداد ونفاق بعض من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم متفق عليه، ودلت عليه الأحاديث الصحيحة عند أهل السنة كما مر آنفا.

والنتيجة المتحصلة هي أن الشيعة وأهل السنة في هذه المسألة سواء، فما يلزم أولئك يلزم هؤلاء.

ثم إنا لا نعلم كيف يتم القضاء على الإسلام بسبب الاعتقاد بنفاق أو ارتداد بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أن الشيعة وأهل السنة كلهم يرون ذلك والإسلام بحمد الله باق، وسيبقى إن شاء الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض

ومن عليها.
ولا يخفى أن الجزائري في كلامه هنا بل في كل ما سطره في هذا الكتيب يريد بالإسلام مذهب أهل السنة، المبني على القول بعدالة كل من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مع أن القول بعدالة كل الصحابة يبطله الكتاب والسنة والإجماع والعقل، والإسلام غير منحصر في مذهب تبطله الأدلة الصحيحة.
والحكم بأن الغاية من اعتقاد ردة بعض من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي القضاء على الإسلام خصم اليهودية والمجوسية حكم باطل، بل هو من الكلام الذي لا يجوز قوله، لما فيه من رد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة.
ثم كيف يتسبب من اعتقاد ردة بعض من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم القضاء على الإسلام؟ والحال أن الردة حقيقة تاريخية لا ينكرها أحد، غاية ما في الأمر أنهم يقولون إنها وقعت في كل الأمصار ما عدا الحرمين والطائف، ولو سلمنا بذلك فصحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا متوافرين في بلاد العرب كلها.
وأما هدف الشيعة من بيان أن جمعا من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ارتدوا من بعده فهو بيان ما أراد رسول الله بيانه للأمة، حتى لا يغتر بكل من يدعي الصحبة، ويتخذها وسيلة لإضلال الأمة المهدية وتحريف السنة النبوية.

* * *

قال الجزائري: وإن الغاية هي إعادة دولة المجوس الكسروية بعد أن هدم الإسلام أركانها، وقوض عروشها، ومحا أثر وجودها، وإلى الأبد إن شاء الله تعالى، وهاك إشارة مغنية عن عبارة: ألم يقتل ثاني خليفة للمسلمين بيد غلام مجوسي؟

ألم يحمل راية الفتنة ضد الخليفة عثمان فيذهب ضحيتها وتكون أول بذرة للشر والفتنة في ديار المسلمين، اليهودي عبد الله بن سبأ؟

والجواب:

أن إعادة دولة المجوس الكسروية ليست من غايات الشيعة، ولو كانت هذه هي غايتهم لسعوا إليها وأعادوا بناءها، فإن الشيعة قامت لهم دول على ممر العصور ، ولم يعيدوا المجوسية ولا اليهودية، ولم يدعوا إليهما.

وأما ما أشار إليه من قتل عمر بن الخطاب بيد غلام مجوسي، فهذا لا علاقة له بالشيعة، لأن هذا الغلام لم يكن شيعيا ولا مملوكا لواحد من الشيعة، وإنما هو غلام للمغيرة بن شعبة الذي كان من المنحرفين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكان هذا الغلام حدادا نقاشا نجارا حاذقا، وكان المغيرة قد ضرب عليه مائة درهم في الشهر كما في بعض الأخبار، أو أربعة دراهم في اليوم كما في بعض آخر، فاشتكى إلى عمر شدة الخراج، فقال له عمر: ما خراجك بكثير.

فانصرف ساخطا يتذمر، وأضمر لعمر السوء، فكمن له وقتله (١).

هذا مع أن الذي ذكره غير واحد أنه كان غلاما نصرانيا ولم يكن مجوسيا (٢)، ولا أقل فالأخبار في دينه متضاربة. ولعله كان مسلما، إلا أنه لما قتل عمر وصموه بالمجوسية، والله أعلم بحقائق الأمور.

وأما عبد الله بن سبأ، فالذي أفاده جمع من المحققين (٣) والباحثين أنه

---

(١) الطبقات الكبرى ٣ / ٣٤٥. المستدرك ٣ / ٩١. تاريخ الإسلام ٣ / ٢٧٧. تاريخ الخلفاء، ص ١٠٦. تاريخ الخميس ٢ / ٢٤٨. مروج الذهب ٢ / ٣٢٠. الكامل في التاريخ ٣ / ٤٩.

(٢) المستدرك ٣ / ٩١. الكامل في التاريخ ٣ / ٤٩.

(٣) قال السيد أبو القاسم الخوئي أعلى الله مقامه في كتابه معجم رجال الحديث ١٢ / ١٩٤: إن أسطورة عبد الله بن سبأ وقصص مشاغباته الهائلة موضوعة مختلقة اختلقها سيف بن عمر الوضاع الكذاب، ولا يسعنا المقام الإطالة في ذلك والتدليل عليه، وقد أغنانا العلامة الجليل والباحث المحقق السيد مرتضى العسكري في ما قدم من دراسات عميقة دقيقة عن هذه القصص الخرافية، وعن سيف وموضوعاته ، في مجلدين ضخمين طبعا باسم عبد الله بن سبأ، وفي كتابه الآخر خمسون ومائة صحابي مختلق.

رجل اختلقه خصوم الشيعة كيدا لهم وإزراء عليهم.
قال الدكتور طه حسين: إن أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفا منحولا، قد اخترع بأخرة، حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصرا يهوديا ، إمعانا في الكيد لهم والنيل منهم (١).
وقال الدكتور عبد العزيز الهلابي الأستاذ في قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض: وعلى أية حال، فسيف - وهو راوي قصة ابن سبأ كما سيأتي - أراد طعن الشيعة في الصميم، وذلك بنسبة مذهب التشيع إلى يهودي حاقد على الإسلام، يريد تقويضه من الداخل، وأن أفكار الشيعة - المعتدلين منهم والغلاة - ليست سوى أفكار هذا اليهودي (٢).
ويدل على أن عبد الله بن سبأ شخصية وهمية مختلقة أمور:
الأول: أن كل الأحاديث التي ذكرت فيها قصة عبد الله بن سبأ تنتهي إلى سيف بن عمر التميمي المتوفى سنة ١٨٠ ه كما في تاريخ الطبري وتاريخ دمشق وتاريخ الإسلام وغيرها. وسيف بن عمر ضعيف جدا، اتفق الجميع على تضعيفه.

---

(١) علي وبنوه، ص ٥١٨.
(٢) عبد الله بن سبأ للهلابي، ص ٢٦.

قال يحيى بن معين: ضعيف الحديث. وقال: فليس خير منه (١).
وقال أبو داود: ليس بشئ (٢).
وقال أبو حاتم الرازي (٣) والدارقطني (٤): متروك الحديث.
وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة. وقال: يروي الموضوعات عن الأثبات (٥).
وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر (٦).
وقال الحاكم: اتهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط (٧).
وقال النسائي: ضعيف (٨).
وقال ابن حجر: ضعيف الحديث (٩).
الثاني: أن الذين سبقوا سيف بن عمر والذين عاصروه من المؤرخين والرواة لم يذكروا ابن سبأ في أحاديثهم ومصنفاتهم.
قال الدكتور عبد العزيز الهلابي: أما الرواة والأخباريون المتقدمون كعروة بن الزبير (ت ٩٤ ه) ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ ه) وابن إسحاق (ت ١٥٠ ه) والواقدي (ت ٢٠٧ ه) وخليفة بن خياط (ت ٢٤٠ ه) في تاريخه، وابن سعد (ت ٢٣٠ ه) في كتاب الطبقات، وابن الحكم

---

(١) تهذيب التهذيب ٤ / ٢٥٩. ميزان الاعتدال ٢ / ٢٥٥. تهذيب الكمال ١٢ / ٣٢٦.
(٢) تهذيب التهذيب ٤ / ٢٥٩. ميزان الاعتدال ٢ / ٢٥٥. تهذيب الكمال ١٢ / ٣٢٦.
(٣) تهذيب التهذيب ٤ / ٢٥٩. ميزان الاعتدال ٢ / ٢٥٥. الجرح والتعديل ٤ / ٢٧٨.
(٤) تهذيب التهذيب ٤ / ٢٦٠. وعده في الضعفاء في كتابه الضعفاء والمتروكون، ص ٢٤٣.
(٥) تهذيب التهذيب ٤ / ٢٦٠. تهذيب الكمال ١٢ / ٣٢٦.
(٦) ميزان الاعتدال ٢ / ٢٥٥. تهذيب الكمال ١٢ / ٣٢٦.
(٧) تهذيب التهذيب ٤ / ٢٦٠.
(٨) المصدر السابق ٤ / ٢٦٠.
(٩) تقريب التهذيب، ص ٢٦٢.

(ت ٢٥٧ ه) في كتابه فتوح مصر وأخبارها، وأبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢ ه) في كتابه الأخبار الطوال والكندي (ت ٢٨٣ ه) في كتاب الولاة والقضاة، واليعقوبي (ت ٢٩٢ ه) في تاريخه، والمسعودي (ت ٣٤٦ ه) في كتبه، وغيرهم من مؤرخي القرن الثالث والرابع الهجريين، فلم يرد عند أحد من هؤلاء في مروياتهم أو في كتب المؤلفين منهم أي ذكر عن ابن سبأ ودوره في الأحداث (١).

قلت: إن إغفال هؤلاء المؤرخين لهذا الرجل الذي كان له هذا الدور الكبير في إحداث الفتنة وفي تغيير وجه التاريخ الإسلامي دليل على أن الرجل مكذوب مختلق في عصر متأخر عن عصر أولئك المؤرخين المذكورين وغيرهم.

الثالث: أن الأحاديث قد تضاربت في بيان شخصية ابن سبأ تضاربا شديدا، فتارة ذكر فيها باسم عبد الله بن سبأ، وتارة باسم ابن السوداء، والذي يظهر من كلام عبد القاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق أنهما رجلان لا رجل واحد، بينما يرى الأكثر أن عبد الله بن سبأ هو ابن السوداء.

كما أن الظاهر مما قاله البلاذري في أنساب الأشراف، والسمعاني في الأنساب، والمقريزي في الخطط والآثار، أن ابن سبأ هو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني الذي كان من رؤساء الخوارج وقتل معهم في معركة النهروان (٢).

والمروي في أكثر الأخبار أنه من يهود اليمن (٣)، إلا أن عبد القاهر

---

(١) عبد الله بن سبأ للهلابي، ص ١٣.

(٢) أنساب الأشراف ٢ / ٣٨٣، عن عبد الله بن سبأ للعسكري ٢ / ٣٢١. وقال طه حسين في كتابه علي وبنوه، ص ٥١٩: وابن سبأ عند البلاذري ليس ابن السوداء، وإنما هو عبد الله بن وهب الهمداني.

(٣) تاريخ دمشق ٣٤ / ١. لسان الميزان ٣ / ٢٨٩.

البغدادي روى عن الشعبي أنه في الأصل من يهود الحيرة (١).
ثم إن المروي في أكثر الأخبار أيضا أن عليا عليه السلام نفاه إلى المدائن، فلما قتل علي عليه السلام وبلغه ذلك قال: إن جئتمونا بدماغه في سبعين صرة لم نصدق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها (٢).
بينما روي في أخبار أخر أن عليا عليه السلام أحرقه بالنار (٣).
والظاهر من أكثر الأخبار أن سبب نفيه للمدائن هو ادعاء الألوهية في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن ابن عساكر وغيره رووا أن عليا عليه السلام نفاه للمدائن لما بلغه أنه كان يقع في أبي بكر وعمر (٤). وفي بعضها أنه نفاه لما قال له : أنت دابة الأرض (٥).
كما أنهم رووا أنه غلا في علي عليه السلام، فزعم أنه نبي، ثم غلا فيه فزعم أنه إله. بينما رووا أيضا أنه كان يقول: إنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيا، وأن عليا عليه السلام هو وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه خير الأوصياء كما أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم خير الأنبياء (٦).
الرابع: أن رجلا أسود مجهولا من أهل اليمن، لا يعرف نسبه، يهودي الأصل ، حديث عهد بالإسلام، قد أظهر الغلو في علي عليه السلام، كيف تأتى له أن يعبث بعقول صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة والناس عامة، فاستطاع أن يؤلبهم على عثمان، حتى انقسموا فيه قسمين: إما خاذل له،

---

(١) الفرق بين الفرق، ص ٢٣٥.
(٢) الفرق بين الفرق، ص ٢٣٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥ / ٣٦.
(٣) قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٢ / ٤٢٦: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل، أحسب أن عليا حرقه بالنار.
(٤) تاريخ دمشق ٣٤ / ٧.
(٥) المصدر السابق.
(٦) الفرق بين الفرق، ص ٢٣٥. تاريخ دمشق ٣٤ / ٢. البداية والنهاية ٧ / ١٧٤.

أو متحامل عليه؟!
ثم كيف تيسر له أن يظهر في ذلك المجتمع المسلم ما شاء من الآراء الفاسدة والمعتقدات الباطلة، فيجهر بالغلو في علي عليه السلام فلا يعارضه معارض، ولا يردعه رادع؟!
من كل ذلك نخلص إلى أن ابن سبأ كان شخصية وهمية اختلقها سيف ابن عمر أو غيره للدفاع عن عثمان من جهة، وللطعن في علي وشيعته من جهة أخرى (١).
وعلى أية حال، فإنا لو سلمنا بأن عبد الله بن سبأ كان رجلا قد عاش في تلك الفترة وكان له أثر سيئ في إحداث الفتنة، فإن مذهب الشيعة الإمامية لا يرتبط به من قريب ولا بعيد، وحسبك دليلا على ذلك:
١ - أنا لا نجد حديثا واحدا مرويا عنه في كتب الإمامية، ولو كان مذهب الشيعة من صنيعة عبد الله بن سبأ لكانت آثاره وآراؤه وأخباره واضحة جلية في مذهبهم، وكل ما نسبوه إلى ابن سبأ من عقائد الشيعة ككون علي عليه السلام وصي رسول الله، وأنه دابة الأرض، فهو محض افتراء منهم، لتتم لهم هذه الفرية، وتلتئم به هذه الكذبة.
٢ - أن أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام المروية في كتب الإمامية قد

---

(١) قال الدكتور عبد العزيز الهلابي في كتابه عبد الله بن سبأ، ص ٤٠: يمكن أن نلخص موقف سيف في رواياته عن أحداث الفتنة بالنقاط التالية:
١ - الدفاع عن عثمان وأم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير وولاة عثمان، وتبرير مواقفهم حتى لو بلغ به الأمر إلى اختلاق الروايات وتحريفها.
٢ - النيل من الخليفة علي بطريق غير مباشر.
٣ - تجريح كل من انتقد الخليفة عثمان أو طعن في ولاته في الأمصار، أو انضم إلى جانب الخليفة علي في البصرة، سواء كان هؤلاء من الصحابة أم من غيرهم.
٤ - التصدي للروايات الشيعية التي تنال من عثمان وعائشة وطلحة والزبير بروايات متناقضة أو مضادة... إلى آخر ما قال.

وردت بذمه ولعنه.
فقد روى الكشي بسنده عن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وهو يحدث أصحابه بحديث عبد الله بن سبأ، وما ادعى من الربوبية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: إنه لما ادعى ذلك فيه استتابه أمير المؤمنين عليه السلام فأبى أن يتوب، فأحرقه بالنار.
وعن أبان بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ، إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبدا لله طائعا، الويل لمن كذب علينا، وإن قوما يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم (١).
٢ - أن علماء الإمامية نصوا على كفره وسوء حاله، وإليك بعض أقوالهم:
قال العلامة الحلي: عبد الله بن سبأ غال ملعون، حرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار، كان يزعم أن عليا عليه السلام إله، وأنه نبي (٢).
وقال الشيخ الطوسي وابن داود: عبد الله بن سبأ الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغلو (٣).
وقال أبو عمرو الكشي: كان يدعي النبوة وأن عليا عليه السلام هو الله، فاستتابه عليه السلام ثلاثة أيام، فلم يرجع فأحرقه بالنار في جملة سبعين رجلا ادعوا فيه ذلك (٤).
* * *

---

(١) راجع مجمع الرجال ٣ / ٢٨٤. وتنقيح المقال ٢ / ١٨٤. ومعجم رجال الحديث ١٠ / ١٩٢ - ١٩٤.
(٢) رجال العلامة الحلي، ص ٢٣٧. وهي عين عبارة ابن طاووس كما في التحرير الطاووسي، ص ١٧٣.
(٣) تنقيح المقال ٢ / ١٨٣ - ١٨٤.
(٤) تنقيح المقال ٢ / ١٨٤.

قال الجزائري: وفي هذه الرحم المشؤومة تخلق شيطان الشيعة وولد من ساعته، يحمل راية بدعة (الولاية) و (الإمامة) كسيفين مصلتين على رأس الإسلام والمسلمين.

والجواب:

أن الشيعة لا شيطان لهم، ولا شيطان لواحد من أئمتهم عليهم السلام، وقصة تخلق هذا الشيطان الذي ذكره الجزائري أشبه ما تكون بأساطير اليونان القديمة التي لا واقع لها ولا دليل عليها.

على أنا لو تأملنا الأحاديث الصحيحة التي يعتقد أهل السنة بمضمونها لوجدناها تدل على أنهم يعتقدون بأن كل واحد منهم له شيطان يستفزه ويضله.

ومن ذلك ما أخرجه مسلم والنسائي وأحمد وغيرهم عن عروة، أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج من عندها ليلا. قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: ما لك يا عائشة؟ أغرت؟ فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أقد جاءك شيطانك؟ قلت: يا رسول الله، أو معي شيطان؟ قال: نعم. قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم. قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم (١).

وأخرج أحمد والهيثمي وابن حبان وابن خزيمة وغيرهم، عن ابن عباس وغيره، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ليس منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشياطين. قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن الله

---

(١) صحيح مسلم ٤ / ٢١٦٨ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب رقم ١٦. سنن النسائي ٧ / ٧٢. مسند أحمد ٦ / ١١٥. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ٣ / ٨٣١.

أعانني عليه فأسلم (١).
ومن هذا الباب ما روي عن أبي بكر أنه قال في خطبته الأولى لما تولى الأمر: أما بعد، فإني وليت هذا الأمر وأنا له كاره، ووالله لوددت أن بعضكم كفانيه... ألا وإنما أنا بشر، ولست بخير من أحد منكم فراعوني، فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني، وإن رأيتموني زغت فقوموني، واعلموا أن لي شيطانا يعتريني، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني، لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم (٢).
هذا مع أن الله جل شأنه قد قال في كتابه العزيز (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) (٣)، وقال (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) (٤)، وقال (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم) (٥)، وقال (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) (٦).
وقول الجزائري: يحمل راية بدعة الولاية والإمامة كسيفين مصلتين على رأس الإسلام والمسلمين
عجيب منه، فإن الولاية والإمامة من شعائر الإسلام المؤكدة التي لا تخفى على أحد.
فإن الجزائري إن أراد بالولاية الإمارة فلا يسعه إنكار لزومها، لاتفاق

---

(١) مسند أحمد ١ / ٢٥٧. مجمع الزوائد ٨ / ٢٢٥، وقال: رواه الطبراني والبزار ، ورجال الصحيح. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨ / ١٠٠. صحيح ابن خزيمة ١ / ٣٣٠. المطالب العالية ٤ / ٢٩.
(٢) الطبقات الكبرى ٣ / ٢١٢. تاريخ الطبري ٢ / ٤٦٠. البداية والنهاية ٦ / ٣٠٧. مجمع الزوائد ٥ / ١٨٣.
(٣) سورة الزخرف، الآية ٣٦.
(٤) سورة مريم، الآية ٨٣.
(٥) سورة الشعراء، الآيتان ٢٢١، ٢٢٢.
(٦) سورة النساء، الآية ٣٨.

المسلمين على أنه لا بد لهم من أمير يحفظ الثغور، ويؤمن السبل، ويقيم الحدود ، ويفض المنازعات، وينتصف للمظلوم من الظالم.
هذا وقد أخرج مسلم وأحمد وغيرهما - في حديث - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة (١).
فإن إمارة بعض المسلمين على بعض مضافا إلى لزومها وضرورتها فهي مما كرم الله به هذه الأمة وشرفها به كما يدل عليه هذا الحديث.
وأما إذا أراد بالولاية النصرة والمحبة، فيدل على ثبوتها قوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) (٢).
وإن أراد بالولاية الأولوية بالتصرف، وهو معنى الإمامة العظمى والخلافة الكبرى ، فيدل عليه قوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (٣).
وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم: أيها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه (٤).
وأما الإمامة فهي أحد معاني الولاية التي مر بيانها، وهو المعنى الأخير لها. وقد أثبتها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في آيات كثيرة، فأخبر أنه قد جعل بعض أنبيائه أئمة للناس، إذ قال (قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) (٥).

---

(١) صحيح مسلم ١ / ١٣٧ كتاب الإيمان، باب رقم ٧١. مسند أحمد ٤ / ٢١٧.
(٢) سورة التوبة، الآية ٧١.
(٣) سورة المائدة، الآيتان ٥٥ - ٥٦.
(٤) سبق تصحيحه وتخريجه في صفحة ١١٩، ١٥٧.
(٥) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

وقال عز من قائل (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) (١).

وأخبر جل شأنه أنه جعل للناس أئمة يدعون إلى الحق، فقال (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (٢)، وقال (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) (٣).

ثم إن الأحاديث النبوية الدالة على ثبوت الإمامة أكثر من تحصر.

ومنها: ما أخرجه أحمد والهيثمي والطيالسي وأبو نعيم وابن حجر وابن أبي عاصم والطبراني والبيهقي والسيوطي وغيرهم، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: الأئمة من قريش (٤).

* * *

قال الجزائري: وبالدعوة إلى الولاية كفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولعنوا، وكفر ولعن كل من يرضى عنهم أو يترضى عليهم من المسلمين.

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان ٧٢، ٧٣.

(٢) سورة السجدة، الآية ٢٤.

(٣) سورة القصص، الآية ٥.

(٤) مسند أحمد ٣ / ١٢٩، ١٨٣. مسند أبي داود الطيالسي، ص ١٢٥، ٢٨٤. حلية الأولياء ٣ / ١٧١، ٥ / ٨، ٧ / ٢٤٢، ٨ / ١٢٣. مجمع الزوائد ٥ / ١٩٢. السنن الكبرى ٣ / ١٢١. كتاب السنة، ص ٥١٧، ٥١٨. المعجم الصغير للطبراني ١ / ١٥٢. الجامع الصغير ١ / ٤٨٠. صحيح الجامع الصغير ١ / ٥٣٤. إرواء الغليل ٢ / ٢٩٨. وقد نص على تواتر هذا الحديث السيوطي في قطف الأزهار المتناثرة ، ص ٢٤٨، والكتاني في نظم المتناثر، ص ١٦٩.

والجواب:
لقد أوضحنا فيما تقدم عقيدة الشيعة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبينا أنا لا نكفر أحدا منهم إلا المنافقين الذين كانوا يكيدون للإسلام المكائد، ويدسون له الدسائس.
وهذه مصنفات علماء الإمامية التي كتبوها عبر العصور تؤكد أن كل من شهد الشهادتين فهو مسلم، له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، إلا من قامت الأدلة على كفره كالناصبي والغالي ومن أنكر ضروريا من ضروريات الدين.
ثم ما هو التلازم بين الدعوة إلى الولاية أو موالاة علي عليه السلام خاصة وأهل البيت عليهم السلام عامة وبين تكفير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والحال أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان أول من دعا إليها، حيث قال: من كنت مولاه فعلي مولاه (١).
وقال: إن عليا مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي (٢).
وقال: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما (٣).
وهذا هو معنى الولاية التي نعتقد بها، ولا نعني بها شيئا آخر غير هذا.

---

(١) سبق تخريج مصادره وتصحيحه في صفحة ١١٩، ١٥٧.
(٢) سنن الترمذي ٥ / ٦٣٢. مسند أحمد ٤ / ٤٣٧ - ٤٣٨، ٥ / ٣٥٦. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩ / ٤٢. المستدرك ٣ / ١١٠ وصححه ووافقه الذهبي. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥ / ٢٦١، ٢٦٣.
(٣) سبق تخريج مصادره في ص ٧٣.

قال الجزائري: وببدعة الإمامة حيكت المؤامرات ضد خلافة المسلمين، وأثيرت الحروب الطاحنة بين المسلمين، وسفكت دماء، وهدم بناء، وعاش الإسلام مفكك الأوصال، مزعزع الأركان، أعداؤه منه كأعدائه من غيره، وخصومه من المنتسبين إليه كخصومه من الكافرين به.

والجواب:

أن الإمامة والخلافة شئ واحد، ولهذا ورد التعبير عن أولي الأمر تارة بالأئمة كما في حديث الأئمة من قريش، وتارة بلفظ الخلفاء كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يزال هذا الدين عزيزا منيعا إلى اثني عشر خليفة... كلهم من قريش (١).

وعليه، فكيف تكون الإمامة بدعة ولا تكون الخلافة كذلك؟!

ثم كيف تحاك المؤامرات بالإمامة ضد الخلافة؟!

هذا مع أنا لو سبرنا ما حدث منذ العصر الأول إلى يومنا هذا فإنا لا نجد التاريخ يحدث أن ثمة مؤامرات حاكها الشيعة ضد خلافة المسلمين، أو أن حروبا طاحنة أثارها الشيعة قد وقعت بين المسلمين.

وأما أن الإسلام عاش مفكك الأوصال، مزعزع الأركان، فكل ذلك إنما حصل بسبب ابتعاد المسلمين عن الأخذ بشعائر الإسلام المهمة التي منها اتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام وتقديمهم والتمسك بحبلهم، فإن الناس لما مالوا عنهم إلى غيرهم، وصارت الخلافة العظمى يتداولها الطلقاء وأبناء الطلقاء، وصارت أمور المسلمين بيد كل طامع متغلب، آلت الأحوال إلى ما هي عليه الآن.

* * *

---

(١) سبق تخريج مصادره في ص ٧٤.

قال الجزائري: على هذا الأساس أيها الشيعي وضعت عقائد الشيعة وسن مذهبها ، فكان دينا مستقلا عن دين المسلمين، له أصوله ومبادئه وكتابه وسنته وعلومه ومعارفه. وقد تقدم في هذه الرسالة مصداق ذلك وشاهده، فارجع إليه وتأمله إن كنت فيه من الممترين.

والجواب:

أن الشيعة الإمامية أخذوا عقائدهم من أئمة أهل البيت الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم باتباعهم والتمسك بحبلهم، ونص في أحاديث كثيرة على أنهم هم الناجون الفائزون دون غيرهم، وقد ذكرنا ما يدل على ذلك فيما تقدم.

وأما أن الشيعة لهم دين مستقل عن دين المسلمين فإثبات ذلك دونه خرط القتاد، والأحاديث المروية عند أهل السنة تكذب ذلك، بل تثبت بما لا يدع مجالا للريب أن الشيعة مسلمون مؤمنون محسنون.

فإن تلك الأحاديث دلت على أن الإسلام قد بني على خمس كما روي عن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت (١).

كما دلت على أن الإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. وأن الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك كما في حديث سؤال جبرئيل عليه السلام الذي

---

(١) صحيح البخاري ١ / ١٠ كتاب الايمان، باب رقم ٢. صحيح مسلم ١ / ٤٥ كتاب الايمان، باب رقم ٥. سنن الترمذي ٥ / ٥. سنن النسائي ٨ / ١٠٧. مسند أحمد ٢ / ٢٦، ٩٣، ١٢٠، ١٤٣، ٤ / ٣٦٣. صحيح ابن خزيمة ١ / ١٥٩، ٣ / ١٨٧. السنن الكبرى ٤ / ١٩٩. الإحسان بترتيب ابن حبان ١ / ١٨٨، ٣ / ٣. صحيح سنن النسائي ٣ / ١٠٢٩. إرواء الغليل ٣ / ٢٤٨.

تقدم ذكره (١).
وأما أصول مذهب الشيعة الإمامية ومبادئه وعلومه ومعارفه فهي معلومة ومبثوثة فيما صنفه علماء المذهب قدس الله أسرارهم، وهي غير خافية على الجزائري ولا على غيره ممن كتب ضد الشيعة. وكان الأجدر بالجزائري الذي يزعم هذا الزعم أن ينقل لقارئه شيئا من أصول ومبادئ وعلوم مذهب الإمامية التي خالفوا بها قواعد الإسلام، ليتيسر له ما يريد، بدلا من أن يتجشم تكفير الشيعة بلوازم فاسدة، لأحاديث ضعيفة قد حملها من الخيالات والأوهام ما لا تحتمله، ثم نسب ذلك كله إلى الشيعة.

* * *

قال الجزائري: ولولا القصد السيئ والغرض الخبيث لما كان للولاية من معنى يفرق المسلمين، ويبذر الشر والفتنة والعداء فيهم.
والجواب:
أن ولاية أمير المؤمنين وأئمة أهل البيت عليهم السلام مضافا إلى ثبوت وجوبها بالأدلة الصحيحة فهي جامعة لشمل الأمة، عاصمة لهم من الشقاق والافتراق كما دلت على ذلك الأخبار والآثار.
ومن ذلك ما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس (٢).
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان

---

(١) تقدم في صفحة ١٢٢ من هذا الكتاب.
(٢) سبق تخريج مصادره في صفحة ١٤٤.

لأمتي (١).
* * *
قال الجزائري: إذ المسلمون أهل السنة والجماعة، والذين هم وحدهم يطلق عليهم بحق كلمة المسلمين، لا يوجد بينهم فرد واحد يكره آل بيت رسول الله.
والجواب:
أما أن الذين يطلق عليهم بحق كلمة المسلمون هم أهل السنة وحدهم فهذا ادعاء محض، لأن لفظ المسلم يصح إطلاقه على كل من شهد الشهادتين، وأظهر شعائر الإسلام، ولم ينكر ضروريا من ضروريات الدين. هذا ما دلت عليه الأحاديث النبوية ونص عليه أعلام أهل السنة.
ومن تلك الأحاديث ما أخرجه البخاري والنسائي وغيرهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم (٢).
قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: قوله من صلى صلاتنا أي من أظهر شعائر الإسلام (٣).

---

(١) الجامع الصغير ٢ / ٦٨٠ ورمز له بالحسن. مجمع الزوائد ٩ / ١٧٤. المطالب العالية ٤ / ٧٤، ٣٧٤. إحياء الميت، ص ٣٧، ٤٥. الخصائص الكبرى ٢ / ٢٦٦. فضائل الصحابة ٢ / ٦٧١.
(٢) صحيح البخاري ١ / ١٠٣ كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة. سنن النسائي ٧ / ٧٥، ٨ / ١٠٥، ١٠٩.
(٣) سنن النسائي ٨ / ١٠٥.

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذاك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته (١).

فكل من أظهر شعائر الإسلام حكم بإسلامه، وحرم إيذاؤه بنفي الإسلام عنه، كما قال سبحانه (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا) (٢)، وذلك لأن الإيمان أمر خفي لا يقدر أحد على الجزم بنفيه.

وأما أن أهل السنة لا يوجد بينهم فرد واحد يبغض آل البيت فغير صحيح، لأن كثيرا من علمائهم وإن كانوا يزعمون أنهم يحبون أهل البيت عليهم السلام إلا أن ما يظهر منهم خلاف ذلك.

ويكفي في الدلالة على ذلك أن علماء أهل السنة حكموا بأن التشيع لأهل البيت منقصة قادحة في وثاقة الراوي، فيضعفون الرجل لموالاته لأهل البيت عليهم السلام، فيطرحون رواياته، وإن كان صدوقا ثبتا، وينبزونه بالرفض،

ويصمونه بما لا يحسن من قبيح الصفات، فصار كل من يحبهم أو يروي فضائلهم ، أو ينقل مآثرهم، وينوه بذكرهم، أو يفضلهم على غيرهم، شيعيا مذموما ، أو رافضيا خبيثا، لا حرمة له ولا كرامة.

حتى أن الإمام الشافعي الذي هو علم من أعلام أهل السنة وإمام من أئمتهم قد رمي بالتشيع لما تجاهر بحب أهل البيت عليهم السلام، فقيل له: إن أناسا لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة لأهل البيت، فإذا رأوا أحدا يذكر شيئا من ذلك قالوا: تجاوزوا عن هذا، فهو رافضي. فأنشأ يقول:

إذا في مجلس نذكر عليا * وابنيه وفاطمة الزكية

---

(١) صحيح البخاري ١ / ١٠٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٩٤.

يقال: تجاوزوا يا قوم هذا * فهذا من حديث الرافضيه
برئت إلى المهيمن من أناس * يرون الرفض حب الفاطميه (١)
وقيل له: إن فيك بعض التشيع! قال: وكيف؟ قالوا: ذلك لأنك تظهر حب آل محمد. فقال: يا قوم... أليس من الدين أن أحب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانوا من المتقين، لأنه كان يحب قرابته، وأنشد:
يا راكبا قف بالمحصب من منى * واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى * فيضا كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أني رافضي (٢)
وهناك جمع من الحفاظ والرواة والعلماء البارزين من أهل السنة عرفوا ببغض أهل البيت عليهم السلام ومعاداتهم لهم.
فمن حفاظ الحديث إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: عده الذهبي (٣) والسيوطي (٤) من حفاظ الحديث، وهو من رجال الجرح والتعديل عندهم، روى له أبو داود والترمذي والنسائي، ووثقه النسائي والدارقطني وابن حبان، مشهور بالنصب والتحامل على علي عليه السلام (٥).
ومنهم:
حريز بن عثمان الحافظ أبو عثمان الرحبي: عده الذهبي (٦) والسيوطي (٧) وابن العماد الحنبلي (٨) من حفاظ الحديث، وهو ناصبي

---

(١) نور الابصار، ص ٢٠٠، والأبيات موجودة في الديوان، ص ٩٠.
(٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ص ٩١.
(٣) تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٤٩. العبر ١ / ٣٧٢. ميزان الاعتدال ١ / ٧٥.
(٤) طبقات الحفاظ، ص ٢٤٤.
(٥) راجع تهذيب التهذيب ١ / ١٥٨. ميزان الاعتدال ١ / ٧٥.
(٦) تذكرة الحفاظ ١ / ١٧٦. سير أعلام النبلاء ٧ / ٧٩.
(٧) طبقات الحفاظ، ص ٧٨.
(٨) شذرات الذهب ١ / ٢٥٧.

معروف، روى له البخاري والأربعة، سئل عنه أحمد بن حنبل فقال: ثقة ثقة. وقال: ليس بالشام أثبت من حريز. ووثقه ابن معين ودحيم وأحمد ابن يحيى والمفضل بن غسان والعجلي وأبو حاتم وابن عدي والقطان. قال ابن المديني: لم يزل من أدركناه من أصحابنا يوثقونه. كان يلعن أمير المؤمنين عليه السلام وينتقصه وينال منه. قال ابن حبان: كان يلعن عليا بالغداة سبعين مرة، وبالعشي سبعين مرة (١).

وأما النواصب من رواة الأحاديث فكثيرون:

منهم: عبد الله بن شقيق العقيلي، وإسماعيل بن سميع الكوفي الحنفي، والحصين بن نمير الواسطي، وزياد بن جبير بن حية الثقفي البصري، وزياد بن علاقة بن مالك الثعلبي، وعبيد الله بن زيد بن قلابة الجرمي، ومحمد بن زياد الألهاني، ونعيم بن أبي هند الأشجعي، وخالد ابن سلمة بن العاص المعروف بالفأفأ وغيرهم (٢).

وأما النواصب من علماء أهل السنة فكثيرون أيضا، منهم ابن تيمية وابن كثير الدمشقي وابن الجوزي وشمس الدين الذهبي وابن حزم الأندلسي وغيرهم، وهؤلاء وإن نفوا عن أنفسهم النصب إلا أن المتأمل في كتبهم يحصل له الجزم بما قلناه، ولولا خشية الإطالة والخروج عن موضوع الكتاب لأقمنا الأدلة الواضحة الدالة على عداوتهم لأهل البيت عليهم السلام من كتبهم ومن أقوال العلماء الآخرين فيهم.

* * *

قال الجزائري: فلماذا تمتاز طائفة الشيعة بوصف الولاية، وتجعلها هدفا وغاية، وتعادي من أجلها المسلمين، بل تكفرهم وتلعنهم كما سبق

---

(١) راجع تهذيب التهذيب ٢ / ٢٠٧. ميزان الاعتدال ١ / ٤٥٧. تهذيب الكمال ٥ / ٥٦٨. سير أعلام النبلاء ٧ / ٧٩. تاريخ بغداد ٨ / ٢٦٥.

(٢) راجع ما كتبناه عن هؤلاء الرواة في كتابنا دليل المتحيرين، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

أن عرفت وقدمناه.
والجواب:
أن الولاية وإن كانت من شعائر الإسلام المؤكدة التي دلت عليها آيات الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة، إلا أن الشيعة لم يجعلوها هدفا وغاية - كما زعم الجزائري - يعادون من أجلها المسلمين، أو يكفرونهم أو يلعنونهم.
بل إن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا يحثون شيعتهم ومواليهم على حسن الجوار مع أهل السنة وعلى التلطف في معاشرتهم (١)، وأحاديثهم في ذلك كثيرة جدا.
منها: صحيحة معاوية بن وهب، قال: قلت له: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا؟ قال: تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم، فتصنعون كما يصنعون، فوالله إنهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدون الأمانة إليهم (٢).
وفي صحيحة زيد الشحام، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: إقرأ على من ترى أنه يطيعني ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم. أدوا الأمانة إلى من

---

(١) كل من خالط الشيعة الإمامية وجاورهم يتضح له انهم يتوددون إلى أهل السنة ، ولا يحملون حقدا ولا ضغينة على أحد منهم. قال الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه تاريخ المذاهب الاسلامية ١ / ٥٠: والاثنا عشرية يوجدون الآن في العراق ... وهم عدد كبير يقارب النصف، يسيرون على مقتضى المذهب الاثنا عشري في عقائدهم ونظمهم في الأحوال الشخصية والمواريث والوصايا والأوقاف والزكوات والعبادات كلها، وكذلك أكثر أهل إيران، ومنهم من ينبثون في بقاع من سوريا ولبنان وكثير من البلاد الاسلامية، وهم يتوددون إلى من يجاورونهم من السنيين ولا ينافرونهم.
(٢) الكافي ٢ / ٦٣٦.

ائتمنكم عليها برا أو فاجرا، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري. فيسرني ذلك، ويدخل علي منه السرور، وقيل : هذا أدب جعفر. وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدب جعفر. فوالله لحدثني أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها، آداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه، فتقول: من مثل فلان؟ إنه لآدانا للأمانة، وأصدقنا للحديث (١).

وفي خبر أبي علي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لنا إماما مخالفا وهو يبغض أصحابنا كلهم. فقال: ما عليك من قوله، والله لئن كنت صادقا لأنت أحق بالمسجد منه، فكن أول داخل وآخر خارج، وأحسن خلقك مع الناس، وقل خيرا (٢).

والإنصاف أن أهل السنة هم الذين جعلوا موالاة كل الصحابة سببا لتكفير كل من لا يرى رأيهم، فقد أفتى جمع من أعلامهم بأن كل من كره واحدا منهم أو طعن في روايته فهو كافر.

قال ابن حجر بعد أن ساق قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) إلى قوله (ليغيظ بهم الكفار) الآية (٣): ومن هذه الآية أخذ الإمام مالك بكفر الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأن الصحابة يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر.

وقال ابن حجر: وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية، ومن ثم

---

(١) المصدر السابق.
(٢) وسائل الشيعة ٥ / ٣٨٢.
(٣) سورة الفتح، الآية ٢٩.

وافقه الشافعي رضي الله عنه في قوله بكفرهم، ووافقه جماعة من الأئمة (١).
وقال القرطبي: لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع الإسلام (٢).
أقول: إن الإنصاف في هذه المسألة يقتضي الحكم على كل من قال بعدالة كل الصحابة بأنه قد رد آيات الكتاب العزيز الدالة بأوضح دلالة على وجود النفاق في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستفحاله، حتى نزلت فيهم آيات كثيرة بل سورة بكاملها سميت بهم، ولم نعثر على دليل واحد تام يعدل كل الصحابة، وكل ما تمسكوا به إنما هو مجرد خيالات واهية وأوهام فاسدة كما هو واضح جلي لكل ذي عينين.
وأما هذه الآية فلا تدل على أن كل من اغتاظ من واحد من الصحابة فهو كافر، وإلا لحكمنا بكفر جمع من الصحابة كانوا يحملون على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويبغضونه، أمثال معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وبسر بن أرطأة، وآخرين لا نود ذكرهم كانوا لا يستطيعون إخفاء بغضهم له عليه السلام حتى في محضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما تريدون من علي؟ إن عليا مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي.
بل ظاهر الآية أن صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم - بنحو العموم المجموعي - يغيظ الله بهم الكفار، لا بنحو العموم الأفرادي، يعني أن الله سبحانه قد أغاظ الكفار بصحابته صلى الله عليه وآله وسلم بما هم مجموع، لا بكل فرد منهم، فإن بعضهم كما هو معلوم لم يغظ واحدا من الكفار، ولا سيما بعض من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد فتح مكة.

---

(١) الصواعق المحرقة، ص ٢٤٣. وراجع تفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٠٤.

ولو سلمنا أن الآية تدل على هذا المعنى، فهي لا تدل على أن كل من أغاظوه أو اغتاظ منهم فهو كافر، وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان.

* * *

قال الجزائري: والإمامة أيضا: أليس من السخرية والعبث أن يترك الإسلام للمسلمين أمر اختيار من يحكمهم بشريعة الإله ربهم وهدي نبيهم، فيختارون من شاؤوا ممن يرونه صالحا لإمامتهم وقيادتهم بحسب كفاءته ومؤهلاته، فتقول جماعة الشيعة: لا، لا، يجب أن يكون موصى به، منصوصا عليه، ومعصوما ويوحى إليه، ومتى يجد المسلمون هذا الإمام؟ أمن أجل هذا تنحاز الشيعة جانبا تلعن المسلمين وتعاديهم؟!

والجواب:

أن الله سبحانه لم يجعل الخلافة شورى، ولم يترك للمسلمين أمر اختيار من يحكمهم، بل اختار لهم الأصلح لهم في دينهم ودنياهم.

ويدل على بطلان الشورى في الخلافة أمور:

١ – أن الشورى تسبب الاختلاف والتنازع، وهذا ما وقع بين المسلمين في سقيفة بني ساعدة، واستمر الخلاف بسبب ذلك إلى يومنا هذا، مع أن من غايات الشارع المقدس إغلاق كل باب يؤدي إلى النزاع، وسد كل ثغرة تؤدي إلى الخلاف.

وعليه، فلا يمكن أن يفتح الله للمسلمين بابا يؤدي إلى الفرقة مع إمكان النص على الخليفة الذي تجتمع عليه الأمة، وتتحد به الكلمة.

٢ – أن منصب الخلافة الكبرى والإمامة العظمى من أهم المناصب الدينية التي تترتب عليها أعظم المصالح وأشد المفاسد، فلا يصح إيكالها إلى الناس الذين لا يعلمون بخفايا النفوس ولا خبايا القلوب، إذ لا يؤمن حينئذ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٩٦.

من اختيار أهل الشقاق والنفاق خلفاء على المسلمين وأئمة للمؤمنين، فيحرفون الكتاب، ويبدلون السنة، ويحرمون الحلال، ويحللون الحرام، ويتخذون عباد الله خولا، ومال المسلمين دولا.

٣ – أن الشورى مبتنية على اختيار الأكثر، والله سبحانه لم يجعل ذلك علامة على الحق، بل ذم الكثرة في آيات كثيرة من كتابه العزيز، فقال جل شأنه (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) (١). وقال (لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون) (٢). وقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (٣)، وقال (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٤).

وأما قوله تعالى (وشاورهم في الأمر) (٥) وقوله (وأمرهم شورى بينهم) (٦) فلا يراد بهما الشورى في الخلافة، وإلا لكان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يشاور أصحابه في اختيار الخليفة من بعده، مع أنه لم يصدر منه ذلك بالاتفاق ، وإنما كان يشاور أصحابه فيما يتعلق بمصالح الحروب ونحوها.

قال ابن كثير: كان صلى الله عليه وسلم يشاورهم في الحروب ونحوها (٧).

وقال الفخر الرازي: قال الكلبي وكثير من العلماء: هذا الأمر – أي

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٦.
(٢) سورة الزخرف، الآية ٧٨.
(٣) سورة يوسف، الآية ١٠٣.
(٤) سورة الأعراف، الآية ١٧٨. سورة يوسف، الآية ٢١. سورة النحل، الآية ٣٨. سورة الروم، الآية ٦. سورة القصص، الآية ٣٠, سورة سبأ، الآية ٣٦.
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
(٦) سورة الشورى ٣٨.
(٧) تفسير القرآن العظيم ١ / ٤٢٠.

في (وشاورهم) - مخصوص بالمشاورة في الحروب (١).
وقال القرطبي: وقد كان يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب (٢).
ثم إن أهل السنة صححوا خلافة عمر مع أنها لم تكن بمشورة من المسلمين، وإنما كانت بنص من أبي بكر.
والحاصل أن مسألة الشورى لا دليل صحيح يدل على أنها من شرائع الإسلام، ولو كانت كذلك لبينت أحكامها وحدودها، فإن أهم أسسها - وهو من يدخل في الشورى ومن لا يدخل - اختلف علماء أهل السنة فيه على أقوال كثيرة (٣)، فكيف بسائر أحكامها؟!
وهذا دليل واضح على أن مسألة الشورى في اختيار الخلفاء إنما وضعها الناس من عند أنفسهم.
ولهذا قال القرطبي: وقد جعل عمر رضي الله عنه الخلافة - وهي أعظم النوازل - شورى (٤).
أما أن الإمام يجب أن يكون معصوما فلأن غير المعصوم ظالم لنفسه لوقوع المعاصي منه، وكل من وقعت منه معصية فهو ظالم لنفسه على الأقل، فلا يصلح للإمامة العظمى، لقوله جل وعلا (قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) (٥).
ثم إن غير المعصوم لا يوثق بصحة قوله، ويشك في نفاذ أمره وحكمه،

---

(١) التفسير الكبير ٩ / ٦٧.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٣٧.
(٣) قيل: لا يدخل في الشورى إلا أهل المدينة. وقيل: خصوص الصحابة. وقيل: أهل الحل والعقد. وقيل: سائر المسلمين. وقيل غير ذلك.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٢٥١.
(٥) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

لاحتمال خطئه ونسيانه وغفلته وجهله وتعمده للكذب، فلا يتوجه الأمر بطاعته مطلقا في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (١) مع أن الله سبحانه ساوى في هذه الآية بين طاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر - وهم الأئمة عليهم السلام - وذلك لانتفاء الخطأ في الكل، وقد تقدم بيان ذلك مفصلا.

هذا مضافا إلى أن الإمامة العظمى والخلافة الكبرى التي يتوقف عليها بقاء الدين واستقامة أمور المسلمين لا يصح أن توكل إلى إمام يصيب ويخطئ، ويحكم في القضية بحكم ثم ينقضه، ويفتي في المسألة بفتوى ثم يبدلها، فينمحق الدين وتتبدل أحكام شريعة سيد المرسلين مع توالي الأئمة وتطاول الأزمنة.

لأجل ذلك كله وجب أن يكون إمام المسلمين معصوما منصوصا عليه.

أما متى يجد المسلمون هذا الإمام؟ فالجواب أنه موجود، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم نص على الأئمة من بعده، فبين أنهم من أهل بيته حيث قال: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبدا.

وبين المراد بأهل بيته فيما أخرجه مسلم عن عائشة، قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (٢).

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) صحيح مسلم ٤ / ١٨٨٣ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي رواية قال (ص): رب إن هؤلاء أهل بيتي (المستدرك ٣ / ١٠٨ - ١٠٩ وصححه ووافقه الذهبي). وفي رواية أخرى قال: اللهم هؤلاء أهلي (المستدرك ٣ / ١٤٦ وصححه ووافقه الذهبي أيضا). راجع روايات الباب في كتابنا دليل المتحيرين ص ٢٠٦ - ٢٠٩.

وبين أن الأئمة من بعده اثنا عشر، فقال: لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة... كلهم من قريش.
وبين أن هؤلاء الأئمة هم الذين اجتمعت الأمة على صلاحهم وحسن سيرتهم، وطيب سريرتهم، إذ قال في بعض الطرق الصحيحة: كلهم تجتمع عليه الأمة (١).
ومن ذلك كله يتضح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نص على الأئمة من بعده ، فذكر عددهم وأوصافهم التي لا تنطبق إلا على أئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام.
هذا مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يكتب قبل موته كتابا يبين فيه الخلفاء من بعده، فأمر بإحضار دواة وكتف، فعلم القوم بغرضه، فحالوا بينه وبين كتابة ذلك الكتاب، وقد مر بيان ذلك، فراجعه.
فإذا كانوا قد تجرأوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحالوا بينه وبين كتابة أسماء الخلفاء، فجرأتهم من بعده على جحد النصوص الكلامية سهلة ومتوقعة، إلا أن ما بقي من النصوص فيه غنى وكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.
* * *
قال الجزائري: أيها الشيعي اعلم أنك مسؤول عن نجاة نفسك ونجاة أسرتك، فابدأ بإنقاذهما من عذاب الله، واعلم أن ذلك لا يكون إلا بالإيمان الصحيح والعمل الصالح، وأن الإيمان الصحيح كالعمل الصالح لا

---
(١) أخرجه أبو داود في سننه ٤ / ١٠٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣ / ٨٠٧.

تجدهما إلا في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنك – وأنت محصور في سجن المذهب الشيعي المظلم – لا يمكنك أن تظفر بمعرفة الإيمان الصحيح ولا العمل الصالح إلا إذا فررت إلى ساحة أهل السنة والجماعة، حيث تجد كتاب الله خاليا من شوائب التأويل الباطل، الذي تعمده المغرضون من دعاة الشيعة للإضلال والإفساد.

والجواب:

أما أن المرء لا يمكنه أن يظفر بالإيمان الصحيح والعمل الصالح إلا إذا فر إلى ساحة أهل السنة والجماعة فهذا ادعاء محض، يدعيه أهل السنة ويدعي مثله غيرهم، لأن (كل حزب بما لديهم فرحون) وبما عندهم راضون.

وساحة أهل السنة التي ذكرها رأيناها بعد مزيد الفحص والتتبع جدباء مقفرة، فيها ظلمات بعضها فوق بعض.

ثم إن أهل السنة أنفسهم اختلفوا إلى مذاهب عديدة يطعن بعضهم في بعض، ولو أردنا أن نستقصي هذه الطعون لملأنا الصحف والطوامير، إلا أنا نذكر يسيرا يغني عن كثير:

ومن ذلك ما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن أبي بكر بي أبي داود السجستاني أنه قال يوما لأصحابه: ما تقولون في مسألة اتفق عليها مالك وأصحابه، والشافعي وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والحسن بن صالح وأصحابه، وسفيان الثوري وأصحابه، وأحمد بن حنبل وأصحابه؟ فقالوا: يا أبا بكر، لا تكون مسألة أصح من هذه. فقال: هؤلاء كلهم اتفقوا على ضلال أبي حنيفة (١).

وقال الأوزاعي وحماد وسفيان الثوري وابن عون: ما ولد مولود في

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٣٤٩.

الإسلام أضر على الإسلام من أبي حنيفة (١).
وذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمة سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن ابن معين قال: كان مالك يتكلم في سعد سيد من سادات قريش. وقال : إنما ترك مالك الرواية عنه لأنه تكلم في نسب مالك، فكان مالك لا يروي عنه ، وهو ثبت لا شك فيه.
قال ابن حجر: يقال إن سعدا وعظ مالكا، فوجد عليه فلم يرو عنه (٢).
وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: قال سلمة بن سليمان لابن المبارك : وضعت من رأي أبي حنيفة، ولم تضع من رأي مالك؟ قال: لم أره علما (٣).
وقال: وقد تكلم ابن أبي ذؤيب في مالك بن أنس بكلام فيه جفاء وخشونة كرهت ذكره، وهو مشهور عنه... وكان إبراهيم بن سعد يتكلم فيه ويدعو عليه، وتكلم في مالك أيضا - فيما ذكره الساحي في كتاب العلل - عبد العزيز بن أبي سلمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن إسحاق وابن أبي يحيى وابن أبي الزناد، وعابوا عليه أشياء من مذهبه، وتكلم فيه غيرهم... وتحامل عليه الشافعي وبعض أصحاب أبي حنيفة في شئ من رأيه حسدا لموضع إمامته، وعابه قوم في إنكاره المسح على الخفين في الحضر والسفر، وفي كلامه في علي وعثمان ، ونسبوه في ذلك إلى ما لا يحسن ذكره (٤).

---

(١) راجع ما كتبه الخطيب البغدادي عن أبي حنيفة في تاريخ بغداد ١٣ / ٣٦٩ - ٤٥١، وكذلك ما كتبه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٨ / ٤٤٩.
(٢) تهذيب التهذيب ٣ / ٤٠٣.
(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ١٥٧.
(٤) المصدر السابق ٢ / ١٦٠.

وقال أيضا في نفس المصدر: ومما نقم على ابن معين وعيب به قوله في الشافعي: إنه ليس بثقة. وقال: قد صح عن ابن معين أنه كان يتكلم في الشافعي.
إلى غير ذلك مما يطول ذكره، فراجع إن شئت كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١)، فإنه ذكر شيئا كثيرا من هذه النظائر.
وبعد هذا كله، نسأل الجزائري: أي ساحة من هذه الساحات هي التي نظفر فيها بمعرفة الإيمان الصحيح والعمل الصالح؟!
إن الأدلة الصحيحة الثابتة - وهي الكتاب والسنة المتواترة - التي يلزمنا الرجوع إليها لمعرفة الطريق الذي نسلكه والمذهب الذي نتبعه، كلها ترشد إلى اتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم.
وأما مذاهب أهل السنة فما أمر الله ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم باتباعها والأخذ منها، وما أحسن قول الشاعر:

قال الشريف الفاطمي أحمد * أبدأ باسم الله ثم أحمد
مصليا على النبي المرسل * مدينة العلم وبابها علي
وأهل بيت الوحي والتنزيل * ومعدن الحكمة والتأويل
بعد: فهاك ما عن المختار * مضمون ما شاع من الأخبار
تفترق الأمة بعدما ضحى * ظل النبي فرقا لن تبرحا
واحدة ناجية والباقية * هالكة وفي الجحيم هاويه
فاصغ لما أقول يا عمرو فما * تقول في آل النبي الكرما؟
هل هلكوا؟! أستغفر الله وقد * قام لفسطاط الهدى بهم عمد
لا بل نجوا ومن عداهم هلكوا * ونحن ممن بهم تمسكوا
وقد أخذنا قولهم ففزنا * وعن سوى آل النبي جزنا

---

(١) المصدر السابق ٢ / ١٥٠ - ١٦٣.

متخذين مذهب الأطائب * من آله لا سائر المذاهب
فمذهب الصادق (١) خير مذهب * وهو وبيت الله أولى بالنبي
ما أخذتم منهم وعنهم * بل اتبعتم من هم دونهم
حتى انتهى الأمر إلى التقليد في * شرائع الدين القويم الحنفي
قلدتم النعمان أو محمدا * أو مالك بن أنس أو أحمدا (٢)
فهل أتى الذكر به أو وصى * به النبي أو وجدتم نصا؟! (٣)

وأما زعمه أنا نجد عند أهل السنة كتاب الله خاليا من شوائب التأويل الباطل فغير صحيح، لأن كل متأمل فيما كتبه علماء أهل السنة في تفسير القرآن الكريم يجد أنهم يصرفون أكثر الآيات النازلة في أهل البيت عامة وفي علي عليه السلام خاصة إلى غيرهم، أو يؤولونها بما يخرجها عن أن تكون فضيلة خاصة بهم.

فصرفوا آية التطهير - وهي قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) - عن أصحاب الكساء، وزعموا نزولها في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، أو فيهن وفي علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، مع أن الأحاديث الدالة على أن المراد بأهل البيت في الآية هم علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام كثيرة جدا (٤).

منها: ما أخرجه الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق (٥)، عن أم سلمة قالت:

---

(١) هو مذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وهو مذهب الشيعة الإمامية الجعفرية الاثني عشرية.

(٢) يعني بالنعمان أبا حنيفة، ومحمد هو الشافعي، وأحمد هو ابن حنبل.

(٣) منظومة الشهاب الثاقب، ص ١١٩ - ١٢٠.

(٤) راجع ما كتبناه حول هذه الآية في كتابنا دليل متحيرين، ص ٢٠٦ - ٢١٥.

(٥) عن فتح القدير ٤ / ٢٧٩.

في بيتي نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجللهم رسول الله بكساء كان عليه، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

والتجلل بالكساء يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يبين أن الذين أذهب الله عنهم الرجس هم هؤلاء الخمسة دون نسائه صلى الله عليه وآله وسلم ومنهن أم سلمة التي وقعت الحادثة أو نزلت هذه الآية في بيتها، ولهذا جذب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكساء من يدها لما أرادت أن تدخل معهم، ومنعها من ذلك، وقال لها: أنت على خير، أنت على خير (١).

ولولا دلالة التجلل بالكساء على ذلك لكان هذا الفعل عبثا لا يليق بأدنى الناس فضلا عن سيد الأنبياء والمرسلين.

وكذلك صرفوا قوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام، فزعموا أن المراد ب (الذين أمنوا) هم المؤمنون عامة، مع أنهم رووا الأحاديث الكثيرة الدالة على نزول هذه الآية في علي عليه السلام لما تصدق بخاتمه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٣).

والولي هنا لا يصح أن يكون بمعنى الناصر والمحب، بل هو بمعنى الأولى بالتصرف، لأن الولاية لو كانت بمعنى النصرة والمحبة لكانت عامة للمؤمنين،

---

(١) راجع فتح القدير ٤ / ٢٧٩. سنن الترمذي ٥ / ٣٥١. مسند أحمد ٦ / ٢٩٢، ٣٠٤. المستدرك ٢ / ٤١٦ وصححه ووافقه الذهبي. تفسير القرآن العظيم ٣ / ٤٨٤، ٤٨٥. الدر المنثور ٦ / ٦٠٣، ٦٠٤. الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ١٨٣.

(٢) سورة المائدة، الآية ٥٥.

(٣) راجع تفسير القرآن العظيم ٢ / ٧١. الدر المنثور ٣ / ١٠٤ - ١٠٦. جامع البيان في تفسير القرآن ٦ / ١٨٦. الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٢٢١ - ٢٢٢. فتح القدير ٢ / ٥٣. الكشاف ١ / ٣٤٧. التفسير الكبير ١٢ / ٢٦.

لقوله تعالى (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) (١) مع أن الآية نزلت في علي عليه السلام كما دلت عليه الأحاديث الكثيرة.
مضافا إلى أن الآية حصرت الأولياء في ثلاثة، وهم: الله، ورسوله، والمؤمنون المتصفون بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم راكعون. وعموم المؤمنين لم يتصفوا بهذه الصفات، وهذا يدل بوضوح على أن المراد بالذين آمنوا في الآية بعض المؤمنين لا كلهم.
ومن هذا البيان يتضح أن معنى هذه الآية هو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه. لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين المراد بالمولى بقوله قبل ذلك: أيها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم؟ وقد تقدم بيان ذلك مكررا.
وكذلك صرفوا قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) (٢) عن آل البيت عليهم السلام، وزعموا أن النبي سأل قريشا أن يودوه لأجل القربى التي بينه وبينهم، أو أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأل الناس عامة أن يودوا قراباتهم، مع أن الأحاديث المؤكدة على لزوم مودة أهل البيت عليهم السلام أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر.
منها: ما أخرجه مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال يوم غدير خم: أذكركم الله في أهل بيتي (٣).
وأخرج الترمذي وابن ماجة وأحمد والحاكم والهيثمي وغيرهم، أن

---

(١) سورة التوبة، الآية ٧١.
(٢) سورة الشورى، الآية ٢٣.
(٣) صحيح مسلم ٤ / ١٨٧٣ كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. الجامع الصغير ١ / ٢٤٤ ورمز له بالصحة. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١ / ٢٨٧ وتخريج شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٩٠. كتاب السنة، ص ٦٢٩.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي (١).
وأخرج الترمذي عن ابن عباس، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أحبوا الله لما يغذوكم بنعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي (٢).
هذه نماذج من تأويل علماء أهل السنة لآيات الكتاب العزيز التي صرفوها عن المراد بها إلى ما يوافق عقيدتهم وإن خالفوا الأحاديث الصحيحة التي يروونها في كتبهم المعتمدة.
ولعل الجزائري أراد بالتأويل الباطل الذي تبرأ منه هو تأويل بعض الآيات القرآنية التي اشتملت على نسبة اليد أو الوجه أو الأعين أو الساق أو ما شاكل ذلك إلى الله جل شأنه، فإن الشيعة الإمامية أولوا هذه الآيات بالمعاني المناسبة لها الدالة على تنزيه الله سبحانه عن أن يكون له أجزاء أو أعضاء كأعضاء الآدميين.
أما أهل السنة – وبالأخص الحنابلة منهم – فإنهم نظروا في الآيات التي ورد فيها ذكر ذلك فحملوها على معانيها الحقيقية، فأثبتوا لله يدا ووجها وساقا وعينا تليق بجلاله في زعمهم.
قال السفاريني: وجب أن يحمل الوجه في حق الباري على وجه يليق به، وهو أن يكون صفة زائدة على تسمية قولنا ذات (٣).
وقال أبو الحسن الأشعري: من سألنا فقال: أتقولون إن لله سبحانه وجها؟ قيل له: نقول ذلك خلافا لما قاله المبتدعون، وقد دل على ذلك

---

(١) سنن الترمذي ٥ / ٦٢٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح. سنن ابن ماجة ١ / ٥٠. مسند أحمد ١ / ٢٠٧، ٢٠٨، ٤ / ١٦٥. المستدرك ٤ / ٧٥. مجمع الزوائد ١ / ٨٨، ٩ / ١٧٠. الفردوس بمأثور الخطاب ٤ / ٣٦١.
(٢) سنن الترمذي ٥ / ٦٦٤ وقال: حديث حسن.
(٣) لوامع الأنوار البهية ١ / ٢٢٧.

قوله عز وجل (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)... فإن سئلنا: أتقولون إن لله يدين؟ قيل: نقول ذلك، وقد دل عليه قوله عز وجل (يد الله فوق أيديهم) وقوله عز وجل (لما خلقت بيدي) (١).

وقال: إن معنى قوله (بيدي) إثبات يدين ليستا جارحتين ولا قدرتين ولا نعمتين، ولا يوصفان إلا بأنهما يدان ليستا كالأيدي، خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة (٢).

وقال السفاريني: مذهب السلف والأئمة الأربعة وبه قال الحنفية والحنابلة وكثير من الشافعية وغيرهم هو إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها (٣).

أقول: إن إثبات اليد والوجه والساق وغيرها لله تعالى هو عين التشبيه والتكييف، فإن اليد وإن اختلفت صورها إلا أن حقيقتها واحدة، ولولا ذلك لما سميت يدا، وكذلك الوجه والساق والعين وغيرها، فأهل السنة شبهوا الله بخلقه، وجعلوه جسما وإن نفوا عنه الجسمية، فإنهم ينفون التسمية، ويثبتون الماهية.

وقد وجدت كلاما يناسب المقام لتاج الدين السبكي في الرد على أستاذه الحافظ شمس الدين الذهبي الذي حاول الغض من أبي الحسن الأشعري في ترجمته له في كتابه تاريخ الإسلام، فقال مخاطبا له:

وأما إشارتك بقولك ونبغض أعداءك إلى أن الشيخ من أعداء الله، وأنك تبغضه، فسوف تقف معه بين يدي الله تعالى، يوم يأتي وبين يديه طوائف العلماء من المذاهب الأربعة، والصالحين من الصوفية، والجهابذة الحفاظ المحدثين، وتأتي أنت تتسكع في ظلم التجسيم الذي تدعي

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة، ص ٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٢.

(٣) لوامع الأنوار البهية ١ / ٢٢٥.

أنك برئ منه، وأنت من أعظم الدعاة إليه، وتزعم أنك تعرف هذا الفن وأنت لا تفهم فيه نقيرا ولا قطميرا، وليت شعري من الذي يصف الله بما وصف به نفسه؟ من شبهه بخلقه، أم من قال: (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير)؟! (١)

* * *

قال الجزائري: وتجد السنة النبوية خالية من الكذب والتشيع، وبذلك يمكنك أن تفوز بالإيمان الصحيح والعقيدة الإسلامية السليمة ز، وبالعمل الصالح الذي شرعه الله تعالى لعباده يزكي به أنفسهم، ويعدهم به للفوز والفلاح.

والجواب:

أن صحاح أهل السنة وكتبهم الحديثية والكلامية مملوءة بالأحاديث الكثيرة المكذوبة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الدالة على ما يخالف آيات الكتاب العزيز، وما لا يصح شئ منه في دين الإسلام.

وهي أحاديث كثيرة لا يسعنا استقصاؤها في هذا الكتاب، إلا أنا نذكر منها ما يدل على بطلان قوله وفساد زعمه، ونكتفي بذكر طائفتين من تلكم الأحاديث.

الطائفة الأولى: ما نسبت إلى الله جل شأنه ما لا يليق به.

منها: ما دل على أن لله صورة كصورة آدم عليه السلام: فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة، قال: خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعا... (٢)

---

(١) طبقات الشافعية ٣ / ٣٥٣.

(٢) صحيح البخاري ٨ / ٦٢ كتاب الاستئذان، الباب الأول. صحيح مسلم ٤ / ٢١٨٣ كتاب الجنة، باب رقم ١١.

وأخرج مسلم في الموضع نفسه عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته.
قال السيد عبد الحسين شرف الدين أعلى الله مقامه: وهذا مما لا يجوز على رسول الله (ص) ولا على غيره من الأنبياء ولا على أوصيائهم عليهم السلام. ولعل أبا هريرة إنما أخذه عن اليهود بواسطة صديقه كعب الأحبار أو غيره، فإن مضمون هذا الحديث إنما هو عين الفقرة السابعة والعشرين من الإصحاح الأول من إصحاحات التكوين من كتاب اليهود – العهد القديم –، وإليك نصها بعين لفظه، قال: فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم (١).
ومنها: ما دل على أن لله أصابع: فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله رضي الله عنه، قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (وما قدروا الله
حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (٢).
ومنها: ما دل على أن لله قدما: فقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد. حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط، بعزتك وبكرمك (٣).

---

(١) أبو هريرة، ص ٦٠
(٢) صحيح البخاري ٦ / ١٥٧ كتاب التفسير، سورة الزمر.
(٣) صحيح البخاري ٨ / ١٦٨ كتاب الايمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته.
٩ / ١٤٣ كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (أنا الرزاق ذو القوة المتين). صحيح مسلم ٤ / ٢١٨٨ كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب رقم ١٣.

وفي رواية أخرى: فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله، فتقول: قط قط قط. فهنالك تمتلئ ويروى بعضها إلى بعض (١).
ومنها: ما دل على أن الله على صورة الآدميين وأن صورته تتبدل وتتغير: فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة حديثا طويلا رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال فيه: يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا
ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فيتبعونه (٢).
الطائفة الثانية: ما نسبت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما لا يليق به.
منها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم لغيره طعاما ذبح على الأنصاب: فقد أخرج البخاري عن سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، وذاك قبل أن ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوحي، فقدم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل منها، وقال: إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه (٣).

---

(١) صحيح البخاري ٦ / ١٧٣ كتاب التفسير، سورة ق. صحيح مسلم ٤ / ٢١٨٧ - ٢١٨٨.
(٢) صحيح البخاري ٨ / ١٤٧ كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم. ٩ / ١٥٦ كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء. صحيح مسلم ١ / ١٦٣، ١٦٧ كتاب الايمان، باب معرفة طريق الرؤية.
(٣) صحيح البخاري ٧ / ١١٨ كتاب الذبائح والصيد، باب ما ذبح على النصب والأصنام.

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم بالصلاة جنبا: فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة، أنه قال: أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياما، فخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما قام في مصلاه ذكر أنه جنب، فقال لنا: مكانكم. ثم رجع فاغتسل، ثم خرج إلينا ورأسه يقطر، فكبر فصلينا معه (١).

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يغضب ويسب ويلعن بغير حق: فقد أخرج مسلم عن عائشة، قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلان فكلماه بشئ لا أدري ما هو، فأغضباه فلعنهما وسبهما، فلما خرجا قلت: يا رسول الله من أصاب من الخير شيئا ما أصابه هذان. قال: وما ذاك؟ قالت: قلت: لعنتهما وسببتهما. قال: أوما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلت: اللهم إنما أنا بشر، فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرا.

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم إنما أنا بشر، فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة (٢).

ومنها: أن النبي يبول قائما: فقد أخرج البخاري ومسلم عن حذيفة، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائما، ثم دعا بماء فجئته بماء فتوضأ (٣).

ومنها: أن النبي أبدى عورته أمام الناس: فقد أخرج البخاري

---

(١) صحيح البخاري ١ / ٧٤ كتاب الغسل، باب إذا ذكر في المسجد أنه جنب، ١ / ١٥٥ كتاب بدء الأذان، باب هل يخرج من المسجد لعلة، وباب إذا قال الامام مكانكم حتى رجع. صحيح مسلم ١ / ٤٢٢ - ٤٢٣ كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح مسلم ٤ / ٢٠٠٧ كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة. وراجع صحيح البخاري ٨ / ٩٦ كتاب الدعوات، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة.

(٣) صحيح البخاري ١ / ٦٤ كتاب الوضوء، باب البول قائما وقاعدا. وراجع الباب الذي يليه، وهو باب البول عند سباطة قوم، وباب البول عند صاحبه والتستر بالحائط. صحيح مسلم ١ / ٢٢٨ كتاب الطهارة، باب رقم ٢٢.

ومسلم – واللفظ له – عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة. قال: فحله فجعله على منكبه، فسقط مغشيا عليه، قال: فما رؤي بعد ذلك اليوم عريانا (١).

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسمع الغناء: فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة: أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان في أيام منى، تدففان وتضربان والنبي صلى الله عليه وآله وسلم متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن وجهه فقال: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد. وتلك الأيام أيام منى (٢).

ومنها: أن النبي في رأسه قمل، وتفليه امرأة أجنبية: فقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأطعمته وجعلت تفلي رأسه... (٣)

ومنها:

أن النبي لا يغسل ثيابه من المني: فقد أخرج مسلم عن عائشة في المني قالت: كنت أفركه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٤).

---

(١) صحيح مسلم ١ / ٢٦٨ كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة. صحيح البخاري ٥ / ٥١ كتاب فضائل أصحاب النبي، باب بنيان الكعبة.

(٢) صحيح البخاري ٢ / ٢٠ كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد، وباب سنة العيدين لأهل الإسلام، وباب إذا فاته العيد يصلي ركعتين. ٤ / ٢٢٥ كتاب المناقب باب قصة الحبش. صحيح مسلم ٢ / ٦٠٧ – ٦٠٩ كتاب صلاة العيدين، باب رقم ٤.

(٣) صحيح البخاري ٤ / ١٩ كتاب الجهاد، باب الدعاء بالجهاد والشهادة. صحيح مسلم ٣ / ١٥١٨ كتاب الإمارة، باب رقم ٤٩.

(٤) صحيح مسلم ١ / ٢٣٨ كتاب الطهارة، باب حكم المني.

وفي رواية أخرى، قالت: لقد رأيتني وإني لأحكه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يابسا بظفري (١).
وفي رواية ثالثة، قالت: إن كنت لأفرك المني من ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يصلي فيه (٢).
ومنها: أن النبي كلما أبطأ عنه الوحي أراد أن يقتل نفسه: فقد أخرج البخاري وأحمد وغيرهما، عن عائشة – في حديث طويل – قالت: وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل، فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقا. فيسكن لذلك جأشه، وتقر عينه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال
مثل ذلك (٣).
هذا غيض من فيض، ولو أردنا أن نستقصي ما روي في كتب أهل السنة من أمثال هذه الأحاديث الباطلة لطال بنا المقام، ولخرجنا بذلك عن موضوع الكتاب، إلا أن فيما ذكرناه غنى وكفاية (٤).
ثم كيف نجد السنة النبوية الصحيحة عند أهل السنة وهم يروون بأنهم ضيعوا كل شئ كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى الصلاة. فقد أخرج البخاري وغيره عن الزهري أنه قال: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه

---

(١) صحيح مسلم ١ / ٢٤٠.
(٢) السنن الكبرى ٢ / ٤١٧.
(٣) صحيح البخاري ٩ / ٣٨ كتاب تعبير الرؤيا، الباب الأول. مسند أحمد ٦ / ٢٣٣.
(٤) للاطلاع على المزيد من أمثال هذه الأحاديث راجع كتاب (أبو هريرة) للسيد عبد الحسين شرف الدين رضوان الله عليه، وكتاب (تأملات في الصحيحين) لمحمد صادق نجمي، وكتاب (فاسألوا أهل الذكر) للدكتور محمد التيجاني السماوي.

الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت.
وفي رواية أخرى قال: ما أعرف شيئا مما كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قيل: الصلاة؟ قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها؟! (١)
وكيف نجد هذه السنة النبوية الصحيحة خالية من الكذب مع أن أبا حنيفة - كما قيل - لم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثا أو نحوها، ولم يصح عند الإمام مالك بن أنس إلا ما في الموطأ فقط، وغايتها ثلاثمائة حديث أو نحوها (٢).
هذا مضافا إلى أن أهل السنة قد تفرقوا إلى مذاهب كثيرة، واختلفوا في أكثر المسائل إلى أقوال عديدة، فأين كانت هذه السنة الصحيحة الخالية زمن الكذب التي يلزمهم الرجوع إليها لرفع ذلك الخلاف الحاصل بينهم؟!
ثم إنك لا تجد إماما من أئمتهم إلا وله فتاوى غريبة وأقوال عجيبة مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.
وما أحسن قول الزمخشري:

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به * وأكتمه كتمانه لي أسلم
فإن حنفيا قلت قالوا بأنني * أبيح الطلا وهو الشراب المحرم
وإن مالكيا قلت قالوا بأنني * أبيح لهم أكل الكلاب وهم هم
وإن شافعيا قلت قالوا بأنني * أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وإن حنبليا قلت قالوا بأنني * ثقيل حلولي بغيض مجسم

---

(١) صحيح البخاري ١ / ١٣٣ كتاب مواقيت الصلاة وفضلها، باب تضييع الصلاة عن وقتها.
(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٤٤. وأحاديث الموطأ المطبوع تنيف على الف وثمانمائة حديث أكثرها مراسيل، ولعل المسند منها ثلاثمائة حديث أو نحوها.

وإن قلت من أهل الحديث وحزبه * يقولون تيس ليس يدري ويفهم (١)
وقال ابن الحجاج:
الشافعي من الأئمة قائل * اللعب بالشطرنج غير حرام
وأبو حنيفة قال وهو مصدق * فيما يبلغه من الأحكام
شرب المثلث والمنصف جائز * فاشرب على طرب من الأيام
وأباح مالك الفقاع تطرقا * وبه قوام الدين والإسلام (٢)
والحبر أحمد حل جلد عميرة (٣) * وبذاك يستغنى عن الأرحام
فاشرب ولط وازن وقامر واحتج * في كل مسألة بقول إمام
* * *

قال الجزائري: واعلم أخيرا أني لم أتقدم إليك بهذه النصيحة طمعا فيما عندك، أو عند غيرك من بني الناس، أو خوفا منك أو من غيرك من البشر، كلا والله، وإنما هو الإخاء الإسلامي وواجب النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، هذا الذي حملني على أن أقدم إليك هذه النصيحة، راجيا من الله تعالى أن يشرح صدرك لها، وأن يهديك بها إلى ما فيه سعادتك في دنياك وآخرتك، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وأقول:

لقد اتضح للقارئ العزيز أن كل ما أورده الجزائري في هذا الكتيب مما أطلق عليه حقائق لا يعدو أن يكون اتهامات باطلة وادعاءات فاسدة.

والظاهر أن هذا الكتيب قد أبرز رغبة في نفس الجزائري لتكفير الشيعة

---

(١) تفسير الكشاف ٤ / ٣١٠.
(٢) جلد عميرة هو الاستمناء.
(٣) رواه بعضهم هكذا: وأباح مالك اللواط تكرما في ظهر جارية وظهر غلام.

الإمامية، فأظهر هذا التكفير في صورة نصيحة منمقة، وتظاهر بأنه مشفق على الشيعة حريص على هدايتهم، إلا أن فلتات لسانه قد فضحته، فبدا لكل ذي عينين بادي العورة، منكشف السريرة، قد باء بالخيبة والخذلان، ورجع بالحسرة والخسران.

ومن الغريب أنه في الوقت الذي يكفر فيه الشيعة ويخرجهم من دائرة المسلمين، يذكر أن الذي حداه لهذه النصيحة هو الإخاء الإسلامي وواجب النصيحة للمسلمين، فما أبعد ما بين حكمه على الشيعة بأنهم كفار، وبين اعتبارهم إخوة مسلمين تجب عليه نصيحتهم.

وعلى كل حال، فإن الشيعة لا يردون النصيحة الصادقة، ولا يأبون سماع وأخذ الحقيقة، ولا يرفضون الأخوة الإسلامية، ولكن يردون الاتهامات الباطلة، والافتراءات الكاذبة، ويمقتون إلباس الحق بالباطل والصدق بالكذب، وتسمية الفرية حقيقة، والغش نصيحة، والباطل هداية ز.

هذا تمام ما تيسر لي كتابته في الرد على ما كتبه أبو بكر الجزائري في كتيبه الذي أسماه هذه نصيحتي إلى كل شيعي، ولولا خشية الإطالة لأشبعت الجواب عن كل مسألة ذكرها بأكثر مما صنعت، إلا أن فيما ذكرته من الردود غنى وكفاية لكل طالب للحق راغب فيه.

هذه نصيحتي

هذه نصيحتي

هذه نصيحتي
نصيحتي للجزائري أن يقرأ كتابي هذا قراءة متأمل منصف، ليرى أن حقائقه قد تهدمت أركانها، وصارت خاوية على عروشها، وما كانت إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.
وليعلم أنه قد أذنب ذنبا فاحشا، وارتكب موبقة عظيمة بكتابة هذا الكتيب، لأنه ألبس الحق بالباطل، ونصر الباطل وخذل الحق، وكفر طائفة كبيرة من طوائف المسلمين بغير حق، ونسب إليهم ما هم برآء منه، واتهم شيعة أهل البيت عليهم السلام بأنهم يريدون تقويض الإسلام عدو المجوسية واليهودية، وزعم أن مذهب أهل البيت عليهم السلام مذهب هدام مظلم، فظلمهم سلام الله عليهم أي ظلم، وجار على شيعتهم ومحبيهم أي جور.
فليستغفر الله من ذنبه العظيم، وليكفر عن خطيئته، وليرجع إلى ما كتبه في ذلك فيضرب عليه بالقلم، وليكتب في نقضه ما يكون لله فيه رضا وللناس فيه صلاح وفائدة.
وأرجو ألا يكون قد ضل بكتابه واحد من جهال الشيعة، أو شك مؤمن بسببه في إيمانه، أو جزم مبطل بسببه بباطله، فإنه إن وقع ذلك كان الجزائري من الهالكين.
وآمل منه – كما آمل من كل كاتب من كتاب أهل السنة – ألا يكتب إلا ما به تجتمع الكلمة، وتأتلف الفرقة، وتطيب النفوس، وتبرأ الكلوم،

وتزول الضغائن والأحقاد، فنحن المسلمين اليوم أحوج ما نكون للألفة، ونبذ الاختلاف والفرقة، فإن أعداء الإسلام يتربصون به وبأهله الدوائر، وهم كثيرون، والمسلمون غافلون، بأسهم بينهم شديد، قد شغلوا ببعضهم عن الخطر المحدق بهم الذي ينتظرهم، فصار بعضهم يكفر بعضا، وبعضهم يطعن في بعض، وبعضهم يحارب بعضا.

فليكتب كل كاتب ما يسره أن يكون في صحيفة أعماله الصالحة مما ينفع الناس ويمكث في الأرض، ولا يكتب ما يكون عليه عارا في الدنيا ووبالا في الآخرة.

وما أحسن قول من قال:

وما من كاتب إلا وتبقى * كتابته وإن فنيت يداه

فلا تكتب بخطك غير شئ * يسرك في القيامة أن تراه

وعلى الكاتب الرسالي أن يدعو إلى ما يرى أنه هو الحق بما أمر الله به الداعي إليه، إذ قال (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) ، فيسلك سبيل الرفق واللين، ويلتزم بالحق وقول الصدق، ويجتنب التكفير وكيل الاتهامات الباطلة، لتتحقق الغاية المرجوة والمنفعة المطلوبة.

* * *

ونصيحتي لإخواني المؤمنين من الشيعة الكرام ألا يعنوا بأمثال هذه الكتب الهدامة، التي ملئت بالأباطيل المنمقة، والاتهامات الملفقة ز، والأكاذيب المزوقة، فإنها عديمة الفائدة، معلومة المضرة، لأنها إن لم تحدث في نفس قارئها شكا، فلا بد أن تحدث في قلبه هما وحزنا وغيضا.

وعليهم أن يقرأوا ما كتبه في هذا المجال علماؤنا الأعلام جزاهم الله نقحوا المذهب، وزيفوا شبهات المخالفين، وأبطلوا تشكيكاتهم وحججهم بما

لا مزيد عليه، حتى بدا الحق جليا واضحا لا مرية فيه، ولا شبهة تعتريه. فإن أقل ما ينتفع به قارئها أنها تزيده إيمانا في دينه، ورسوخا في معتقده، ناهيك عما فيها من علم جليل نافع، ومعرفة كثيرة بما يصح في الدين وبما لا يصح.

* * *

ونصيحتي لإخواني الكرام من أهل السنة ألا يأخذوا كل ما كتبه كتابهم في نقض عقائد الشيعة أخذ المسلمات، وليحتملوا فيه الخطأ كما يحتملون فيه الصواب، وعليهم أن يقرأوا بالمقابل ما كتبه علماء الشيعة في هذا الشأن، ليحصل لهم اليقين بصحة ما هم عليه أو بفساده، ولئلا يكونوا جائرين في حكمهم، ظالمين لغيرهم، ومقصرين في حق أنفسهم، إذا سمعوا قول أحد الخصمين المتنازعين، ولم يسمعوا قول الآخر، فحكموا بصحة القول الذي سمعوه دون غيره.

وليعلموا – وفقهم الله لطاعته – أن علماء الشيعة حملة حق ودعاة إلى الصدق، يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلون غيرهم بالتي هي أحسن، رغبة في ثواب الله، وطمعا في جزيل إحسانه. وأن قضيتهم ليست هي تكفير أهل السنة، أو تكفير أحد من المسلمين، ولو شاؤوا إبداء عورات أهل السنة وكشف فضائحهم من كتبهم لفعلوا وهم قادرون، ولكنهم رأوا أن السبيل الأقوم هو أن يدعوا كافة طوائف المسلمين إلى الوحدة، وأن يناشدوهم بالأخوة والمحبة والألفة، ليكونوا

معهم كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضا، وكالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

* * *

وفي الختام أسأل الله أن يجمع شمل المسلمين، ويوحد صفوفهم،

ويجمع كلمتهم، ويؤلف بين قلوبهم، ويجعل كلمتهم هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.